مجموعة من الباحثين

البابـاوات

«أسيادٌ على السّماءِ والأرضِ»

مكتبة بغداد
twitter@baghdad_library

ترجمة عن الألمانية

د. شـاكـر مطـلـق

دار الحوار

*الباباوات ـ "أسيادٌ على السّماءِ والأرضِ"
*تأليف: مجموعة من الباحثين
((أصدَر الكتاب: هانسْ كريستيان هوفْ))
*ترجمة عن الألمانية: د. شاكر مطلق
* جميع الحقوق محفوظة للناشر©
*الطبعة الأولى: **10/ 2015**
حقوق الطبعة العربية محفوظة ©دار الحوار للنشر والتوزيع.

يتضمن هذا الكتاب الترجمة الكاملة للكتاب الألماني:

Die Paepste

Herrscher ueber Himmel und Erde

Herausgeben von Hans- Christian Huf
Ullstein - Berlin 2008

ISBN: 978 – 9933 –477– 18 -9

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار

دار الحوار للنشر والتوزيع www.daralhiwar.com
ص. ب 1018 اللاذقية، سورية، هاتف وفاكس: 33 422 41 963+
البريد الإلكتروني daralhiwar@gmail.com
info@daralhiwar.com

twitter @baghdad_library

مجموعة من الباحثين

الباباوات

"أسيادٌ على السّماءِ والأرضِ"

ترجمة: د. شاكر مطلق

دار الحوار

twitter @baghdad_library

تقديم من المترجم

(السلطانُ ظِلُّ الله على الأرض، من أطاعَ السلطانَ أطاعَ الله).

هذه العبارة قرأتُها، ذات يوم، في أحد قصور بني عثمان – ولعله كان قصر "يَلْدِزْ" على ما أظن ـ في مدينة "قسطنطين" ـ "القسطنطينية" سابقاً ـ "اسطنبول" ـ لاحقاً، وكان من الممكن لها أن تكون في قصر أي سلطان أو قيصر أو ملك أو حتى أمير، في مختلف جهات الأرض، ولاسيما أنهم كانوا، ولا يزالُ الكثيرون منهم هكذا، يعتمدون على هذا التّفويض الإلهي لهم، بصرف النظر عن حقيقته أو مشروعيته، حتى في مطلع الألفية الثالثة بعد ولادة السيد المسيح.

في العهد الجديد نجد في رسالة "تيطُس" – الإصحاح الثالث، العدد الأول "Tit. 3:1" نفس المعنى الذي يقول، متَرجَماً:

"ذكِّرهم بأن يخضعوا للحاكمين وذوي السلطة، وأن يطيعوهم".

في هذا الكتاب المترجَم نقرأُ –ص 109 – بأنّ (البابا) "بونيفاز ـ بونيفاقيوس ـ الثامن" هو الذي ألّف وأعلَن أشهر قرار باباوي (بولّه) المسمي "أونام سانْكتام ـ Unam Sanctam"- كنيسةً واحدةً مقدّسةً –، والذي جاء فيه:

"إننا (البابا بونيفاز الثامن) الآنَ، نقولُ، نقرر ونعلن: إنه من أجل خلاص أي مخلوق بشري، ثمة شرطٌ لا بد منه (وهو) الخضوع للبابا".

عندما نقرأ في التاريخ ما قام به بعض هؤلاء الحكام وغيرهم أيضاً من موقع السلطة، سلطتهم الإلهيّة المقدّسة (ثيوقراطي)، فإننا نجد التشابه الغريب لدى غالبيتهم في تعاملاتهم، متعددة الأقنعة، مع البشر والله.

لقد شاهدتُ على إحدى فضائيات التلفاز الألمانية الرسمية المختصة بالموضوعات الثقافية والوثائقيّة، منذ أسابيع قليلة – وأنا أكتب الآن هذا المدخل في نهاية الشهر السادس من العام **2008** ، سِلْسِلَةً من الأفلام حول البابوية، وهي تعتمدُ على المراجِع التاريخية الوثائقية، ومنها بعض الأبحاث والدراسات الحديثة جداً حول هذا الموضوع.

لقد أثار انتباهي وإعجابي تلك الجرأة والموضوعية التي تناول فيها العديدُ من الباحثين هذا الأمر الحساس بالأسلوبِ العلمي الموضوعيّ الذي لا يرمي إلاّ إلى كشف الحقيقة، والحقيقة فقط، أياً كانت، من دون الوقوف والتّوقّف أمام المحرماتِ أو الممنوعات، برغم حساسية الموضوع ـ كما ذكرنا – ، التي نعرفها جيداً في حياتنا، والتي تعيق – حسب رأيي – إعادة النظر في كتابة الكثير من جوانب تاريخنا الموروث، وما أكثر ما فيه من أسماء وأحداث وغير ذلك، مما يحتاج إلى التحليل والتمحيص لاستنتاج العِبرِ منه، وهو ما قد يخدم الحاضر، حاضرنا، ويخدم المستقبلَ لخَلَفِنا أيضاً.

من هذا المنظور، وبعد أنْ عرفت أن هذه السِّلسلة ظهرت بعد العرض مباشرة (**2008/6**)، على شكل كتاب مطبوع، فقد عمدت إلى الحصول عليه بأسرع ما يمكن، وهذا ما كان.

بعد الاطلاع عليه وعلى محتواه، أدركتُ أنه من الكتب التي تستحق مني ترجمتها و تقديمها إلى القارئ العربي، فاتصلت بوزارة الثقافة في

twitter @baghdad_library

الجمهورية العربية السورية وعرضت عليها فكرة الترجمة والطباعة، فأبدت الوزارة موافقتها وكلّفتني تحقيقَ هذا الأمر، فلها مني كلّ الشكر.

أود أن أتقدم من الصديق الباحث اللغوي أ. د. عبد الإله نبهان – عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، والأستاذ في جامعة البعث / حمص – بعميق شكري على مراجعته اللغوية للنص المتَرجم.

أتقدّم أيضاً بالشكر الجزيل من الأخ العزيز الأب الدكتور "ميشيل نعمان"، المحاضر في جامعة البعث بحمص – سورية، واللاّهوتيّ النّشط في مطرانية السّريان الكاثوليك بحمص، على مراجعته الكتاب وتدقيقه في التسميات والرّتب الكنَسية وعلى ملاحظاته المفيدة في هذا الشأن، ولا سيما ما يتعلق بأسماء الباباوات، كما هو معروف عندنا في الشرق.

الشكر أيضاً إلى مساعدتي الطبية، وسكرتيرتي الأدبية وفاء الوردة، – مجازة في الأدب العربي – على ما قدّمته من جهد في تنضيد هذا الكتاب، والقيام بالتّصحيحات العديدة اللازمة عليه.

حمص ـ سورية 7 / 2009

المترجِم: د. شاكر مطلق
E-Mail: mutlak@scs-net.org

twitter @baghdad_library

ملاحظات فنّية من المترجم:

كعادتي في كلّ ترجماتي، وبخاصةٍ الشّعرية منها، سواءً للأدب الألماني أو الياباني أو الصِّينيّ، فإنني أضعُ ضمن قوسين ()- هكذا - الكلماتِ التي لابدّ من إضافتها للنّص، لضروراتٍ فنيّةٍ أو جماليّةٍ، أو لفهم النّص على نحو أفضل، وللتوافق مع البيان العربي، وكذلك الأمر فيما يتعلق بعلامات الترقَيم.

بما أن الكثير من أسماء الأعلام وأسماء المواقع، والأحداث الواردة في الكتاب، جاءت من دون شرحٍ في النص الأصل، لأنها تتوجه أصلاً إلى القارئ الألماني الذي يعرف معانيها ودلالاتها، فقد وضعتُ بين قوسين أيضاً وحيثما اقتَضت الحاجةُ، ومن أجل فهم أفضل للنصّ، بعض الشروحات التي ارتأيت ضرورة لها.

أسماء بعض الباباوات، كما هو معروف عندنا في الشرق، استناداً إلى الأب الدكتور "ميشيل نعمان":

- قُلَسْتينُس = كولِستين - ليون = ليو
- بنِدِكتوس = بينيدِكْت - أورْبانوس = أورْبان
- إنوقنطيوس = إنّوزينْز - تاقيطُس = سيكستوس
- بونيفاقيوس = بونيفاز - بولُس= باول
- سِليفسِتروس= سِلفيستَر - غريغوريوس = غريغور
- إقليمنضُس = كْليمِنْس _ مَرْتينوس = مارتين
- يوحنّا = يوهانّس - إسكندر = الإكساندَر

وهنك أسماءٌ عديدة أخرى مثل:

هاينريش = هنري، نيكولاوْس = نقولا، ألبريشت = ألبير... الخ، قمت بتثبيتها كما وردت في الأصل، وكما هي شائعةٌ ومستَعملةٌ في اللغة الألمانية التي أترجم عنها هذا الكتاب.

twitter @baghdad_library

عنوان الكتاب:

"البابوات"

"أسيادٌ على السّماءِ والأرضِ"

- تاريخ موجز حديث موثق ومصور لحكم البابوات، من البدايات حتى اليوم.

المؤلف: مجموعة من الباحثين.

أصدر الكتاب:

"هانس كريستيان هوف – H.-Chr. Huf".

تعريفٌ بمُصْدِر الكتاب:

"هانس كريستيان هوف – H.-Chr. Huf":

ولد عام **1956** في "شتارنبيرغ" (بافاريا)، درس التاريخ والسياسة في ألمانيا وفرنسا. يعمل في التلفاز الألماني الرسمي القناة الثانية، وأصدر العديد من مسلسلات معاصرة تاريخية – سياسية ونشرات ثقافية.

تعتبر كتبه من الكتب الناجحة بمقاييس المبيعات.

آخر إصداراته "بركة الله في الجحيم"، "حرب الثلاثين عاماً" صدر عام **2003**، "الإمبراطورية – من نهوض وسقوط الممالك الكبيرة" **2004**، "لغز التوراة"، "أسرار الكتابة المقدسة" **2008**، "الإمبراطورية II – من نهوض وسقوط الممالك الكبيرة" **2006**، "العمالقة"، "العِظامُ المهدَون للمعاصرة" **2007**.

هذه الطبعة المترجمة إلى العربية، اعتمدتْ الطبعةَ الألمانية الأولى الصادرة عن دار نشر "أولّشتاين ـ Ullstein" في برلين عام **2008**، وتقع في نحو ثلاثمئة صفحة من القطع **17 x 25** سم.

twitter @baghdad_library

لمحة عن محتويات الكتاب:

على الطيَّة الداخلية للغلاف الخارجي الأيسر يوجد التالي:

"تاريخ وكلاء المسيحِ (الباباواتِ) هو تاريخ الغرب.

الكتاب يَنصُب قوساً واسعاً شهيراً لبـدايات الباباويـة حتـى رسوِّها في أوروبا الحديثة، ويصوِّر بإسهاب الصراعَ على السلطة بين القياصرة والملوك وبـين البابـاوات، مـن الانتقـال المهـين (لمقـر الباباويـة) نحـو كانوسّـا – Canossa (البلدة الواقعة في شمال إيطاليا)، عبْر النهب المأساوي لروما من قبل أقنان الأرض الألمان،وصولاً إلى الانتصار بإقامة كنيسة – دوم – بطرس (في الفاتيكان).

يقدم المؤلفون أحدث المعلومات مـن البحـث الأثـري حـول قـبر بطـرس الشهير. بحاسةٍ مستَقصيةٍ، كما في البحث الجنائي، يوضحون الدور الذي لعبه (البابا) "سِكستوس الرابع – Sixtus IV" في مؤامرة اغتيال (أفراد من) عائلة "ميديتشي"، وكيف ناور "ليو العاشر – Leo X"، عندما لعَـن "لـوثر – Luther" الباباوية.

القوّامون على الكرسي المقدس يَبدون أناساً مـن لحـم ودم، يسـيرون في درب صعب (للموازنة) بين واجباتهم الروحانية وإرثهم الأرضي أ هـ.

twitter @baghdad_library

(مدخل)

ورد هذا النص في أخر الكتاب - الأصل تحت عنوان:

كلمة لاحقة

بقلم البروفسور د. فولكر راينهارد.

نظراً لأهمية البحث فقد ارتأيت وضعه في مقدمة الترجمة العربية لكتابنا هذا، لما فيه من معلومات قد تفيد القارئ عند قراءته الكتاب، واعتبرتها نوعاً من التمهيد أو المدخل.

المترجم: د. شاكر مطلق

تعريف بالكاتب: البروفيسور د. فولكر راينهارد

الكاتب هو المستشار العلمي لهذا الكتاب. ولد عام **1954** في مدينة "ريندسبورغ" - ألمانيا -. درس التاريخ والرومنطيقية.

أقام في روما ما بين **1977- 1984** لإجراء أبحاث أكاديمية هناك.

منذ العام **1992** أصبح أستاذاً (بروفيسوراً) نظامياً لتاريخ سويسرا العام المعاصر في جامعة "فرايْبورغ" - سويسرا -. أصدر العديد من الأبحاث حول التاريخ الإيطالي وتاريخ الباباوية:

(عائلة) دي ميديتشي - فلورانس في عصر النهضة (الطبعة الرابعة صدرت عام **2007**) - التاريخ الإيطالي (الطبعة الثالثة صدرت عام **2006** - روما: دليل تاريخي مصور **1999**) - النهضة في إيطاليا.

التاريخ والثقافة (صدرت الطبعة الثانية عام **2007**) - مرة أخرى تاريخ إيطاليا: من نهاية العصر الكلاسيكي حتى الزمن الحاضر -

البابا المريع: "الإسكندر الرابع بورجيا" - **1431** - **1503** - صدر عام **2007**.

twitter @baghdad_library

الباباوية في التاريخ

Das Papsttum in der Geschichte

بقلم البروفسور د. فولكر راينهارد

Prof. Dr. Volker Reinhardt

تثير الباباوية الإعجابَ اليوم، من خلال مغايرتها (للمألوف)، أكثر من أي وقت مضى.

"الخلوة الكنسية – Konklave" المنعقدة في نيسان 2005 (لانتخاب البابا في الفاتيكان)، والإعلان عن البابا الجديد من قاعة القبّة، كانت حدثاً إعلامياً عالمياً تجاوز الكنيسة الكاثوليكية.

هذا المغاير يَشدّ أكثر من خلال التقاليد الحية: (حيث) الإرث التاريخي الأوروبي لا يزال حياً، من خلال المؤسسة الباباوية، أكثر من أية مؤسسة أخرى.

في زمن الديمقراطية الشاملة لكل جوانب الحياة، يثير انتخابُ الحبر الأعظم –"maximus Pontifex –" من قبل مجموعة مختارة من الكاردينالات – كلهم من الرجال –، الانتباه لدى بعض الناس، والرفض لدى مجموعات أخرى.

عدا ذلك فإنّ (هذا) المرفوعَ للجلوس على كرسي بطرس لا تحدّه أية وثيقة دستورية، وإنما، نظرياً على الأقل، يمتلك كامل السلطة غير المحدودة باتخاذ قراراته. عدا عن ذلك فإن مركزه السلطَوي – المعارض لمبدأ توزيع المهام اليوم – متعدد الجوانب: إنه الرأس الأعلى للكنيسَة الكاثوليكية ولدولة الفاتيكان، ونورد فقط مجرد وظيفتين هامتين من "وظائف الحكومة" (التي يرأسها).

مربكٌ هذا المُغاير قبل كل شيء في القاعدة (المبنية عليها) هذه السلطة. إنها بخلاف ما هو سائد اليوم في أوروبا لا تنطلق من سيادة الشعب وليست محدودة زمنياً، يمكن تداولها ديمقراطيا وإعادتها إلى الأكثرية.

كما أن (نمط حكم البابا) لا يتوافق مع شكل الحكم الملكي المطبَّق (في أوروبا) – الذي استطاع العيش حتى الآن – والذي هو في الحقيقة ديمقراطية مع وظائف تمثيلية للدولة (بروتوكولية) موروثة – (يقوم بها الملك أو الملكة)، وإنما هو مؤسَّس على كلمات إنجيليّة مقرِّرة، (مثل قول السيد المسيح:) "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة سوف أبني كنيستي"، كنيسةٌ ستبقى حتى نهاية الزمان.

هذه المقولة تشكل ببساطة القاعدة الباباوية كظاهرة تاريخية. هذه الجملة بالتحديد لا تزال حتى اليوم تُقرأُ في قبة كنيسة بطرس.

من هذه (الجملة) يستمد في الوقت ذاته البابا موقعه، فوق التاريخي البدَهي.

إنّ نواب يسوع المسيح، الذين يشكلون قاعدة له، هم تاريخيون بقدر كونهم من البشر الفانين (الذين) نُقلِت إليهم الوكالةُ، وبرغم ذلك فهم منصّبون مباشرة من الله، (متجاوزون في الوقت ذاته) اضطرابات ومتاهات الزمان.

إذا كان ثمة رسالة توصلها إلينا كل أعمال البناء واللوحات البابوية على مدار القرون، فإنها (تكون) هذه: الباباوية يمكن للأحداث التاريخية بأمواجها العالية أن تهزها وتدفعها تائهة، غير أنها تبقى برغم كل صخب أقوياء هذا العالم، ثابتة وغير محطمة، لأنها تستطيع دوماً في الحالات الحرجة أن تستدعي لدعمها القوى السماوية.

هذا الموقع (السماوي) هو في وفوقَ العالم، فوقَ الكنيسة، وفوقَ حكام المسيحية الأرضيين، وهو يحذر الحبر الأعظم في حالات الضعف الأخلاقي، وفي حالة عدم القيام بالواجب بما يكفي.

إنه (الموقع السماوي) يعاقِبُ، وفي الحالات القصوى، يَعزِلُ أيضاً، وهذا ما وَسم تاريخَ الباباوية الأوروبية بطرق شتّى.

twitter @baghdad_library

استغرَقِ هذا المَطلبُ قرونًا عديدة حتى استطاع أن يُبرهنَ على إمكانية تحقيقه ـ انُظر في الحدث المثير الكامن في سير الملك "هاينرش الرابع (عاري الأقدام شتاءً) إلى "كانوسّا" (منفى البابا) عام **1077** (وانتظاره أمام القصر، شبه عار، لمدة ثلاثة أيام بلياليها حتى استقبله البابا)، واستغرق الأمر عدة عقود أخرى حتى أصبح مع قدوم "إينوزينز الثالث –III Innozenz" ـــ إنيوقُنْطيوس – (**1198 – 1216**)، البابا ذي الحنكة السياسية، ممكناً البرهان فعلاً على قدرته على إدارة شؤون المسيحية.

على الرغم من ذلك فإن تحقيق هذا عملياً من قبل السلطة العليا، كان يحمل بذرة الاعتراض فيه. لقد حصل هذا من داخل الكنيسة نفسها، حيث اعتَبرت حركة التجديد الفكري (فيها) أن مثل هذا الكم من السلطة الدنيوية في يدي البابا أمر مفسِد – أوَلم يبعد المسيح هذه السلطة الكاملة عن نفسه بكلمات تفيد (أن مملكته ليست من هذا العالم)، كما أن الأمراء (الحكام الأوروبيون) لم يرضوا بمثل هذا الادعاء (بتملك السلطة من قبل البابا بشكل دائم)، لأنه مضاد (لتطور) صلاحياتهم ولو بشكل بطيء، ولكنه غير قابل للتوقف.

البابا "بونيفاز – بونيفاقيوس الثامن"، الذي طمح إلى زيادة سلطة الباباوية الكاملة مرة أخرى، شعر كأول (بابا) بهذه القوة المتماسكة المضادة (من الأمراء) حوالي العام **1300** بطريقة غير محببة. حتى الثورة الفرنسية عام **1789** كان الاعتراض على موقع البابا السلطوي الدنيوي يأتي باسم الدولة، وبالمقابل كانت الباباوية تقف ضد رغبة (السلطة الدّنيوية) في تحقيق الربح بأي ثمن، وفي إعطاء الدولة صفة المطلق حتى العبادة وللأمة أيضاً، وهذا الوضع مستمر حتى اليوم.

من هذه الزاوية قدّمَ الباباواتُ، بموقفهم الإيديولوجي المعارض لاتجاهات الرّبح غير المحدود واستغلال الإنسان للإنسان، أقدمَ شكل من أشكال نقد العَوْلمة في التاريخ.

تستند هذه المعارضة على كل حال إلى مفهوم أنّ البشر – الذين وُضِعت في تصرفهم جميعاً إرادةُ الخير – هم من دون رحمة الله، جانحون إلى الخطيئة، الأمر الذي يستدعي التصحيح الأخلاقي لمتابعة العمل ضد سوء استخدام القوى الأرضية لهذا (الإنسان).

البابوية ذاتها عرَفت مرارا موقع السلطة هذا، و لم تجلب عليها عداوات من داخل ومن خارج الكنيسة فحسب، وإنما تعرضت أيضاً إلى أخطار أساسية، تنامت من (طبيعة) الوظيفة ذاتها. يمكن إعادة (تصرفات) الجميع إلى قاعدة أساسية (تقول):

يجب على الباباوات، إبّان ممارستهم لمهماتهم، أن لا يتشابهوا بذلك كثيراً مع الأمراء الأرضيين.

بتعبير إيجابي (يمكن القول): إن الخلافات، أي قاعدة التفسير المغاير، (وكذلك) التبرير، ومعه أيضا طبيعة الحكم ذاتها، يجب أن تكون، في كل وقت، متجذّرة في وعْي الجميع.

هذا الاختلاف الجذري الذي يجد له تعبيراً في الممارسات اليومية، في شكل الأزياء الرسمية والتسميات الوظيفية – الذي لا يزال قائماً حتى اليوم – لا يحق له أن ينحصر في الشكليات الخارجية، وإنما يجب أن يَسِمَ طبيعة الوظيفة وصاحبها أيضاً.

هكذا كان مطلبُ "الإنسانيّ – Humanist" البارز في حركة المثقفين الأوروبيين من حوالي العام 1500 (الفيلسوف ورجل اللاهوت) "إيراسموس فون روتّردام – E.v.Rotterdam" الذي كان البابا يعني له، أن يكون مهتماً بخلاص الروح المسيحية ورعايتها، الصلاة، البكاء، وبكلمة واحدة التضحية بالذات.

لكنه يرى في بابا مثل "يوليوس الثاني" بخلاف ذلك، قائدَ بناءٍ وجيش لا يَكلُّ. في عيون الكثيرين من الأوروبيين المهمين، قاربت البابوية حوالي العام 1500 السلطةَ الأرضية وإغراءاتها إلى حد بعيد. نعم حتى أنها استسلمت لها (أيضاً).

twitter @baghdad_library

بالنسبة لهؤلاء، فإن ما يسمى بـ "ساكّو دي روما — Sacco di Roma"— مذبحة روما أي نهبها القاسي بواسطة القوات القيصرية في العام 1527ٍ — يشكل العملَ المريعَ، ولكنه بطريقة ما، يعبّر عن عقاب مستَحَق (بسبب) الابتعاد المريع (عن مبادئ الكنيسة الحقيقة).

منذ (زمن البابا) "غريغور - غريغوريوس السابع" (1073 - 1085)، تَرتّب على كلّ بابا يمارس سلطته، القيامَ بذلك بطريقة خاصة وفردية، تَسِمُ أسلوبَ وشكلَ حُكمه بطريقة مميَّزةٍ، غير قابلةٍ للاشتباه بخصوصيتها. مع هذا فإن الطيف (في ممارسة السلطة) محدود بزوايا، ومع ذلك فهو عريض بما يكفي.

هناك البعد اللاهوتيّ، أي الصلاحية الأعلى للبابا في مسائل المعتقد والأخلاق، يضاف إليها سلطة الحكومة العليا على الكنيسة المرئية، ما يعني علٍى الموظفين (لديها)، على الكهنوت وعلى مؤسساتهم ومواردهم.

ثالثاً، تَرتّبَ على كل خلَفٍ لبطرس قيادةَ حكومة دولة الكنيسة التي تشكلت وأخذت لها حدوداً واضحة منذ حوالي العام 1200 في وسط إيطاليا، والتي نجمت عنها - رابعاً - المداخيلُ المادية (للكنيسة)، والتي استدعت تلك المرتبة العليا - التي ذكرناها عدة مرات - والمراقبة العليا للحكام المسيحيين وللدول (أيضاً)

على الرغم من ذلك فإن الواجبات الحقيقة وصلاحيات الوظيفة لا تجد نهايتها (ضمن هذه الحدود فقط). كإنسان من لحم ودم فإن للبابا أصدقاء وأقارب.

إلى أي حد يُسمح لهم (الباباوات) كقضاةٍ آباءٍ، وكمصالحين للمسيحية أن يدعموا هذا (الأمر؟).

حوٍل هذا (الموضوع) يتم النقاش، على مدار قرون عديدة، بعمق وبرفض (أيضاً)، وبرغم ذلك لا تزال العبارة اللاهوتية (المبدأ) الأساس،التي صاغها (البابا) "ليو الأكبر" في القرن الخامس (التي تقول:)

إنّ هيبةَ بطرس (التي تحلّ) في أحد خلفائه، من غير ذويٍ الهيبة، لا تَضيعُ. إن ظهور بعض الباباوات المشكوك بتصرفاتهم أخلاقياً، لا ينكرها بعض المؤرخين الكاثوليكيين مثل الكاردينال

"سيزَر (قيصر) بارونيو – Cesare Baronio" **1538 – 1607**.

حسب وجهة نظره، فإن ما يميز الكنيسة (هي) القدرةُ المعطاةُ (لها) من الله، في أن تتجاوزَ – من خلال التجديد الذاتي – مثلَ هذه الانحدارات في تاريخها.

من هذا المنطلق، لا يصلُح الأحبارُ "الأرضيون" أن يُعتَبروا حجةً "ضد الكنيسة" في الصراع الثقافي، الأمر الذي لا ينتبه إليه اليوم الكثيرون من الأوساط المهتمة (بهذا الموضوع).

على مدار القرون نشأت، من خلال تكوين وممارسة شكل السلطة، ذي الطابع المميِّز الفردي، أولوياتٌ مختلفة متأرجحة ما بين الانصراف عن العالم الأرضي (التقشف) – كما هو الحال عند الحَبر الأعظم "كولِستين – قُلَسْتينُس الخامس – Coelestin V" (**1294**)، الذي حيَّته وصوّرته قوى التجديد المتطرفة في الكنيسة بتسميته بـ "البابا الملاك"، والذي اضّطره الواقعُ السياسي القاسي إلى الاستقالة – وما بين شكل الحكم المتطرف في محاباة أقربائه، كما عند (البابا) "الإكساندَر – إسكندر السادس – Alexander VI"، الذي وضَع اعتباراً من عام **1492** ولمدة أحد عشر عاماً، خطوطاً واضحة (لطريقة الحكم)، ولخلفائه من أبنائه الجسديين (توريث البابوية).

شكل مغاير تماماً لطريقة الحكم نجده عند الحَبر – الذي طُوِّب روحانياً عام **1956**، (البابا) "إينّوزينْز الحادي عشر – Innozenz XI" الذي اختطَّ (خلال فترة حكمه) **1676 – 1689** سياسةً اقتصاديةً ذكيةً ابتدأها بتقليص الديون المالية الكبيرة للباباوية بنجاح وبتقشف ذاتي زاهد، وبالاستغناء الكامل عن دعم أقربائه

أما الباباوات في الزمن المعاصر فقد مارسوا المهمات والأولويات المختلفة من خلال سلوك طريق وسطٍ يحاول أن يوائم بين تلك الأشكال، استناداً إلى اللاهوتيين الذين يؤكدون أن المسيح، ابن الله، أمسى إنساناً، وبالتالي فإن البابا لهذا لا يمكن له أن يكون غريباً عن هذا الجانب البشري.

twitter @baghdad_library

ترجمة نص الكتاب:

الباباواتُ
أسيادٌ على السّماء والأرضِ

من "كانوسّا" إلى "أفِنْيون"
"Canossa nach Avignon Von "

الكاتب: ينْس – بيتر بيهريند

Jens - Peter Behrend

تعريفٌ بالكاتب:

ولد عام **1945**. درس التاريخ وعلم الاجتماع والمسرح. يعمل ككاتب حرّ وكمخرجٍ لأعمال وثائقية ومنتج وكاتب.

قدّم أعمالاً وثائقية للتلفاز الألماني (الرسمي)– القناة الثانية – ZDF – مثل مسلسلات:

الأرض المجهولة – Terra - X.

رحلات الجحيم –Hoellenfarten.

إلى أين تذهب؟ – Quo Vadis.

أبو الهول – Sphinx.

مركز الثقل في أعماله – خلال السنوات الأخيرة – يقع في مجال تاريخ الأديان.

twitter @baghdad_library

(البابا) "غريغور السابع – Gregor VII" يتهيأ للاستيلاء على السلطة الأرضية (العالَم).

ألفا عام من الأحداث المثيرة مرّت على تاريخ البابوية، وسحرت (الناس) مثل الباباوات الـ 264 الذين تعاقبوا منذ الرسول بطرس على رئاسة الكنيسة الرومانية – الكاثوليكية، وكثيراً ما كانوا ضحايا للدسائس، والخيانة والقتل.

كذلك كثيراً ما كانوا يلجؤون إلى وسائل منبوذة لتحقيق أهدافهم أو لتثبيت سلطتهم.

هناك بعض القرون مرّت قضى فيها بعض الباباوات نحبَهم بالسُّم أو القتل وكانوا أكثر ممن توفّوا بشكل طبيعي.

إنهم بشر من لحم ودمٍ، وبهذا فهم معرضون، كغيرهم من الناس، للإغراءات أيضاً.

بعضهم قام بأعمال كبيرة للمسيحية وللعالم، بعضهم الآخر كان مهووساً بالسيطرة والسلطة، بالملذات، كان من الضعفاء المرتشين المستغلين لمنصبهم الرفيع، وبعضهم كان شيطانياً، دخل التاريخ كمضادٍ للمسيحية.

في زمن ملاحقة المسيحيين، كان الباباوات شهداءً، ضحايا القياصرة الرومانيين، لكن منذ أن طلب القيصر قسطنطين، وهو على فراش الموت، العِماد– المعمودية، أصبحوا هم في مركز السلطة.

بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية نهائياً في القرن الخامس، أعطَت المسيحيةُ روما ما يشبه التّماسك الداخلي.

أسقفُ روما، رأسُ الكنيسة، هو الشخصية الرئيسية التي ورثت القيصر الروماني.

استمرت سلطةُ البابـاوات أطـولَ مـن أيـة سـلطة أخـرى منـذ الـزمن الكلاسيكي القديم (الأنتيكـي). كـثيرة هـي الإمبراطوريـات الـتي طالبـت (لنفسها) بالخلود لكنها (برغم ذلك) زالت.

في زمـن البابـاوات نشـأت إمبراطوريـة المغـول والأمـويين، والإمبراطوريـة الشرقية البيزنطية، ومملكتا الأسبان والإنكليز العالميتان.

كلهم عـاش الازدهـار والسـقوط، بينمـا البابـاوات تـابعوا إدارة مصير المسيحية بثبات لا يهتز.

في القرون الوسطى (العصر الوسيط) تصارع البابواتُ مع القياصرة الألمان للسيطرة على المسيحية.

إنه الصراع الذي وجَد ذروته الأولى في الحدث الذي لا يزال يحمل حتى اليوم، اسم بلدة صغيرة في إيطاليا العليا (الشمال):
"كانوسّا — Canossa".

وراء هذا الاسم تختفي قصة ملك شجاع استسلم أمام البابا.

لكن القليلين يعرفون أن هذا الحدث كـان البـدء فقط (لنشـوب) حـرب مريـرة بـين الملـك والبابـا مـن أجـل الاعـتراف (بأحقيـة السـيطرة علـى المسيحية)، حرب استمرت حتى نهاية حياتهما.

إذا كان اسم (كانوسّـا) يشـير إلى مسـيرة طلـب العفـو، المُذلَّـةِ حرفيـاً، (للملك) "هاينرش الرابع" مـن البابـا، فـإن اسـم مدينـة أخـرى يشـير إلى انهزام البابوية: أفنيون.

مع اسم أفنيون ترتبط مرحلة تاريخية، كان فيها اثنان مـن البابـاوات (في السلطة، في آن واحد معاً)، وحتى ثلاثة منهم أحيانـاً، وكـان يحـارب بعضهم بعضاً حتى حد السكين.

في مرحلة تعتبر من أدنى النقاط الأخلاقية في تاريخ الغرب.

twitter @baghdad_library

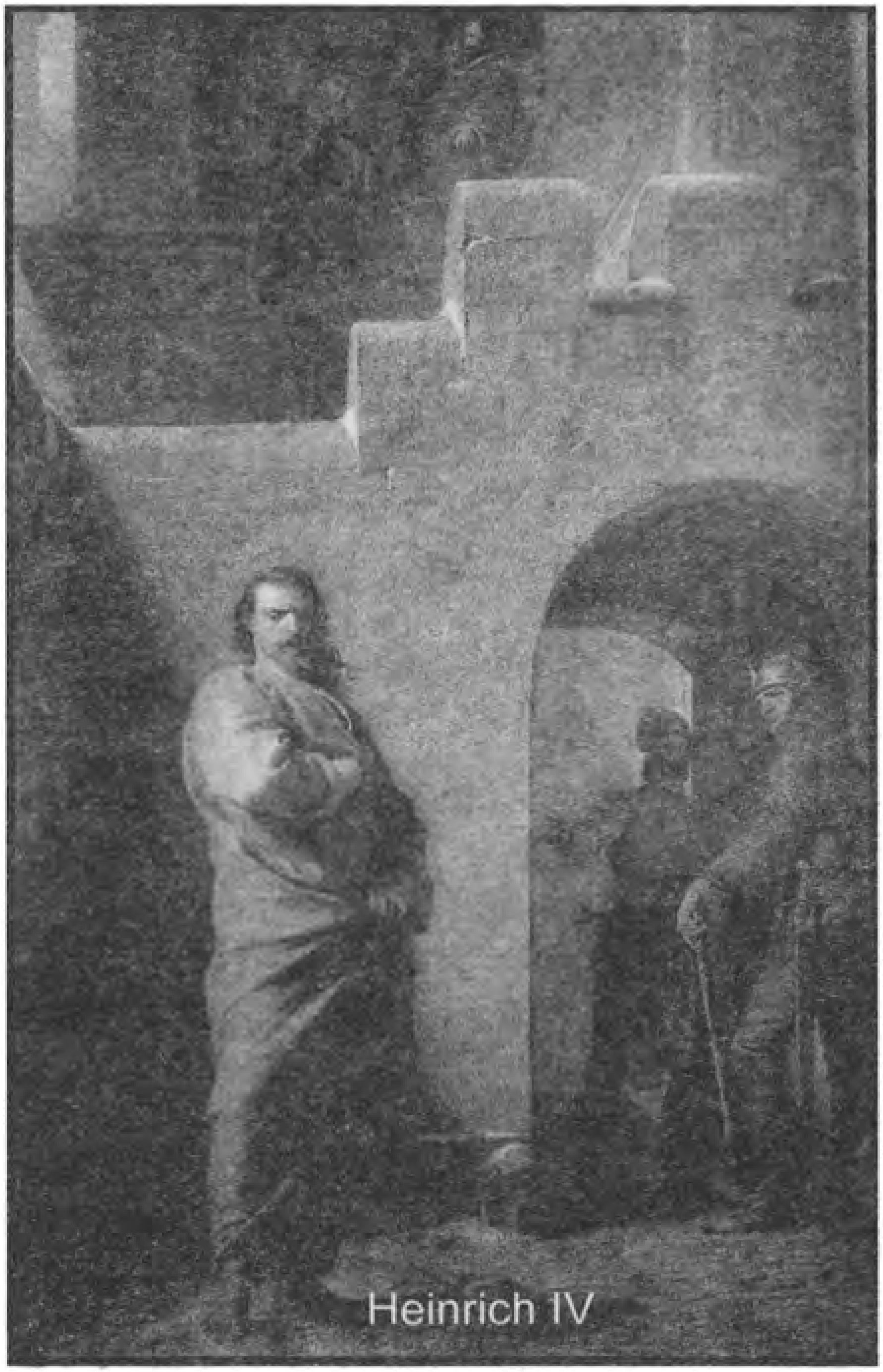

الملك الألماني "هاينرش الرابع" في كانوسّا يطلب العفو من البابا "غريغور السابع".

twitter @baghdad_library

ركائزُ العالَمِ تَختَلُّ

Die Welt geraet aus den Fugen

تبدو القصة معروفة (لنا). خصمان قويان يتصارعان من أجل السيطرة على العالم. صراع متغير بين النصر والخسارة، حتى يستسلم في النهاية أحدها للآخر، الذي يستطيع أخيراً أن يحكم العالم (بمفرده).

التاريخ يجري حسب نمط لا يحصى من المَرْويّات.

بدْءاً بالحكايات الأسطورية، مروراً بفلم خيالي،ووصولاً إلى (ما يسمى) "مانغا — Manga" اليابانية ومع ذلك فإن هذا هو تاريخ صراع واقعيّ، "أبطاله" باباواتُ العصر الوسيط.

كان شتاءُ عام **1076** شتاءً قاسياً، عندما انطلق الملكُ (الألماني) "هاينرش الرابع" من مدينة الأسقفية "شبايَر — **Speyer**" (على نهر الراين) في رحلة نحو إيطاليا، ترافقه جملةُ أتباعه وزوجه (برتا)، وابنه الصغير "كونراد"، وحاشيته وبعض الأساقفة. أمامه تقع (جبال) "الألب" إنها رحلةٌ شاقةٌ.

الأمراء المعادون له، سدوا عليه منافذَ العديد من الممرات الجبلية. الجبال ـ كما كتب المؤرخ "لامبرت فون هيرسْفيلد ـ **L.v.Hersfeld**" — تغطيها كمياتٌ هائلةٌ من الثلوج والجليد.

الهبوط إلى المنحدرات المتجمدة الصغيرة العميقة، لم تكن تتم فيها خطوةٌ، سواءٌ بالنسبة للفرسان أو المشاة، من دون خطر (محدِق).

على المَعبر الجبلي لجبل "سينيس ـ Cenis"، الذي يرتفع ألفي متر، لم يعد بالإمكان التقدم خطوة نحو الأمام.

الطريق إلى الأسفل كان قد أمسى كالمرآة. الرجال يزحفون وينزلقون ويسقطون. النساء أُجلسوا على جلود بقر وأنزلوا (بالحبال). معظم الخيول نفَقت.

هدف "هاينرش الرابع" هو لقاء البابا "غريغور السابع"، الذي انطلق هو أيضاً برحلة في الاتجاه المعاكس نحو ألمانيا، في محاولةٍ عبور (جبال) الألب أمامه، حتى يُقيم (هناك) المحكمةَ ضد "هاينرش الرابع"

لكن البابا، خوفاً من أن يلتقي بالملكِ (غريمه في الجبال)، هربَ أخيراً باتجاه "كانوسّا"، إلى حصن الأميرة "ماتيلدِه فون توسزين — M.v.Tuszin"، التي كانت حاميتَه، والمسيطرة على توسزين.

بتاريخ 25 / 1 / 1077 وقف هاينرش الرابع، عاري القدمين، أمام بوابة كانوسّا مبتدئاً طقس طلب المغفرة (من البابا).

بقي واقفاً هناك مدة ثلاثة أيام، في البرد القارص، يلفه قميصٌ صوفيٌّ، عاري القدمين، باكياً، متوسلاً إلى البابا أن يعفو عنه.

هذا المشهدُ: صورة الملك، طالب الغفران أمام برج "كانوسّا"، يغدو شهيراً.

بعد ثمانية قرون، ظلت (هذه الصّورة) معروفةً في ألمانيا، حتى إنّ (المستشار الحديدي الأمير أُتّو فونْ) "بسماركْ" لا يحتاج إلى شرح عندما نادى في البرلمان بتاريخ 14 / 5 / 1872 قائلاً:

"لا تقلقوا، لن نذهب إلى كانوسّا، لا جسدياً ولا روحانياً"

"كانوسّا" تعني الملكَ الألماني الذي ارتمى باكياً أمام البابا: هزيمةَ عار أمام أعين الأمة الألمانية الفتية، التي ترى نفسها وريثةً لما كان يعرف بالإمبراطورية الرومانية القيصرية.

على الرغم من أن شخصية "هاينرش الرابع" لا تشكل اليوم قُدوةً للفكر القومي (الألماني)، إلاّ أن ذكرى الملك الباكي ظلت (في الذاكرة).

من يقُلْ "كانوسّا"، يستحضرْ صورةً يفهمها الجميع، صورةً ذات قوة خرافية، نفكر فيها بالاستسلام والمَهانة.

إن المسيرةَ إلى "كانوسّا" هي حتى اليوم مرادفةٌ لمسيرة طلب عفوٍ مُذلّةٍ.

في وسط التاريخ تقف شخصيتان عنيدتان: البابا "غريغور السابع"، والملك "هاينرش الرابع"، كلاهما ذو طبع صعب، مُستبد، غير مُهادن، وكل حاكمٍ (منهما) واثقٌ من مَهمته الإلهية.

إنهما يتصارعان حتى الموت، ويظلا ن، بقية عمرهما، يعَضُّ أحدُهما الآخر

twitter @baghdad_library

حريّة الكنيسة

Freiheit der Kirche

عندما اعتلى (البابا) "جورج السابع" عرش البابوية، كان الإصلاحيون قد أنجزوا منذ زمن برنامجهم لتجديد الكنيسة، الذي يسمونه (حريّة الكنيسة).

على الكنيسة أن تكون حرةً من كل التأثيرات الخارجية، ولهذا فهي تحتاج إلى جهاز سلطةٍ مركزي.

من غير الكافي أن يكون البابا أُسقفاً رومانياً، وإنما يجب أن يكون أعلى مرجعيةٍ للكنيسة كلها.

في عام 1059 غيّر الإصلاحيون قانونَ انتخاب البابا، (بحيث) لم يعد ممكناً، من الآن فصاعداً، انتخابُ البابا من قبل الكهنوت والشعب (معاً)، كما كان الأمر سائداً، وإنما من قِبل هيئة يشغلها الكرادلة (فقط).

(أما) رجال الدين، من غير المتخصصين، فلا مكان لهم فيها.

حكومة الكنيسة تتشكل على غرار البلاط الملكي. الكنيسة تعطى موظفين خاصين بها، وإدارة خاصة، وبإمكانها الآن أن تعمل حسب قواعدها الخاصة.

(البابا) "غريغور السابع" يفعل كل شيء من أجل تحقيق أهداف الحركة الإصلاحية. إنه يكتب عدداً لا يحصى من الرسائل والأوامر التي يرسلها إلى كل العالم المسيحي.

على الجميع أن يعرف: روما، اعتباراً من الآن (فصاعداً)، هي مركزُ دائرة الأرض، والأسقفُ الروماني هو رأسُ كل الكنيسة، وعلى الجميع أن يطيع البابا.

أهدافه الإصلاحية، يصوغها (البابا) في نيسان من عام 1075 على شكل لوائح أساسية تحتوي على 27 مبدأً قيادياً ضمّها (الإعلان البابوي) المسمى "ديكتاتوس بابيه — **Dictatus Papae**"

إنها (اللوائح) تتجاوز كلَّ ما صاغه الباباوات حول منصبهم (سابقاً)، حيث يقال فيها إنّ البابا الروماني وحده، يملك الحقَّ بأن يُسمّى بالكوني، وبإمكانه (وحده) أن يعفي الملوك والأساقفة من مناصبهم.

البابا هو "دون شك مقدسٌ"، وعلى كل الأمراء، أن يقبّلوا رجليه وحده.

twitter @baghdad_library

رسالة تعريف:

(البابا)"غريغور السابع".

Steckbrief: Gregor VII

اختلفت الآراءُ حول البابا غريغور السابع ،حتى في أثناء حياته.

كان بالنسبة لبعض الناس مثالاً للأخلاق النقية، بينما كان بالنسبة للآخرين مخرباً للعالم، رجعياً، شيطانياً، ديكتاتوراً (جالساً) على مقعد بطرس (الرسول).

ولد (البابا) عام 1020 في منطقة "توسْكانا – **Toskana**" (إيطاليا)، لأبوين فقيرين.

صعد ببطءٍ سلَّم (وظائف) السلطة الكنَسية، حتى وصل إلى المرتبة الأعلى فيها.

كيفيةُ وصوله إلى وظيفته رمَتْ، منذ البَدء، ظلاً على سمعته، لأنها لم تجرِ حسب القوانين المتعلقة بانتخاب البابا، التي كانت قد صدرت قبلها بأعوام قليلة.

حتى إبّان دفن سلَفه (البابا الراحل)، قام أتباعُه والشعبُ، بشكل فوضوي، بالإعلان عن ابتهاجهم بتنصيبه في وظيفة البابا (الجديد).

كان خصومه يطلقون عليه اسم "نار الجحيم – Hoellen**brand**"، (متلاعبين بالألفاظ) ومحوِّرين اسمه الحقيقي، وهو "هِلدِه براند – **Hiledebrand**"، إلى هذا اللقب.

كان (البابا) قاسياً، جَلِفاً، لا يعرف الرحمة – كما يقال – ضد أعدائه، حتى إنّ أصدقاءه كانوا يعانون من طبيعته المُمرضَة.

"بطرس دامياني – **P.Damiani**" – وهو اقرب مساعديه – كان يسميه "الشيطان المقدس والنَّمِر الهائجَ"، وتابع (قولَه) شاكياً:

"إنه يَصرخ بي بقوّةٍ جارحةٍ، كريح الشّمال الصاخبةِ"

لكنّ "غريغور السابع" لا يبالي بما يفكّر به الناسُ عنه. إنه يَشعر بنفسه كيَدِ الله، وهو واثق من رسالته.

هدفه سيطرة سلطة البابا على كلّ أمراء المسيحية، وهدفه ليس بأقلّ من السّيطرة على العالم. إنه يؤمن بمهمته الإلهية في تحقيق مكانة البابا العُلوية فوق المجال الدُنَيوي والديني، وفوق ذلك فهو ملزَم - كما يشعر - بتحرير الكهنوت من تأثير سلطة الحاكمين (ملوك... الخ).

من المميِّز له، أنه كان يضع مبادئه الأساس، التي هي هدف سياسته، على شكل قرار مكتوب يسمى "قرار البابا - ديكتاتوس بابيه"

حيثما كانتَ ظروفُ السلطة (القوة) تَسمحُ، كان يُبدي نفسه ديكتاتوراً، وعلى استعدادٍ تامٍ لإراقة الدماء.

الكثيرون من معاصريه، كانوا يَستنكرون عليه نزوعه نحو العُنف.

عزيمتُه لا تعرف الرحمةَ، عندما يتطلب الوصول إلى أهدافه استعمال الوسائل العسكرية. إنه معجب بنفسه كقائد عسكري ميداني.

في الجنوب الإيطالي (نـّراه) يحارب النورمانديين (وهم من الشعوب الجرمانية القادمة من شمال أوروبا التي احتلت فرنسا أيضاً، ولا تزال حتى اليوم منطقة النورماندي تسمى باسمهم).

إنه يخطط للدفاع عن القسطنطينية ضد الأتراك، ويحلم بتحرير القدس (من المسلمين الكفار!).

إنه ليس بابا بمقاييس الزمن الحاضر وتصوراته، (البابا) الذي يفهم وظيفته مقصورة على القيادة الروحية للمسيحية.

إنه رجل سلطة، يطرح على نفسه أسئلة حاكم إرهابي، لم تكن أهدافه مقصورة على إرضاء طموحه الشخصي (فقط).

قبل وصول "غريغور السابع" إلى (منصب) البابوية، كان يـُعتبر المثل والقوة الدافعة وراء (حركة) الإصلاح الديني التي أخذت تتشكل وتتوحد منذ القرن العاشر، ضد الأحوال السيئة في الكنيسة. الإصلاحيون الكنسيون يطالبون بتجديد

twitter @baghdad_library

الكهَنوت أدبياً وأخلاقياً، وبأن يعيش رجال الدين حسب قواعد وقوانين الكنيسة، وقبل كل شيء عليهم منذ الآن الامتناع عن الزواج، وهو مطلب لم يكن يومها بدَهياً مسلّماً به. البابا "غريغور السابع" يتشدد في تطبيق هذا الأمر (أي مبدأ) "العفة (البتولية)- **Zoelibat**" فوجد معارضة شديدة لذلك.

الكهنة المتزوجون كانوا يشكلون (يومها) القاعدةَ وليس الاستثناء. حتى يرغِم (البابا) الكهنةَ (على اتباع مبدأ العفة هذا) هددّهم بمنعهم من القيام بخدمة الصلاة الكنسية، كما منع الناس العاديين من تقبِّل خدمات الوظيفة الكنسية (زواج – عمادة – دفن...) من قبل رجال دين متزوجين، ومنع عنهم بذلك مصادر رزقهم.

أخيراً، رأى في إرغام رجال الدين على الانفصال عن أزواجهم، ولو بالقوة، أمراً مشروعاً.

قاد مصلح الكنيسة (هذا)، قوي الذراع، حملةً ضد ما يسمى بـ "سيموني – **Simonie**" وهي (عملية) شراء الوظيفة الدينية (الشائعة).

لكن هدفه الأعلى في كل جهوده، كان جعل البابا سيداً على ضمير كل مسيحي، ومَن يسيطر على وعي الناس، يتحكم بهم من الداخل، وبمردود أفضل من استعمال القوة الفجة.

هذا ما صاغه بعده بحوالي 500 عام "ماكيافيللى – **Machiavelli**" (في كتابه الأمير).

دخل هذا البابا المحارب التاريخَ من دون كلل، من خلال النزاع حول ما يسمى "خلاف الإنفِسْتِتور – **Investiturstreit**"، وهو تحديد أحقيّة تسمية الأساقفة وشخصيات الكنيسة من ذوي المراتب العليا، الأمر الذي يمس بقوة مصالح الأمراء والبابا أيضاً.

هذا الصراع الكبير أدى إلى تصادم الأمراء الحاكمين من جانب، مع القوة الدينية الكنسية في الجانب الآخر، ووصل ذروته فيما يسمى "المسيرة نحو كانوسّا" الذي وجد نهايته في حرمان الملك "هاينرش الرابع" كنَسياً (طرده من الكنيسة)، الأمر الذي دفعه عام 1077 إلى الاستسلام علانيةً أمام البابا، وكأنها سخرية التاريخ أن يعلن البابا الحِرمان مرة أخرى على الملك "هاينرش الرابع" _ بعد أن كان قد عفا عنه على

مضض)، وإلى قيام عداوة مريرة بين الخصمين، أُرغِم نتيجة لها البابا "غريغور السابع" على الذهاب إلى المنفى، حيث توفي عام 1085 منبوذاً خائباً.

"إنني أحبُّ العدالة، وأنا أكره الشر، هكذا وجبَ عليّ أن أموت في المنفى
هذا ما هو مكتوب على قبره.

لم يكد "غريغور السابع" يتسلم البابوية حتى تورط في نزاع مع الملك، وذلك بسبب (حق تعيين) الأساقفة وما يسمى "بتعيين الغُشَماء –" (من غير المختصين في الشؤون الكَنسية).

حتى ذلك الوقت كان من حق الملك تعيين الأساقفة، و"غريغور السابع" نفسه، في بدْء حكمه، اعترفَ بهذا الإجراء.

عندما قرر (البابا) القيام برحلة إلى القبر المقدس (في القدس)، خطط لوضع الكنيسة الرومانية تحت وصاية الملك حتى يقوم برعايتها وحمايتها إبان غيابه، غير أن البابا، بعد وقت قصير، عزَف عن (متابعة) موافقته على هذا التقليد.

المصلحون الكنسيون يرون حتى في الملك، أحد الغُشَماء الذين ينطبق عليهم ما ينطبق على غيرهم، وبالتالي على حق إعطاء الوظائف الكنسية من قبل الغُشَماء أن يسقط.

من لا يقبل بهذا – أعلنها البابا صراحة – فهو يذنِب بحق الله، وهذا يعني إعلان الكنيسة الحرب على الدولة، لأن الملك يعتمد على تنصيب الأساقفة في وظائفهم، وهم يقسمون له قسم الولاء.

الأساقفة يقومون في وظائفهم (الكنسية) بمهام الدولة، ويملكون، في العديد من مقاطعات الإمبراطورية، حقوقاً سلطَوية، ويشكّلون، بهذا جماعة عسكرية (تابعة للملك).

ميزة أخرى يستفيد منها الملك بتعيينه الأساقفة، ذلك أن وظائفهم لا تورّث.

إذا فقد الملك السيطرة على كهنوت الإمبراطورية، فإن مركز قوته سيضعف، وبهذا كان النزاعٍ بين (البابا) "غريغور السابع"، و(الملك) "هاينرش الرابع" مُبرمَجاً مسبقاً.

twitter @baghdad_library

حاكمٌ دون عَفوٍ (ورحمةٍ)

Herrscher ohne Gnade

كان عمْر (الملك) "هاينرش الرابع" 26 عاماً عندما بدأ يتحدى البابا، ومعروف عنه (الملك) صلابته، وهذا معاصر غَضوب ينفِّر الكثيرين منه، بسبب طريقة حكمِه الجَلِفة واعتداده بنفسه، وهذا ما يلقى معارضةً عند أُمرائه، الذين يشعرون بأنه لا يهتم بهم.

النبلاء والكهنوت يريدون، استناداً إلى أنموذج متفَّق عليه سابقاً، المشاركةَ في الحكم.

منذ طفولته وبطريقة جارحة، كان على الملك (الطفل) أن يحيا (ويرى)، كيف يريد أعداؤه السياسيون بقسوةٍ، أن ينالوا من حياته:

كبير أساقفة (المدينة الألمانية كولونيا) "كولْن – **Koeln**" أمَر باختطافه، ولو لم يتَسنّ له، بقفزة جريئةٍ (من برج سجنه) إلى (نهر) "الراين" وإنقاذ حياته، لكان – على الأغلب – سيقتل.

عندما أصبح "هاينرش الرابع" في سن 16 تسلّم مقاليد الحكم، وبدأ بعد ذلك بقليل ببناء منشآت حصينة في كل البلاد.

لم يكن الهدف منها صدّ أعداء الخارج، وإنما تثبيت حكمه في الداخل.

جماعات خدّام الملك (جنود) المدججون بالسلاح، أثبتوا أنهم وباءً على الجوار.

تزايَد عددُ السادة من ملاّك الأرض الذين شكوْا من سرِقة أملاكهم، ومن اغتصاب نسائهم وبناتهم (من قبل الخدم – الجنود).

في عام 1072 حدث تمردٌ (ضدّ الملك) في (مقاطعة) "ساكسِن"، تلَتها حربٌ أهلية.

بعد عامين تمكّن "هاينرش الرابع" في موقع أنستروب – على مقربة من منطقة "الهارس – Harz" من الانتصار على جيش الثوار.

يقال إنَ أنصار الملك ذَبحوا (جيش) المشاة كالحيوانات. بعد انتصاره على الساكسِن كشف هاينرش الرابع عن طريقة تفكيره في الحكم بوضوح تام.

إنه يتنصّل من وعوده التي أعطاها للمغلوبين، من أمراء ونبلاء وأساقفة، في حالة استسلامهم له، لكنه بعدها صادَر مدنهم وأبراجهم وأملاكهم ووزعها على أتباعه.

منذئذ عُرِف عنه بأنه حاكم دون عفو (رحمة).

أصيب شعبُه بخيبة أمل (منه)، لأنهم يتوقعون من الملك أن يكون رحيماً أيضاً.

لم يكن الأمر عند "هاينرش الرابع"، مجرد أمر سلطة شخصية (فحسب). إنه هو مثل (البابا) "غريغور السابع"، يرى نفسه ممثلاً لنظام عالمي أكبر منه.

لم يكن لزاماً عليه أن يأتي بأفكار جديدة ميدانياً، فهو يستطيع الاستناد إلى التقاليد، التي طبَقها والده "هاينرش الثالث"، عندما عزَل ثلاثة باباوات (حكموا في آن واحدٍ معاً) ليدع البابا الذي اختاره يقوم بتتويجه قيصراً.

بالنسبة (لسلالة) "الساليّين – **Salier**"، التي ينتمي إليها "هاينرش الرابع"، فإنّهم يعتبرون الملك وكيلاً للمسيح على الأرض، وظيفته تحقيق النظام الإلهي في العالم.

إنه (الملك) يُمثّل "جسدَ المسيحِ – **corpus christi**" (وبالتالي) وحدَة الكنيسة والدولة التي يرأسها يسوع المسيح غير المرئي. بهذا الوعي يتصدى "هاينرش الرابع" للعالم.

بعد انتصاره على الساكسِن، يشعر الملك بأن حكمه الإمبراطوري أمسى متيناً، ويعتقد أن بإمكانه الآن أن يتحدى البابا، فيقوم بنفسه بتعيين كبير أساقفة جديد في "ميلانو"

"هاينرش الرابع" لا يعرف أن هذا سيشكل الخطوةَ الأولى في "مسيرته نحو كانوسّا"

twitter @baghdad_library

حربُ الكلماتِ

Der Krieg der Worte

البابا ينتظر، ثم يكتب رسالة إلى "هاينرش الرابع"، ورد فيها: أن هاينرش (بعمله المذكور أعلاه) قد خيّب ظن البابا (فيه)، وظنَّ مؤسس الكنيسة بطرس المقدس.

إنه يذكِّر هاينرش بما كان قد أصدره من (قانون) منع تدخل الغُشَماء في أمور الكنيسة.

أخيراً يهدَد (البابا) "هاينرش الرابع" بحجب التّحية والبرَكة الرسولية عنه إذا لم يقم بإطاعته كملك مسيحي.

المبعوثون الباباويون الثلاثة، الذين حملوا الرسالة إلى هاينرش يوم رأس السنة من عام 1076، لم يسهّلوا المهمة (على الملك). إنهم يطلبون من هاينرش الرابع أن يقيلَ مستشاريه الذين جرى حرمانهم كنسياً، وأن يقوم هو بالتكفير عن جرائمه، وبذلك يُفهمون الملك ويوضحون له بأن البابا قد يضطر إلى استعمال الحِرمان ضده، بسبب كل ما فعله، وبخلعه من منصبه كملك.

على الفور قام "هاينرش الرابع" بنشر رسالة البابا علناً، ودعا "برلمان الإمبراطورية – **Reichstag**" إلى الانعقاد بتاريخ 24 / 1 / 1076 في "فورمْس – **Worms**" (المدينة الشهيرة التي أطلقَ منها مارتن لوثر فرضياته –قضاياه، أطروحاته – الـ 95).

هنا في "فورمس" يسيطر أعداء "غريغور السابع" (على الموقف).

إنهم يتهمون البابا بكل الأفعال المشينة، وبخاصة الأساقفة منهم، الذين يشيرون إلى الإهانات التي ألحقها بهم "غريغور السابع"، وبخاصة الطريقة التي يخاطبهم بها البابا (عندما يقول لهم): "أنا آمرك" وليس "أنا أنبّهك"

بهذه اللهجة (القاسية) يخاطب المرءُ (ملاّكُ الأرض) المسؤولينَ عن إدارة أملاكهم من غير الأحرار، وليس الأساقفة.

في ردّهم على البابا، يطلقون (الأساقفةُ) العِنان لغضبهم، فيخاطبونه بـ "الأخ هلده براند" أي باسمه الشخصي (قبل باباويته)، حاطّين بذلك من مقامه، ومعبرين عن عدم اعترافهم به كبابا، معلنين أن انتخابه لم يكن شرعياً.

إنه (البابا) مغرور متعجرف، يقسِّم الكنيسةَ ويتسبب بالعداوات والفوضى. إنه ينتزع من الأساقفة كلَّ سلطاتهم الوظيفية لنفسه.

"هاينرش الرابع" يكتب (إلى البابا) رسالة أيضاً، يصف فيها غريمه بأنه "أسوأ عدو للإمبراطورية" لأنه حجب عنه، عن هاينرش الرابع، مقامَ الجلالة الذي ورثه، ويعني بذلك هيبة وجلالة القيصر الروماني، التي لم يكن البابا قد منَحها بَعْدُ لـ "هاينرش الرابع"

يتابع "هاينرش الرابع" (في رسالته) أن البابا تجرأ على التصدي "للرأس"، للملك نفسه، ولا يحق للبابا محاكمة الملك، ويأمر البابا أخيراً بتقديم استقالته (قائلاً له):

"ترجّل، ترجّل، (أيها) الملعون إلى الأبد"

حمل رسلُ (الملك) الرسالةَ إلى روما.

في نداءٍ للشعب والكهنوت يطلب الملك "هاينرش الرابع" من (أهل) روما أن يرغموا البابا على الاستقالة وينتخبوا باباً جديداً يقوم "بشفاء ما جرحه هذا" – البابا غريغور السابع –.

المؤرخون يتسابقون في الإعجاب، عندما يصفون هذا الصراع.

(المؤرخ) "يوحنا هَلَّر – **Joh. Haller**" يقول بأن "هاينرش الرابع" ابتدأ حرباً لم يعش ليشهدَ نهايتَها، وأنه (بذلك) أَلقى بنفسه للشقاء، وجعل من حكومته تمثيليّةً تراجيديةً (حزينةً)، كما ألقى على مصير الإمبراطورية الألمانية البعيد، ظلالاً طويلةً سوداءَ.

twitter @baghdad_library

ما حدث بعد ذلك فاق حقاً كل التوقعات.

(البابا) "غريغور السَّابع" أمر بالقبض على الرسل المبعوثين، الذين جلبوا إليه رسالة الملك، وأمرهم بقراءة الرسالة أمام مجمعٍ لرجال الدين (سينوديوس – Synode).

بعد ذلك حصلت الفوضى والعنف (في هذا اللقاء)، حيث انقضّ المؤتمرون على المبعوثين وضربوهم بقسوة، ولولا أن قام البابا بالتدخل- تحت تعريض حياته للخطر –، كما يقال، لكانوا على الأرجح قد قتلوا.

بتاريخ 22 / 2 / 1076 يُعلن "غريغور السابع" عن حكمه (في القضية)، الحكم الذي يعطيه شكل دعاءٍ حار موجّهٍ إلى أمير الرسل بطرس، يمكن للمرء حتى اليوم أن يتصور وقْعَه على معاصريه (جاء فيه):

"من أجل مشيئتك (يا بطرس: قال البابا)، أُعطِيتْ إليّ السلطةُ من الله أن أربط وأحل في السماء على الأرض (وهو ما قاله السيد المسيح لبطرس)، وبالاعتماد على هذا، وباسم الآب والابن والروح القدس، وبقوة من تفويضك، ومن أجل مجد وحماية كنيستك، أمنع الملك "هاينرش (الرابع)" ابن القيصر "هاينرش (الثالث)" الذي تمرد بكبرياء غير معقول، على كنيستك، (أمنعه) من حكم كامل الإمبراطورية الألمانية والإيطالية، وأحرر كل المسيحيين من قيد القَسم الذي أقسموه له، وأمنع كل شخص من خدمته كملك، وبما أنه كمسيحي احتقر الطاعة ولم يعد إلى الله، وتابع التعامل مع من وقعَ عليهم الحِرمان، واحتقرَ تحذيراتي له، وفصلَ نفسه عن كنيستك، وحاول شطرها، لهذا أربطه بك عوضاً عن قيود اللعنة، حتى تعرفَ الشعوبُ أنك أنت بطرس وأن ابن الله بنى كنيسته على صخرتك، التي لا تستطيع بوابة الجحيم التغلب عليها"

بذلك قام "غريغور السابع" بفصل "هاينرش الرابع" من جماعة أتباع الكنيسة، ومن معتقدها الديني والقانوني (الحِرمان).

إنهـا المـرةُ الأولى منـذ سـبعة قـرون، منـذ نهايـة الإمبراطوريـة الرومانيـة القيصرية، التي يلجأ فيها،كلٌّ من الملـك والبابـا، لكسـب الـرأي العـام (إلى جانبه).

من على منابر الكنائس نادى الكهان والأساقفة بالدعاية لدعم موقف الملك "هاينرش الرابع"

لكن "غريغور السابع" لم يكن (إبان ذلك) غير فاعل. إنه يكتب من جديد الرسائل ويوجهها – هذه المرة – إلى أمراء الإمبراطوريةً، ليبرر فيهـا أفعالـه، ويشرح في إحداها لماذا يمكن للبابا أن يقوم بحرمان الملك:

"إذا كان بإمكان المقعد الرسولي – استـناداً علـى التفـويض الربـاني – أن يحكم في أمور الدين، فلماذا لا يحكم في أمور الدنيا (أيضاً)؟"

بهذه البساطة يمكن تبرير مطلب السلطة على الكنيسة والعالم.

أصابت رسائل (البابا) "غريغور السابع" نجاحاً.

ببطءٍ أخذت الجبهة حول الملك "هاينرش الرابع" بالتصـدع. أعـداؤه، وفي طليعتهم الساكسن، الذين أهانهم كثيراً، يشتمُّون نسيم صباحٍ (قادم).

أعطى الحكم (الذي أصـدره البابـا: الحرمـان) "غريغـور الرابـع" مناسـبة مرحّباً بها من قبل الساكسن، ليتجرؤوا على القيام بثورة جديدة ضد (ملكهم) "هاينرش الرابع"، حيث قاموا بالتعاون مع الأساقفة الموالين للبابا، بالتخطيط لانتخاب ملك جديد.

في أكتوبر (تشرين الأول) من عام 1076، اجتمعوا في "تريبور" على نهر "الراين"، وهي اليوم بلدة ذات بيوت يدوية الصنع تقع في منطقة الراين ونهر "الماين"، وأقاموا فيها محاكمة ضد "هاينرش الرابع" لمدة عشرة أيام، اتهمـوه فيها بانتزاعه السلطة من أكابر النبلاء، وببنائه البروج لأغراض حربية.

"هاينرش الرابع" أمر بإغلاق المعابر فوق (نهر) "الراين" وأراد (في الأصل) أن يفضَّ هذا الاجتماع بالقوة، لكنه لم يحزم أمـره بـالهجوم، وبقـي متـردداً

twitter @baghdad_library

جالساً في حصنه في "أوبّنهايم – **Oppenheim**" على الجانب الآخر من النهر.

جاءت بعدها المفاوضات بين الجانبين، انتقل إبانها عشرةٌ من الأساقفة الموالين له إلى جانب خصومه، بعد أن تمكن هؤلاء المفاوضون الموالون للبابا من إقناعهم بأنه من الأفضل لمكانتهم الاعتراف بأولوية البابا.

"هاينرش الرابع" استسلم (للأمر الواقع).

"فاقداً روحه ألماً" – هكذا قيل – يَعِدُ (الملكُ) الأمراءَ بالتخلي عن عرشه، وبكتابة رسالة إلى البابا يطلب منه العفوَ.

لكنه يقرر غير ذلك، ولم يتقيد بما اتُّفق عليه، فيوجه الآن الأمراءُ له إنذاراً: إذا عجز الملك، خلال عام من العودة إلى الكنيسة، فإنهم سوف ينتخبون بديلاً عنه ملكاً آخر، وعلى أية حال، يجب أن يحضر البابا إلى "أوْسبورغ" ليقرر (بنفسه) فيما إذا كان من الممكن لـ "هاينرش الرابع" الاحتفاظ بالهيبة الملكية (أم لا)؟.

لم يكن (بعد هذا) أمام "هاينرش الرابع" من خيار آخر.

إذا انتظر حتى وصول البابا إلى "أوْسبورغ" والقيام بمحاكمته، فلربما فقد وظيفته (كملك). أو كان عليه الرضوخ إلى مطالب أعدائه.

لم يعد أمامه سوى مخرج واحد فقط: إذا أراد أن يبقى ملكاً فعليه أن يعطِّلَ اللقاء في "أوْسبورغ" ويستبقَ البابا.

"كانوسّا" والنتائج

Canossa und die Folgen

كان الهدفُ من "مسيرة كانوسّا" – (كما سُميت لاحقاً) – وطلب (الملك هاينرش الرابع) الغفرانَ (من غريمه البابا)، أن تؤمن له، لـ "هاينرش الرابع" البقاء (في المُلْكِ).

إنه يعرف أن البابا ملزمٌ بتحريره من الحِرمان، فيما إذا حقّر ذاتَه بقوة، هذا ما ترتئيه قواعد الكنيسة، ومثل هذا التحقير العلني لم يكن غير عادي – (يومها)–.

إن شخصية "الملك طالب الغفران" لم تكن بعيدة عن تقاليد ملوك (السّاليين) الطّقسية، الذين يفهمون وظيفة الملك، كخلَف للمسيح.

في عملية إذلال الذات يقوم الحاكم بتقليد عذابات المسيح.

والد "هاينرش الرابع"، "هاينرش الثالث"، وصل بطلب المغفرة علناً والبكاء، حدَّ البطولة، وأصبح هذا الأمرُ أداةً هامة في سياسته.

الحاكمُ الذي يبكي في العلن، يوثق لعذابه، كما عند المسيح.

"غريغور السابع" يعلَمُ، أن الواقفَ أمامه ليس بطالب غفران صادق، وإنما هو سياسيٌّ يريد ردّ الاعتبارَ لنفسه (فقط)، ولهذا تمنّع (البابا) بقوة أن يتقبل طلبَ الملك الباكي، ولكن لا خيار عنده، لأن تقاليد الكنيسة تقتضي منه العفوَ.

ما هو حاسم في النهاية– في مَسيرة طلب الغفران الدرامية هذه نحو كانوسّا "–كان وجود (الأميرة) ماتيلده فون توزن – **M.v.Tuszin**" – (مضيفة البابا في قصرها / البرج) وكذلك وجود رئيس الدير "هوغو فون كلوني – **H.v.Cluny**"، وهو عرّاب – إشبين، عمادة هاينرش الرابع، (مع البابا أيضاً).

twitter @baghdad_library

إنهما يشددان الضغط عليه، وهو الرافض طلب الغفران بعنادٍ، طالبين منه الرفق بـ "هاينرش الرابع"

في وقت لاحق برر البابا "غريغور السابع" لأتباعه (أسباب رفع الحرمان عن الملك)، وذلك لأن كل من كان حوله كان يدافع عن "هاينرش الرابع" – وهم يبكون طبعاً – متهمين البابا "غريغور السابع" (بالتصرف) كمستبد متوحش شنيعٍ، حتى خضع أخيراً (لمطلبهم) وعاد "هاينرش الرابع" إلى حضن الكنيسة الأمِّ المقدس.

"هاينرش الرابع" يرتمي أرضاً، مادّاً ذراعيه جانباً، راسماً بذلك (شكل الصليب.

عندها أعطاه "غريغور السابع" العفو والبَركة، وقام، وقد فاض الدمع من عينيه، بمساعدته على الوقوف، وأمسك بذراعه اليمنى، وأعطاه قبلة السلام. ذهبا بعدها معاً إلى الصلاة.

حسابات "هاينرش الرابع" أصابتْ، وتقبّلته الكنيسةُ (من جديد)، وبذلك سحَبَ البساطَ من تحت أقدام المعارضين له من أمراء الإمبراطورية.

مع ذلك لم يكن "هاينرش الرابع" سعيداً (بما جرى له)، لأنه يعرف بأنه أوّل ملك يستسلِمُ لقاضٍ كنَسي (البابا). لم يجرحْ هذا كبرياءَه فحسب، وإنما شعر بأن هيبةَ المَلكيةِ المقدسةَ، من خلال مسيرته لطلب العفو – قد تحطمت.

(الملكُ) يَجلس متجَهّماً، قليل الكلام، إلى الطاولة ولا يأكل، وحسب ما يروى أن أظافره كانت تنغَرسُ بعمق، غضباً، في صفيحة الطاولة.

الأمراء الألمان يبتعدون عن البابا خائبينَ. إنهم يعرفون، أنه (الملك) سيغدو أكثر صعوبة عليهم، بعد أن رفعَ البابا لعنتَه عن "هاينرش الرابع"، فيحاولون بعد شهرين القيامَ بحركة تحرير (أخرى ضد الملك): ويقومون بانتخاب "رودولف فون شفابن – **R.v.Schwaben**"، كملك مضادٍ (لـ "هاينرش الرابع").

(الملك الجديد) "رودولف" هو من أتباع تحديث الكنيسة، ومؤيّدٍ لمنع زواج الكهنة (زوليبات)، الأمر الذي جعله مكروهاً منهم، لكن الأمراء، وفي طليعتهم الساكسن، يأملون منه، بخلاف ما هو الحال عليه مع "هاينرش الرابع"، أن يشاركهم في الحكم، ويقررون إلغاء توريث الحكم الملكي.

انتخابُ الملك، سيصبح مستقبلاً، متعلقاً بمدى ملاءمته (للحكم) فقط، لم يعُد اللهُ، بعد الآنَ، هو من ينصّب الملك، وإنما الأمراء هم من يفعل ذلك. هنا يتوافق طرحهم هذا مع (أفكار) البابا:

الملَكية المقدسة ماتتْ.

بعد ثلاث سنوات، في ربيع عام 1080، وبعد أن نشأ خلافٌ جديد بين "هاينرش الرابعِ" و"غريغور السابع"، يقوم البابا بالاعتراف بـ "رودولف" كملك ألماني شرعي، ويرسل - في نفس اليوم - الحِرمان إليه (إلى الملك هاينرش الرابع)، وأنه يفضل الموت إذا لم يظهر هاينرش الرابع في روما طالباً (منه) العفوَ.

هذه النبوءة التي ارتبط بها البابا، ستظهر لاحقاً كخطأٍ جسيمٍ.

twitter @baghdad_library

المنتَصرونَ والمَهزومونَ

Sieger und Besiegte

(الملك) "هاينرش الرابع" يعلِن بدوره إقالةَ البابا "غريغور السابع" من وظيفته، ويعيّن، بدلاً منه، "فيبَرت – **Wibert**" – كبير أساقفة "رافينّا – **Ravenna**" –، في منصب البابا الجديد.

بعد زمن قصير، تنشأ معركةٌ بين "هاينرش الرابع" و(الملك المضاد له) "رودولف"، ويكون هو المنتَصر فيها.

من سوء الطالَع، أن "رودولف" توفِّيَ، بعد أن كانت يده اليمنى قد قُطِعت، واعتقد الجميع (الآن) أن هذا يمثّل حكْماً إلهياً، لأنه كان قد أقسم بهذه اليد، سابقاً، ولاءَ الطاعة للملك.

(هكذا) انهارت المعارضة ضد "هاينرش الرابع" وانتهت الحرب الأهلية.

"هاينرش الرابع أسرع على الفور بالسفر إلى روما، ليحقق هدفه المرغوب به منذ أعوام: أنْ يتوَّج قيصراً.

عند وصوله (إلى روما) أغلق أهلها البوابات في وجهه، وبقي (مع جيشه) خارج المدينة.

استمر حصاره لروما مدة ثلاثة أعوام، كان (خلالها) مثل المهووس، لا يريد العودةَ إلاّ بعد أن يتوَّج قيصراً، حتى أنه بدأ مفاوضات مع البابا "غريغور السابع" الذي كان قد خلعه من منصبه، معلناً استعداده للتخلي عن البابا (البديل) الذي نصّبه كبابا مضاد لـ "غريغور السابع"

أوَلم يكن عليه (الملك) أن يعرف، بعد كل ما حدث، (غريمه) "غريغور السابع" بشكل أفضل؟.

"غريغور السابع" يطالب الملك، مرة أخرى، بالتقدم علناً (إليه) لطلب العفو منه. "كانوسّا" مرة أخرى؟.

"هاينرش الرابع" برهن، هذه المرة، على أنه الأقوى.

في عام 1084، وبعد المعاناة الشديدة التي عاشها سكان روما، طوال سنوات الحصار، فتحوا له بوابات المدينة.

رجال الدين والشعب، أكدوا في انتخاب جديدٍ (البابا) "فيبَرت" الذي كان قد عينه "هاينرش الرابع" في منصبه، كبابا مضادٍ، وجعلوا منه الحبر الأعظمَ.

خلال ذلك، كان البابا "غريغور السابع" يجلس (مختبئاً) في "برج الملائكة" (في روما)، ليرى كيف قام المجمع الكَنسي الروماني – **Synode** بعزله وبحرمانه أيضاً.

كان عليه أيضاً أن يشهد، دون أن يستطيع فعل أي شيءٍ، كيف قام (البابا) "كْليمينْس الثالث **Clemens III** – " (فيبَرت) بتتويج عدوه المكروه (هاينرش الرابع) قيصراً، بتاريخ 31 / 3 / 1084.

الآن أخذ الأمير (هيرتزوغ – **Herzog**) النورماندي "روبرت جيسكار – **R.Guiscard**" يزحف بجيشه على روما، ليحرر "باباه" "غريغور السابع"، وهو الذي كان قد أعلن عليه الحرمان الكنسي سابقاً.

"هاينرش الرابع" يعرف أن قوته العسكرية لن تصمد أمام هذا الجيش، فقام بالهروب.

جيش "جيسكار" كان يضم الكثيرين من مسلمي "صقلية"، الذين أمرهم بتخريب "مكّة الكفّار" (روما)، فقامت قواته بتخريب المدينة ونهبها، واشتعلت النيران في اثنين من أحيائها.

لقد تم (بالفعل) تحرير "غريغور السابع" ولكن كان عليه، تحت حماية (جنود) النورمانديين الهرب من المدينة، لأن أهلها حمّلوه مسؤولية خرابها، ولم يعد آمناً على حياته فيها.

يقال بأنه كان يبكي، وهو يرى الكنائس تحترق، والسكان يلعَنونه.

بعد عام توفى (البابا) في منفاه في "ساليرنو – **Salerno**" – جنوب إيطاليا.

twitter @baghdad_library

"هاينرش الرابع" الذي كان يصغر البابا بنحو ثلاثين عاماً، عاش بعده حوالي عقدين من الزمن، وفي النهاية أصابه قدر يشبه ما أصاب خصمه.

ابنه الذي كان عضواً في جماعة أتباع البابا المطالبين بتحديث الكنيسة، قام بخيانة والده، حيث أُرغِم هاينرش الرابع، قبل موته بفترة قصيرة، على اعتزال الحكم.

كما كان (الوضعُ عليه) عند "غريغور السابع"، كان الوضع عليه عند "هاينرش الرابع": لقد فشل بسبب عناده، ومع ذلك فقد فازت البابوية على كامل الخط.

البابا الجديد، خلَف "غريغور السابع"، تمكن من فرض الإصلاح الكنَسي بحزم.

في الاتفاق الموقع في مدينة "فورمز" (العريقة)، بين "هاينرش الخامس" وبين البابا "كاليكستوس الثاني – Calixtus II" في عام 1122، يتم فيه الاعتراف بالوظيفة التعليمية للباباوية، والاعتراف بها كمرجعية قانونية عليا للكنيسة والأمراء معاً، كما يتم فيه الاتفاق أيضاً على احتقار (نبذ) السّيموني – شراء الوظائف – وكذلك رفض زواج رجال الدين (الرومانيين)، ويتم إلغاء حق الغُشَماء (الملوك والأمراء) بتعيين رجال الدين في المناصب العليا، وهو الحق الذي كافح من أجله (إبقائه) "هاينرش الرابع" طوال حياته.

لكن تم الحِفاظ على التزام أمراء الإمبراطورية من رجال الدين، الحاملين لمهمات أرضية (حكومية)، بقسم الولاء للقيصر والإمبراطورية.

بعد مرور قرنين، وصلت الباباوية – (كمؤسسةٍ) – إلى أعلى مراتبها الروحانية والأخلاقية في الغرب، وازدادت مكانتها (هيبتها) قوة، من خلال الحروب الصليبية (الفِرنجة).

البابا "غريغور السابع" كان يحلم برغبة في (هذه) الحرب ضد الكفار (المسلمين)، وبتحرير الأرض المقدسة (!).

مكانة الملك الألماني، كرأسٍ للعالم المسيحي أصابه الضّعفُ.

منذ "كانوسّا" انفصل طريقٌ الكنيسة عن طريق السلطة الأرضية.

الرسول بطرس

قبرٌ، كمكانٍ مقدَّسٍ لأكبر الدّيانات العالمية

Ein Grab als das Heilgtum

Der groessten Weltreligion

الأمرُ يبدو بسيطاً وغريباً (في آن واحدٍ معاً):
سلطة الأسقف الرومانية تستندُ إلى قبر.

أن يكون قبر بطرس موجوداً حقاً، تحت قبة كنيسة مذبح بطرس (دوم - Dom)، فهذا أمر تدل عليه بعض الدلائل، بخلاف القصص حول حياة وموت الرسول.

من أجل هذا (التحقق)، قامَ أولُ سيد بِناء لكنيسة القديس بطرس، القيصر "قسطنطين"، في مطلع القرن الرابع، بتفحّص كل تقليد (خبَر) قبل أن يصدّقه.

(لهذا) قام، قبل أن يبدأ ببناء الكنيسة فوق قبر أمير الرسل، بالطلب من الآثاريين القيام بأعمال بحث آثاري دقيق لتحديد موقع القبر بدقة، لأن القبر يجب أن يكون في وسط الكنيسة تماماً.

إنه (قسطنطين) الذي لا يخشى أيَّ تعبٍ أو تكاليف، فقد كان من الممكن بناءُ الكنيسة الضخمة (الدّوم) على بعد أمتار فقط إلى جنوب الموقع، وهو أسهل بكثير (وأقل نفقة).

من الصعب اليوم أن نفهم تلك الأهمية البالغة التي حظِي بها قبرُ بطرس خلال العصر الوسيط.

كان وجود قبر مقدس، بالنسبة لإنسان ذلك العصر، يشكل الصلة بين السماء والأرض، أَي همزَة الوصل بين الهُنا والهُناك، وهذا ما جعل قبر بطرس فريداً، وهو السبب في الحفاظ عليه كما لو كان كنزاً للدولة.

twitter @baghdad_library

ليس للأسقف فحسب ولا (لمدينته) روما، وإنما لقبر الرسول يعود الفضلُ في إعطائها مكانةَ المدينة العالمية، على الرغم من كونها، خلال العصر الوسيط، لم تكن، بالمقارنة مع القسطنطينية، أكثر قليلاً من مدينة مقاطعةٍ (فحسب).

لا يمكن للمرء أن يكون قريباً حقاً من أمير الرسل إلاَّ في روما، لأن رفاتَه فيها، حيث يحجُّ إليها مئات الآلاف،كل عام، لزيارة ضريح الرسول.

إنهم يجعلون المدينة ثريةً، من خلال ما يتبرعون به من نقودٍ، وما ينفقونه هناك في (الفنادق) والمطاعم، وعند التجار.

رسالة تعريف: بطرس الصّخرة

Petrus, der Fels

"أسقفُ روما، وكيلُ يسوع المسيح، خلَفُ أمير الرسل،" الحبر الأعظم – Summus Pontifex "لكامل الكنيسة، بطريركُ – Patriarch الغرب الأول في إيطاليا، المطرانُ – رئيسُ الأساقفةِ، متروبوليت كنائس المقاطعات الرومانية، الحرُّ في دولة مدينة الفاتيكان"

إنه لقب ضخم.كيف حصل ذلك، أن يصبح الأسقفُ الرومانيُ (لروما)، بابا يوحّد كلَّ هذه الوظائف في شخصه، وعليه أن يحكم الكنيسةَ والغربَ (بعامة)؟.

أهو القديس بطرس، أحد تلاميذ المسيح، الذي يستمدُ منه الباباواتُ كلَّ سلطتهم هذه؟.

أصل "سيمون (سمعان) بطرس" من الجليل.

عاش هناك مع عائلته في "بيت ناحوم" (الواقعة) على بحيرة طبرية في "إسرائيل" اليوم – (فلسطين) –.

مهنة هذا اليهودي المتدين هي صيد السمك.

حتى اليوم يمكن مشاهدة منزل بطرس في "بيت ناحوم"، (الواقع حسب زعمهم) إلى جانب الكنيس اليهودي الذي بشّر فيه المسيح.

استقبل بطرسُ مهمته من (السيد) المسيح بهذه الكلمات:

"أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني جماعتي (كنيستي)، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. سوف أعطيك مفتاح مملكة السماء: كل ما تربطه على الأرض سيظل مرتبطاً في السماء وكل ما سوف تحله على الأرض سيكون محلولاً أيضاً"

twitter @baghdad_library

هذا ما ورد في أنجيل متى (الإصحاح 16 : 18)، في العهد الجديد، وهي العبارات التي تشكل أهم قاعدة يستند إليها الباباوات في مطالبتهم بالسلطة، (وهي) مرئيةٌ بوضوحٍ وبحروفٍ طول كلّ منها 1.4 متر، تحيط بقبة دوم بطرس من الداخل.

(هناك نجد النصّ اللاتينيّ التالي):

"Tu es Petrus et super hanc Petram aedificabo Ecclisiam meam".

هذا ما هو مكتوب مباشرةً فوق قبر بطرس.

يروى عنه (بطرس)، أنه ذهب إلى روما وقاد فيها جماعة من المسيحيين، وأنه وقَع مع بولس ضحية ملاحقة القيصر (الروماني) نيرون لهما عام 64 تقريباً، وأنه عانى موت الشهادة.

هذه الرواية تشكّك فيها بعضُ الأصوات الناقدة، لأن المصادر عنها ليست واضحة أبداً.

إن إقامة بطرس في روما ممكنةٌ، ولكنها تعتمد على مصادر من حكايات خيالية أكثر منها وقائع حقيقية. تلك (الرّواياتُ هي) التي رسمت صورة الرسول الذي أصبح أول أسقف لروما.

إن هذه الحكايات (Legend) هي التي تعطي لقصةَ بطرس الوهمية أهميتَها، لترفعه إلى مقامة المؤسس الأسطوري لسلطة الباباوات.

في نهاية القرن الثاني، وفي آسيا الصغرى (تركيا اليوم)، كُتِبتْ ملفاتُ بطرس، التي تتضمن قصصاً عن حياة يسوع، وعُرفَت، فيما بعد، باسم **"العهد الجديد"**

فيها يتم تصوير حادثة "كو فا ديس – **Que Vadis**" الشهيرة. هذه الحادثة التي سيلعب فيها بطرس دور زعيم المسيحية، وسيكون لها دورٌ هامٌ في تاريخ الكنيسة.

استناداً إليها (الحكاية) يقابل الرسولُ بطرس وهو يهرب من روما المسيح.

بطرس يسأل: "كو فاديس دومِني ـ Que Vadis Dominie" ــ إلى أين تذهب (يا) سيدي؟، فيجاوبه المسيح: "سأذهب إلى روما، لأدعهم يصلبونني (فيها) من جديد"

يقال إن بطرس عاد بعدها إلى روما، حيث أُلقي القبض عليه وسجن ثم صلب في النهاية، ويقال إنه طلب قبلها، أن يصلب ورأسه إلى الأسفل. إنه يريد أن يدفع ثمن خطيئته، مبيّناً بذلك أن رأسه لا يستحق أن يكون في نفس الموضع الذي كان فيه رأس سيده (المسيح عند صلبه).

المشهد (هذا) أصبح موضوعاً للفن، يجده المرء في عدد لا يحصى من التّجسيدات، أشهرها لوحٌ برونزيٌّ من القرن 15 يدعى "فيلاريته – Filarete"، موجود على مدخل كنيسة بطرس، وهو من عمل الفنان "أنطونيو أفيرلينو ـ A.Averlino"

من وحي هذه الحكاية ألّف الكاتب البولندي "هينريك سينكيفيتش – H.Sienkiewicz"، روايتَه الموسومة بـ "كو فاديس؟"، نهاية القرن التاسع عشر، التي تعتبر من أكثر الكتب المقروءة في العالم، وفيها يصور المؤلِّف حكايةَ القدّيس بطرس، ويقدّم، من خلالها، صورةً عن زمن المسيحية المبكّر وعن ملاحقة المسيحيين في روما.

مع مرور الوقت، ضاعت المعلومات الدقيقة حول موقع قبر بطرس، لهذا يأمر البابا "بيوس الثاني عشر" في عام 1940 بالبحث الأثري (عن موقع القبر).

بعد عشرة أعوام تعلنُ حكومةُ الفاتيكان:

نعم. لقد تم العثورُ على قبر "أمير الرُّسل" وهو يقع مباشرة تحت المَدفن الخاص بدوم بطرس، حيث عثر علماءُ الآثار (هناك) على لوحةٍ كتابيةٍ، أمَر ببنائها في عام 160 الأسقف "أنيسيتوس – Anicetus"، وتم نقلها لاحقاً لتوضع فوق قبر (إنسان) فقيرٍ من زمنٍ استشهاد بطرس.

لقد ثُبتت (الشّاهدةُ) في جدارٍ ممرٍ (موجودٍ) بين القبور، في مقبرةٍ طولها حوالي 400م – مدينة أموات – تقع تحت دوم بطرس، غير مسموح للعامة الدخول إليها.

twitter @baghdad_library

الشاهدة كانت يومها تمثل شيئاً هاماً، لأن (مسارَ) الجدار غُيِّر لاحقاً ليلتفّ من حولها. قرْب القبر عُثر على نقش إغريقيّ من القرن الثاني أو مطلع القرن الثالث، يمكن قراءته (على النحو القائل): "بطرس (يرقد) هنا"

كلُّ شيء بدا متناسباً: في نهاية القرن الثاني قام الراهب "غايوس – Gaius" بوصف موضع القبر وأسماه "تروبايون – **Tropaion**"، ويعني "شارة النصر" التي تذكّر بأنّ الشهيدَ

(بطرس) تغلّبَ على الموت، يضاف إليه أن القبر يقع مباشرة قرب ملاعب سيرك القيصر "نيرون"، حيث كانت الكلاب في ألعاب السيرك، تمزق أجسادَ المسيحيين، أو كانوا يُحرقون أو يُصلبون (هناك).

موقع السيرك كان حيث يوجد (دوم بطرس) وساحة بطرس (الشهيرة). لكن (لا تزال) لدى (البابا) "بيوس الثاني عشر" أسئلة أخرى يوجهها إلى علماء الآثار، إن كانوا قد وجودوا أيضاً ذخائرَ المقدس (بطرس)؟. إنهم ليسوا متأكدين (من ذلك).

عثر بجانب القبر على بقايا عظام بشرية، ولكن من يستطيع (اليوم) أن يجزم فيما إذا كانت تخص بطرس؟.

بعد 18 عاماً تغير الأمر فجأة، حيث أصبحوا واثقين (من صحتها).

بتاريخ 26 / 6 / 1968 يعلن البابا "باول السادس":

لقد تم التحققُ من ذخائر (رفات) القديس بطرس، بطريقة يمكن لنا أن نعتبرها مقبولةً. ماذا جرى؟

يُزعم أنه خلال الحفريات (الأثرية) في الأربعينات (من القرن العشرين) عَثر السكرتيرُ المسؤول عن بناء (الدوم) في طرف القبر على عظامٍ يلتصق بها بعضُ التراب، ولم يفكر بأنه من الممكن أن تكون هذه العظام من رفات بطرس، فقام بوضعها في صندوق خشبي، أودعه في كنيسة "كابلاّ دي سان كولومبيانو –"Cappella.di San Colombano الصغيرة.

هذه هي رواية "مرغريتا غواردوشّي – الأستاذة خبيرة الخطوط – التي ابتدأت من خمسينيات (القرن العشرين)، بتكليف من البابا بفك الكتابة (خربشات – **Graffiti**) الموجودة على الجدران.

عندما تم تحليلُ العظام عام 1962 توصّلوا إلى أن العظام يجب أن تكون لرجل قويٍّ البنية، يتراوح عمره ما بين 60 – 70 عاماً.

الترابُ الملتصق على العظام هو من نفس (نوعيّة) التراب في القبر الأرضيّ، الموجود تحت الـ "تروبايون" – شارة النصر –.

هذا الاكتشافُ بدا مذهلاً، وكذلك حالةُ الأدلة المرتبطة مع ما كانتْ قرأَتْه "غواردوشي" في الخربشات (التي تقول):

"بطرس (يرقد) هنا"

النقاد يشكون بصدق رواية العظام، وبحكاية السكرتير غير العارف. في النهاية هي قراءةُ خبيرة فكّ رموز الخطوط فحسب التي تؤكد هذه الحكاية.

كتابها الموسوم بـ "هنا (يرقد) بطرس" اشتهر عالمياً.

هل تغلّب المعتَقدُ على العلم مرة أخرى؟.

هذا بالضبط هو ما يتبناه الراهب والصحفي "يوسف فينك – **J.Fink**" ويصل إلى نتيجة مغايرة تماماً (لما توصلوا إليه).

إنه يظن بأن (جثمان) بطرس قد أُحرق، حيث كانت طريقة الدفن حرقاً سائدة في القرن الأول، وبين المسيحيين أيضاً،

وهذا ما يفسر لماذا الموضع الكائن تحت "تروبايون" ضيقٌ، لا يَسمح بإدخال جسد بشري فيه.

لقد أعيد وضع الذخائر المفتَرضة، في شِق القبر الموجود تحت "تروبايون"، وبناءً على رغبة (البابا) "باول السادس –Paul VI" أُخِذَ منها تسع قطع عظامٍ صغيرة، تَم وضعُها في صندوق ذخائر فضيٍ نفيس، يوجد الآن على مذبح كنيسة البابا الشخصية.

عندما كان البابا "يوحنا باول الثاني"، لا يزال يتعافى على فراش المرض، من محاولة اغتياله في ساحة القديس بطرس عام 1981، طلَب بأن يُحضَر إليه هذا الصندوق الذّخائريُّ.

twitter @baghdad_library

الذّخائرُ - اقترابٌ من الجانب الآخر (السّماويّ)

Reliquien - die Naehe zum Jenseits

إنه (لأمر مذهلٌ: مسيحيّو روما الأوائل لمَ يهتَموا، برفات بطرس.

إنهم لا يؤمنون بقيامةِ الجسد، وإنما بمتابعة المؤمن حياته من خلال أعماله الخالدة، ولأنهم ينتظرون محاكمة الآخرة وهم لا يزالون في الحياة، فإن مصير الجسد قليلاً ما يُبهر تفكيرهم.

في القرن الثاني، يبني الأسقفُ "أنيسيتوس – Anicetus" نصباً تذكارياً لبطرس، وهو الوقت الذي يبدأ فيه زمنُ الذخائر بالقدوم.

لقد اكتشف المسيحيون أن محاكمة الآخرة (القيامة) لن تحدث لهم إبّان حياتهم، فيوجهون اهتمامهم، مرة أخرى، نحو أمور (الحياة) الأرضية، وهكذا يكتشفون (أهمية) عظام قديسهم.

إنهم يعتقدون الآن، أن الروح الساكنة عند الله، سوف تعود عند محاكمة القيامة، بارتداء ثوب الجسد الذي كانت قد خلعته (مع الوفاة).

العظام، لا تزال تقيم إذن علاقة مع الجانب الآخر (السماوي)، إنها "مشحونة" بقوة الإشعاع الإلهي، ومن خلالها يمكن للمرء إقامة صِلة مع القديسين.

تعتبر الذخائرُ أشياء عملية في التّبشير بين الكافرين (بخاصّةٍ)، لأن الاعتقاد بفعالية أجزاء الجَثامين السحرية، معروف في التقاليد قبل المسيحية. مَنْ كان يضع بالأمس، حول عنقه قلادةً (تمائميّة – طوطمية)، يمكن له اليوم بسهولة أن يستبدلها بالذّخيرة، تلك التي أصبحت جزءاً صلباً تقريباً في حياة إنسان العصر الوسيط، فقد كل الأعمال اليومية تقريباً، تتصل بالقديسين وببقايا رُفاتهم، والذخائر تعتبر وسيلةَ علاجٍ ومساعَدةٍ في مواقف الحياة الصعبة.

لا يمكن للمرء تصوّر (وجود) الكنيسة الكاثوليكية دون ذخائر. استناداً إلى قانون الكنيسة، من مراحل العصر الوسيط المبكر (حوالي القرن الخامس)، يجب وجود ما يسمى بـ "شيبو لكروم – **Sepulchrum**" في كل مذبح، وهو، تجويف توضع فيه الذخائر، "قبر القديس"

هذا القانون لا يزال سارياً حتى اليوم.

عبادة الذخائر (تقديسها) تحمل أحياناً ملامح هِسْتيرية.

المؤرخ البروتستانتي "فيرديناند غريغوروفيوس – **F.Gregorovius**" يصور باستنكار هذه الظاهرة في كتابه الموسوم بـ "قصة مدينة روما في العصر الوسيط"، (ويقول):

هوايةٌ جديدةٌ، شهوةٌ غريبةٌ، نحو امتلاك جَثامين القديسين، سيطَرتْ على المسيحية، وتزايَدت، يغذيها الجشعُ وشهوةُ السلطة عند القساوسة.

إنّ العالمَ يزداد قَتامةً حتى الجنون.

إننا ننظر اليوم بهَلعٍ إلى ذلك الوقت الذي كان يقف فيه، على المذبح، هيكلٌ عظميٌ ليستقبل شكاوى ورغبات وإعجاب الناس المقَزّز (به).

على الرغم من اللاعقلانية التي يرى فيها الكثيرون (كيفية) التعامل مع الذخائر، إلا أن العلاقة بين الإنسان والذخائر يمكن أن تكون عقلانية جداً استناداً إلى مبدأ الجهد والجهد العاكس.

إذا عجزت الذّخيرةُ، المبتَهَل إليها، عن تقديم المساعدة (للمؤمن السائل)، فعليها أن تضَع في حِسبانها أن تُحتقَر بسبب عدمِ شكرها (اعترافها بالجميل)، وأن تتوقع العقابَ تماماً، كأن تُضربَ، (مثلاً).

القديسون الأموات والكهّان الأحياء يقومون بمهام متشابهة جداً: كلاهما يحصل على التمجيد ويعطونَ (بالمقابل) الحمايةَ والدعم، وإلاّ فالمرء يبحث (لنفسه) – بكل بساطة – عن عرّابين آخرين.

twitter @baghdad_library

للـذخائر أهميـة كـبرى، جعَلـت منهـا أداةً دبلوماسـية هامـة في أيـادي الباباوات. إذا أراد البابا أن يربط به ملكاً بشـكل أقـوى، فإنـه يهـدي إليـه إحدى الذخائر النفيسة، والذخائر مرتبطة بالغفران.

بعض الملوك والأمراء، غالباً ما كانوا يشترون بمجموعات الذخائر عندهم، بعض ملايين سنين العفو من "عذاب النار"

لا عجب إذن أن تتنامى تجارةُ الذخائر بشكل ملحوظ منذ القرن الرابـع. لقد وصلت ذروتَها مع استيلاء فرسـان الحـروب الصـليبية (الفرنجـة) علـى القدس عام 1099، التي أفضَـت إلى وصـول الـذخائر بكميـات ضـخمة إلى الغرب.

في الماضي كانت المتاجرة بالذخائر ممنوعةً.

"قانون جوستينيانوس – **Codex Justinianus**" من عام 534 يمنع ذلـك (المتاجرة بالذخائر)، كذلك أعاد مجمع لاتيران، في عام 1215 هذا المنـع، ولكن بالكاد كان أحدٌ يهتم بهذا (المنع).

رهبانٌ جوّالون يبيعون الذخائرَ ليحسِّنوا من دخل أديرتهم، وحتى لا يبدو أنهم يقومون بعمل ممنوع، يعلنون البيع هديةً، أمّا الشاري فيسـتطيع القـولَ إنه تسلّم منه هديةً وقام، تعبيراً عن شكره، بإعطائه النقود.

حتى سرقة الذخائر لم تكن منبوذةً مثل بيعها. إذا حصلت سرقـةُ ذخـيرة (ما)، فإن هذا الفعل حصلَ بقَبول من القديس (المَسروقة عظامه مـثلاً)، لأنـه لم يعد يجِد الرّضا في المكان الذي كان يُحتفظ به فيه.

القديسُ الذي يَسمح بسرقة عظامه، لديه أسباب وجيهة لذلك.

زمنُ التّزويرِ

Zeit der Faelschungen

كلُّ كنيسةٍ، مهما صَغُرت، تحتاج إلى ذخيرة (ما)، لأنه بدونها لا يمكن لها إقامة المذبح.

لهذا فإنه من المفهوم أن يتم تزوير الذخائر، بكثرة وبرغبة. الذخائر مادة تجارة نفيسةٍ، من النادر إثبات صحتها ومصدرها.

عندما أغرَقتْ الذخائرُ، بشكل انفجاريٍّ، الأسواقَ، بعد حملات الفرنجة الأولى، حاولت الكنيسةُ السيطرة على الوضع، من خلال تكليفها (الخبراءَ) بتفحص الذخائر.

(لهذا) مع بدء القرن الثالث عشر فرضت الكنيسة ما يسمى بـ "أوْتينتيكِن –Authentiken"، وهي عملية التحقق من صحة الذخائر.

(هذا التحقق) يتم عن طريق وثيقة موثوقةٍ، أو برواية مقنِعةٍ أو بـ "دليل إلهي"، عندها تعتبر الذخيرةُ أصلية.

العظام المشكوك فيها تخضع لتجربة، لأن العظام الأصلية – هكذا كانوا يعتقدون – لا يمكن لها أن تحترق، فهي على صلة مع القديسين (الذين) لا تفنى جَثامينهم.

لكن هذه الإجراءات لم يكن لها أن تحدّ من التزوير.

وحدها الشظايا التي لا تحصى من صليب المسيح الموجودة في المذابح وفي خزائن الذخائر في الكنائس يمكن لها أن تصنع اثني عشر صليباً على الأقل.

لم يقتصر الأمر على تزوير الذخائر فحسب، وإنما طال الوثائق (أيضاً)، (حيث) تقوم الأديرة والأوقاف الكنسية بتزوير الوثائق كي تُثبتَ ملكيتَها الشّرعية.

twitter @baghdad_library

لقد تم تزوير الوثائق بكثرة، حتى إنّ العصر الوسيط سُمي، في التاريخ المدوّن بـ "عصر التزوير"، وكانت الوثائق المزورة فيه تشكل القاعدةَ وليس الاستثناء.

لقد تم تزوير كلّ شيء، يمكن له أن يكون مفيداً لسلطة ومقعد المسيحية. حتى الباباوات يشاركون بذلك.

البابا "كليمينس الثاني" يؤكد صحة وثائقَ، كان هو، قبل أن يصبح بابا، قد أمر بتزويرها.

اعتمد (البابا) "غريغور السابع" في إعلانه البابوي المسمى
"Dictatus Papae"، الذي قام فيه بعزل الملك (الألماني)
"هاينرش الرابع"، وبتثبيت سلطته الأرضية، على (وثائق) مزورة، منها أشهر وثيقة تزوير في العصر الوسيط المسماة "الهبة القسطنطينية"

الوثيقة (المزورة) تدّعي لنفسها أنها نسخةٌ عن الأصل، الذي كتبه القيصر قسطنطين في عام 330 (كما يزعمون).

استناداً إلى محتوى الوثيقة، يقوم (القيصر) قسطنطين، بعد أن نقل مقرَّه من روما إلى بيزنطة، بإهداء (البابا) "سِلفِستَر الأول" قصر (ه) "لاتيران"، روما، إيطاليا والمقاطعات الغربية من إمبراطوريته.

فوق ذلك يتركُ له (للبابا): "كلَّ ما يتعلق بهالة (مَقام) القيصرية، وشارات سلطتنا الأرضية"

إنها شارات القيصرية، بدْءاً من قُلُنْسُوة السلطة القيصرية (المسماة) "كاميلاوْكوم – Camelaucum" وصولاً إلى المعطف الأحمر القاني.

وحده البابا يحق له، من الآن فصاعداً، أن يلبس هذه الشارات، ويحق للبابا (الآن) أن يشعر بنفسه قيصراً، "القيصر الحقيقي هو البابا" – هكذا فُسِّر الأمرُ خلال العصر الوسيط.

بهذه الوثيقة (المزوّرةُ) يمكن (للبابا) ممارسةُ سياسةٍ عالمية.

ربما كان البابا "باول الأول"، حوالي منتصف القرن الثامن، هو من كلّف مشْغلَ تزوير سري، بتزوير وثيقة "هِبة قسطنطين" السبب في ذلك هو أن "باول الأول"، كان يشعر بالخطر القادم من قِبل ملوك "اللانغوباردِنْ – **Langobarden**"، بالاستعداد لاحتلال دولة الكنيسة (الفاتيكان)، (لهذا) فإنه (البابا) بأمسّ الحاجة إلى وثيقة تثبت أحقيةَ مطالبته بالسلطة الأرضية.

بعد مرور سبعة قرون (مِنْ هذا)، يكشِفُ "لورينزو فالاً – **L.Valla**" – ذو النزعة الإنسانية – Humanist" – عن عدم صحة الوثيقة، وكان "نيكولاوْس فون كويْس – **N.v.Keus**" – الملقب "**كوسانوس** – **Cusanns**" قد قال قبله بأعوام بأن وثيقةَ "الهبة القسطنطينية" مزورةٌ.

أولاً يقع "فالا" باكتشافه، تحت سخط البابا، ويجب عليه الإجابة عن أسئلة محاكم التفتيش.

لكن من الغريب أن يُردّ له الاعتبار سريعاً، (حيث) يقوم "البابا الجديد" "نيكولاوس الخامس" في عام 1448، وهو صديق للإنساني (فالاّ)، بجلبه إلى بلاطه، كأستاذ فائق الاحترام، في فن الخطابة، وكسكرتير في حكومة الكنيسة، حيث نال فيها النجاح المِهْني.

كذلك بقي "كوسانوس"، حتى آخر أيامه، في خدمة الباباوات. إن هذا، من وجهة نظر اليوم، لأمر لا يصدق.

الكنيسةُ لا تؤاخذ "فالاّ" ولا "كوسانوس" على الدوام، وهما اللذان كشفا عن تزوير الوثيقة التي تعتمد دولة الكنيسة في تأسيسها عليها.

كيف يمكن (لنا) فهم ذلك؟.

الجواب يعطيه العالم المؤرخ للعصور الوسطى "هورسْت فورمان – H.Fuhrmann"، آنَ يشير إلى أن هذا العصر، كان يتبع فهْماً مغايراً لفهم اليوم، عن علاقته بالقانون وبالحقيقة.

twitter @baghdad_library

بالنسبة لإنسان العصر الوسيط، لم يكن من المهم لـه، إن كانـت المعـايير الشكلية التي تقرِّر فيما إن كان الأمرُ حقيقياً، صـادقاً، أو عـادلاً، وإنمـا الله (هو المهم)، وهو فوق كلّ عقلانية بشرية.

لكن هذا يعني أنّ مطالبة الكنيسة بالسلطة، وهو ما تمّت صياغتُه في "هبة القسطنطينية"، يستمِد (مشروعيتَه) من الرغبة الإلهية، وبالتـالي، فـلا يحـق أبداً للعقلانية (البشرية) أن تشكك فيه.

لهـذا كـان مـن النـادر، خـلال العصـور الوسـطى، أن يقـدَّمَ المـزوَرونَ إلى المحاكمة، وبهذا المعنى فهم يقدِّمونَ (بـتزويرهم) عملاً طيباً.

هكذا فكر "كوسانوس" (أيضاً) – ولم يعط لاكتشافَهِ أهميـةً، لأنـه لا يغيّـر شيئاً بالنسبة للمشيئة الرَّبانية حيال حال العالم.

حتى لو كانت – حسب رأيه –، كلُّ الوثـائق الـتي تسـتند إليهـا سـلطة الكنيسة، مستمدةً من وثائق مزورة، فإن الكنيسة الرومانيـة تبقـى المقَـرّ الأوّلَ لأعلى سلطةٍ وعظَمةٍ.

هذا (الموقف) يكفي الكنيسة، وهـي لم تلاحـق "كوسـانوس" أو "فـيلاّ" – مكتشفي التزوير – وإنما تمدّهما بالرِّشاوى.

هذا بخلاف معاملة (الكنيسة) للذين يشكّكون في محتوى ما قالته الوثيقـة (المزورة)، فهم يُطارَدون دون رحمة.

الحقيقةُ أن الكنيسة الكاثوليكية ظلتْ، حتى القرن التاسع عشر، تتمسكُ بما جاء في تلك الوثيقـة (الهبـة القسـطنطينية)، دون بـراهينَ صـامدة، وبـأنّ القيصر قسطنطين، كان قـد أهـدى إلى بابـا رومـا، (بـلاد) الغـرب المسـيحي وشارات حكمه القيصرية.

"بونيفاز (بونيفاقيوس) الثامن"

المستقبل هو الماضي

Die Zukunft ist die Vergangenheit

ربما أسهم التباين الواضحُ (القائم) بينه وبين سلَفه، في (دعم) سمعته.

(إنه البابا) "كولستين الخامس – Coelestin V" الذي يعدّ من أشهر البابوات غير الاعتياديين، الذين جلسوا على العرش المقدس.

كان يعيش (تحت اسمه) "بييتْرو دِل مورّونّه – P.del Morrone" في دير جبلي صغير، عندما فاجأه في حجرته الصغيرة، نبأُ انتخابه بابا في عام 1294.

السبب في انتخابه هو الخلاف بين العائلتين النبيلتين الرومانيتين (عائلة "كولونّا – Colonna" وعائلة "أورسيني – Orsini") الذي نشأ بينهما واستمر مدة عامين، وحال دون انتخاب بابا (جديد). هذا ما دفع الكرادلة إلى انتخاب هذا الراهب (المتقشف) الذي يحيا منعزلاً تماماً عن المجريات السياسية في روما.

ربما لم يكن هناك من هو أقلّ صلاحيةً لشغل هذا المنصب منه.

إنه رجلٍ شديد التّدين، بعيدٌ تماماً عن (شؤون) العالم، ويحيا مثال الفقراء بمظهر رثٍ، ويكاد لا يُحسِن (اللغة) اللاتينية، ولا يفهم شيئاً من أمور الإدارةً الكنسية.

وافق (هذا الراهب)، بتململ، على قبول انتخابه كبابا، وبرغم ذلك فالعالم المسيحي كان معجباً (به).

لقد ظهر لهم الـ "بابا الملاك ـ (Papa angelic us)"، الذي كان الكثيرون يتوقون إلى ظهوره.

twitter @baghdad_library

"كولستين الخامس" هو بابا التغيير الكنسي، وهو روحاني متصوف متقشف، وباختصار: إنه بابا كل من كان يَنتقد، منذ زمن طويل، الكنيسةَ الرسمية، بسبب (انغماسها) في السلطة الأرضية، ويطالبون الكنيسة بأن تعيش في (حالة) الفقر.

عندما وصل "كولستين الخامس" مقر البابوية الحكومي (في روما)، هلّلت له الجماهير.

إنه يرتدي معطف رهبان بسيط، ويمتطي أتاناً – كما فعل (السيد) المسيح في (عيد) "أحَدُ النّخيل – **Palm Sonntag**" (المسمى عندنا: عيد الشعانين)، ليدخل مقرَّ حكمه (مدينة القدس).

لقد بزغت، على ما يبدو، مرحلةٌ مسيحية جديدة. لكن كل من أمِلَ بذلك، أصابته الخيبةُ، بعد وقت قصير.

"كولستين الخامس"، المقدس الحَصيفُ، يُصبح ألعوبةً في الصراعات والدسائس (الجارية) في محيطه.

لقد أدى عدم معرفته (بشؤون) العالم، إلى الفوضى والرشاوى.

بعد وقت قصير من وظيفته كبابا، شعر بنفسه أن هذا قد أنهكه تماماً، ولهذا قام بعد خمسة أشهر فقط (من حكمه) على تقديم استقالته.

خلَفه (في المنصب) كان الكاردينال "بينيديكت سيتاني – **B.Caetani**" الذي أصبح البابا "بونيفاز الثامن – **Bonifaz VIII**"، وهو الذي شجع البابا "كولستين الخامس" على تقديم استقالته، وإنّ هذا ممكنٌ، ربما ليحلّ محلّه، وربما كان هو أيضاً من كتب نصَّ الاستقالة، الذي قرأه البابا في كانون الأول من عام 1294.

لم يكد "بونيفاز الثامن" يصبح بابا، حتى قام بإرسال سلَفه (البابا المستقيل) إلى قلعة "فومونه – Fumone" على مقربة من (المدينة الإيطالية) "فرينتيو" ليزجّ به في السجن، حيث توفي فيه بعد عامين.

(لهذا) ثار غضبُ المتدينين بشدة والصوفيين المتقشفين، الذين ضاع حلمهم بـ "البابا الملاك"

من الآن فصاعداً راحوا يشيعون بأن "بونيفاز الثامن" ليس بالبابا الشرعي، لأنه وصل إلى هذا الشرف عن طريق الدّهاء والخداع والنّصب (بسبب نصيحته للبابا بأن يستقيل)، لأن البابا لا يمكن له أن يستقيل، ويتهمونه طبعاً بأنه قتلَ (سلفه) "كولستين الخامس" الذي أصبح بسرعة شهيداً، وطوِّب عام 1313 من قبل البابا "كليمِنس الخامس – Clemens V"، بناءً على إلحاح من الملك الفرنسي.

إن قصة "البابا الملاك" و(خَلَفه) "بونيفاز الثامن" الجائع للسلطة، لا تكفي لتفسير التحريض الهائل الذي انطلق من "بونيفاز الثامن"

الأمر يتعلق هنا بأكثر من سوء تصرفٍ (عند) بابا هائجٍ.

twitter @baghdad_library

بابا يصارعُ ضدَّ الوقتِ

Ein Papst kaempft Gegen die Zeit

الجامعاتُ، التي كانت تخضع حتى الآن لسلطة الكنيسة، بدأتْ تتمرد وتطرق دروبَها الخاصة.

إنهم يقتدون بالمتحررين العرب، الذين كانوا يومها يتقدمون كثيراً على عالَم علماء الغرب.

الفيلسوف "ابن سينا – Avicenna"، واسمه الحقيقي "أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا"، وأصله من إيران، قدَّمَ في مطلع القرن الحادي عشر، فلسفةً طبيعيةً استطاعت أن تثبت جدارتَها، بعيداً عن الشروحات التوراتية.

(فلسفته) تُرجمتْ من العربية إلى اللاتينية ثم العبرية، وكانت للأوروبيين أنموذجاً لبناء وتطوير علومهم.

الطبيب والقانوني "أبو الوليد ابن رشد" من قرطبة ويدعى "أفيرُّوس – Averroes"، يُعلن أن (علم) اللاهوت، الذي يدَّعي بأنه قائد العلوم، لا يستطيع أن يفي بقوله (بزعمه) هذا.

إنه (اللاهوت) يشكل خليطاً من دين شعبي، وعلم خطابةٍ، وديالكتيك (معاً).

مثل هذه العلوم (الرُّشْدِية)، أخذت تنتشر بسرعة الريح، على الرغم من مطاردة الكنيسة لها. يضاف إليه إعادة اكتشاف الفيلسوف الإغريقي "أرسطو"، الذي تفوق أهميتُة اللاهوتَ بالكثير، وتصبح له أهمية أساسية في فهم العلماء في أوروبا.

هنا يلعب أيضاً العلماءُ العرب دوراً سبَّاقاً. إنه "ابن رشد" الذي فتح (لنا) كلَّ أعمال أرسطو، التي يمكن ترجمتها الآن عن العربية.

على الرغم من منع (البابا) "غريغور التاسع" دراسةَ نصوص أرسطو، إلا أنه لا يستطيع الوقوف ضد روح العصر الجديد.

أعوام قليلة مرت على هذا المنع، ثُمّ نجد جامعة باريس تجعل دراسة (أعمال) أرسطو إلزاميةً.

ليس دون حقٍ تشعر الكنيسةُ أنها مهددة في (مبادئها) الثابتة الأساسية.

بالاستناد إلى فلسفة "أرسطو" بدأت أفكارٌ سياسية جديدة تتشكل. الفيلسوف الإغريقي (أرسطو) يعلن طبيعةَ الدولة، التي يتجمع فيها الناس، ككائنات اجتماعية، دون علاقة باللاهوت والكنيسة، وهو ما يستنتجه المرء (من أطروحاته).

النزعة الإنسانية (Humanismus) تلقي بظلالها مسبقاً، (إلى) حيث لا يعود العالم يدور حول يسوع المسيح وحده، وإنما أيضاً حول الناس.

روايةُ (الكاتب) "ليون فويْشتْفانغَر — L.Feuchtwanger"، الموسومة بـ "يهودية طُلَيْطِلة"، تلقي نظرة مجسمة على عالم (هذه) الحِقبة.

يقول المؤلف عن روايته:

"ما يثير اهتمامي (هو) انحلال الإقطاعية المحاربة، وحلول النزعة الإنسانية الشعبية القادمة مكانها، (و) تلك الحروب الغريبة بين المسلمين (في) إسبانيا، بتحضرهم الفائق، وبين فرسان المسيحية الأنيقين والخشنين، وبينهما (يقع) اليهود، (وكذلك) الحرب المقدسة — حروب الفرنجة — وملاحقة اليهود. أحداث تتشابك بعضها ببعض بشكل غريب"

التسامحُ بدلاً من التعصُّب. على هذا المفهوم يمكنٍ أن تُبنى النزعةُ الإنسانية.

إنه الوقت الذي أخذت فيه المدن والإمارات تشكل وعيَها الجديد، الرافض لادعاء البابوية بحق (احتكار) السلطة.

إنكلترا وفرنسا يسلكان طريقهما الخاص. (الآن) ابتدأت عمليةٌ سياسية كبيرة، في نهايتها كانت تتشكل الدول القومية الأوروبية.

خلال القرون الماضية تمكنت البابويّةُ، في صراعها ضد الإمبراطورية والقيصر، من أن تثبت موجوديتها.

twitter @baghdad_library

لكن حيث كان القيصر يقف، حتى الآن، في صراعه مع "الثيوقراطية – Theokeatie"*، كوكيل عن الآخرين ـ تقف الآن العديدُ من القوميات، التي تستطيع أن تثبت كيانها (هويتها) دون موافقة أخلاقية من البابا، وربما بأكثر سهولة من الحصول على موافقة القيصر (عليها).

الأمم تستمد شرعيتها من ذاتها، بصرف النظر فيما إذا كان هذا يعجب البابا أم لا يعجبه.

---

* الثيوقراطية – **Theokratie**"، التي تعني حرفياً "**حكم الله**"، وهو شكل من الحكم، تكون فيه سلطةُ الدولة مُستمِدَّة لشرعيتها من الدين فقط، وحيث يحكم فيه الحاكم نيابة عن الله، وهو بخلاف ما يسمى بـ: "الهيروقراطية – **Hierokratie**"، أي شكل الحكم الذي لا يكون فيه الحاكم بالضرورة، من الكَهنوت). المترجم

في ذروة السلطة

Im Zenit der Macht

هل أراد (البابا) "بونيفاز الثامن"، أن يعرف مرة أخرى، عندما أضاف إلى تاجه صفاً آخر، إنْ كان هذا سيرمز، إضافةً إلى سلطته الدينية، إضافةً إلى السلطة الأرضية الكاملة (أيضاً)؟.

ربما تكمن هنا الأسباب العميقة (الخفية) وراء إصداره البابوي (بولّه) المسمى: "Antiquorum habet fidem"، الذي افتتَح فيه بتاريخ 22 / 2 / 1300 الاحتفالَ بالسنة المقدسة الأولى.

بإدخاله "**عام اليوبيل**" (الاحتفالي) قاد الكنيسة إلى تقليد جديد مستمر حتى اليوم.

في عام 2000 نادى (البابا) الراحل "يوحنا باول الثاني" للاحتفال بـ "عام اليوبيل"

هذه السنة الاحتفالية الكنسية مستمدَّة مما جاء في العهد القديم، عن العادة اليهودية (عيد اليوبيل) حيث يقومون فيه، كل نصف قرن، بإعفاء (المدينين) من ديونهم المترتبة عليهم، وبتحرير الخدم (العبيد).

لم يعد الأمر يتعلق الآن بالديون المالية، وإنما بالإعفاء من الذنوب الأخلاقية، وهذا يشكل بالنسبة لإنسان العصر الوسيط، الذي يعذبه الخوف من الخطيئة أمراً ثميناً لا يفوقه شيءٌ آخر.

منْ يحِجُّ إلى قبر بطرس، ليزور كنيسة الرسول، ويقوم بالصلَوات المحددة، خلال "عام اليوبيل"، فلسوف تُغفر له ذنوبه التي قام بها منذ طفولته.

"بونيفاز الثامن" وسّع هذا الغفران ليشملَ كلَّ من انطلق (بنيّة) الحج نحو روما، ولم يصلها لأسباب قاهرة، ومنها الموت في الطريق.

twitter @baghdad_library

يمكن للمرء اليوم أن يعتبر "عام اليوبيل" (الذي ابتدأ) عام 1300 حدثاً مركزياً ضخماً جرى في العصر الوسيط، وكان له التأثير العميق، حتى إننا بعد مرور قرون نجد أعداد زوار الحجيج (إلى روما) مبالغاً فيها جداً في كتب التاريخ، التي يقول عنها المؤرخ "ليوبولد رانكه – L.Ranke" بأنها وصلت إلى مليوني حاج (سنوياً).

يقال إن المدينة (روما) تشهد يومياً زيارة ثلاثين ألف ضيف جديدٍ، ربما كان عدد الحجاج الباحثين عن إمكانية الحصول على غفران سهل هو عشرون ألفٍ (فقط).

حقق "عام اليوبيل" هذا وما تلاه أيضاً، الهدف العمليّ المرجوّ منه، وهو تحسين الوضع المالي في مدينة روما والكنيسة معاً.

تقول الحكاية الوهميةُ، إن رجال الدين (في روما) يقومون مساءً بفرم النقود التي حصلوا عليها من الحجيج بالدّرَّاسةِ (آلة زراعية).

بصرف النظر عن العامل الاقتصادي، فإن عام اليوبيل يشكل إعلاناً ضخماً عن كنيسة البابا، يُظهِر فيه "بونيفاز الثامن" للعالَم مرة أخرى مشهداً عن سلطة الباباوية.

رسالة تعريف: "بونيفاز الثامن"

Steckbrief: Bonifaz VIII

لمْ يقم أيُّ بابا آخر، بصياغة مطالبه بالسلطة بشكل أوضح مما قام به (البابا) "بونيفاز الثامن"

إنه لا يزال حتى اليوم، يستفزُّ (يتحدى) المؤرخينَ.

يقول المؤرخ "ليوبولد رانكه – L.Ranke" في عمله الموسوعي، الصادر في القرن التاسع عشر حول (حكم) الباباوات الرومان على الصفحة 347 ما يلي:

وبشكل عامٍ، جاء" بونيفاز الثامن "بأعظم المطالب"

إن بعض ما نقرؤه اليوم عن هذا البابا، صاحب الإرادة الخاصة، يعود (فيما يعود) إلى دعايات خصومه، الذين نشروا حتى بعد وفاته، قصصاً مريعةً عنه، (وكأنهم) يحاكمونه بعد الوفاةِ (Posthum).

حتى الاستعراضاتُ (الدراساتُ) الحديثة حوله تتحدث عن (طبيعة) أخلاقه التي لا تُحتَمل، وعن نهمه، غير المحدود، للسلطة.

(إنه إنسان) "دون حياةٍ، قاسي القلب، لا يكترث لأحد، يرتجف الجميع أمامه"

المرجع: "نيدَرماير – **Niedermeier**" ص 28.

كان (هذا البابا) يهينُ ويحقّر خصومَهُ.

من غير الممكن تقريباً بالنسبة لـ "بونيفاز الثامن"، فصلُ الحقيقة من الإشاعات التي نشرها خصومُه عنه، حتى أثناء حياته، ولكن من الثابت أن "بونيفاز الثامن" قام، أكثرَ من جميع الباباوات (قبْله) بإثراء عائلته الشخصية (ما يسمى سيموني).

"إنه يحبّ خاصَّتَه (أقرباءه) كثيراً جداً"

twitter @baghdad_library

هذا ما كتبه (اللاهوتي) الدّومينيكانيٍّ "تولومِيو دا لوكّا – **T.da Lucca**"، في كتابه "تاريخ الكنيسة المعاصر (للبابا يومئذ)"

"بونيفاز الثامن" يمدُّ أقرباءَه بكثير من الأراضي والوظائف، حتى إن البعض كان يخشى من أن تسيطر عائلتُه على كامل الكنيسة.

يقال إن عائلته، "(عائلة) كيتاني – **Catania**"، لا تزال تعيش حتى اليوم على الأراضي الواقعة إلى الجنوب من روما، التي كان البابا "بونيفاز الثامن" قد اشتراها أو استولى عليها قبل سبعة قرون.

الشاعر "دانتي ألِيغيري – **Dante Alighieri**" صاحب، "الكوميديا الإلهية"، الذي كان يحتقر البابا "بونيفاز الثامن" جداً، خلَّده إبان حياته، في نشيد الجحيم التاسع عشر:

في النشيد (المشهد) تتجول ذاتُ الشاعرِ عبر الجحيم، وتصِل إلى خليج السّيمونيّين – كما كان يقال لهم باحتقار يومها –، (وهم الذين يحابون أقرباءهم، بالوظائف وغيرها).

هناك، يجِد (الشّاعرُ) الحفرةَ المخصصة لدفن كلّ الباباوات، وكان يوضع فيها للتوِّ،بابا متوفّى حديثاً، رأسه نحو الأسفل، ولا يزال يخبطُ برجليه (رافضاً دفنه).

عندما يكلمه "دانتي"، يصرخ (البابا المتوفى حديثاً باستنكارٍ وتعجُّبٍ، ظانّاً بأنّ مَن يخاطبه هو (البابا) "بونيفاز الثامن" فيقول له):

"هل وصلت إذن؟، وهل دحرجوك إلى هنا "بونيفاز "؟،

هل ستكتفي قريباً، من تلك الثروات التي نهبتها دون خجل؟"

(البابا) "بونيفاز الثامن" وِلد حوالي عام 1235 في "أنانيً – Anagni" وهي بلدة صغيرة لا تبعد كثيراً عن روما، (حيث) سيحيى هناك لاحقاً أكبر هزائمه.

لقد قام (البابا) "بونيفاز الثامن" بنصيحة سلَفه (الملاك البابا)، بتقديم استقالته بعد حكمه لعدة شهور فقط، وكان من أقرب مساعديه، لكنه (اعتبره) لا يصلح لوظيفة البابا أبداً (كما مر بنا أعلاه)، ليصل هو إلى

البابوية في عام 1294، ثم يأمر، احتياطياً، حتى لا ينافسه أحد على وظيفته، بسجن البابا المُستقيل، الذي
توفى في سجنه (بعد عامين – مسموماً؟).

هذا البابا، الماهر بإدارة الأمور، (هو) من **أعلَن عام 1300 عاماً لليوبيل**، حيث تُغفر فيه ذنوب الحجاج إلى روما، الأمر الذي ساهم في سدَ الثقوب التي سببتها حروب الفِرنجة، في خزائن دولة الفاتيكان.

(البابا) "بونيفاز الثامن" كان يقوم، حيثما استطاع، بتخليص الحجاجٍ أموالهم.

(البابا) "بونيفاز الثامن" هو الذي ألّف وأعلن أشهر قرار باباوي (بولّه) المسمى "أونام سانكتام – **Unam Sanctam**"، الذي سبَق إعلانهُ، خلافاتٌ حول الدَّخل الضّريبي، الذي نازعه عليه ملكُ فرنسا والذي رأتْ فيه روما، اغتصاباً لحقوق أساسية لها.

هذا القرار أعلاه، يهدف بشكل حازمٍ، إلى التأكيد بإصرارٍ والتوثيق على أولوية سلطة البابا بالنسبة للسلطات الأرضية.

ورد فيها (البولّه) أنّ من يحارب روما، يحارب الله، واختُتمت بهذه الكلمات (اللاتينية):

"Porro subesse Romano Pontifici omni humanae creaturae declaramus, dicimus, diffinimus omnino esse de necessitate salutis"

التي تعني:

"إننا (البابا بونيفاز الثامن) الآنَ، نقولُ، نقرر ونعلن: إنه من أجل خلاص أي مخلوق بشري، ثمة شرطٌ لا بد منه (وهو) الخضوع للبابا"

من الناحية اللاهوتية، لا يتجاوز هذا (القول)، ما كان البابا "غريغور السابع" قد أعلنه، قبل أكثر من قرنين، في إعلانه (بولّه) المسمى "ديكتاتوس بابيه" (القرار الباباوي).

twitter @baghdad_library

لكن هـذه (البولّـه) – المسـماة – أونـام سـانكتام، (الـتي أعلنهـا بونيفـاز الثامن)، تعتبر أقوى صياغة تؤكد سلطة البابا الكونية، وبرغم الجرأة (فيها)، فعلى المرء أن لا ينسى الهدف من هذه "البولّه":

"بونيفاز الثامن" يدافع (هنا) عن الحق الـذي تدّعيـه الكنيسـةُ (لنفسـها) وتطبّقه على أرض الواقع، ومـا يبـدو (لنـا) كهجـوم، ينطلـق في الواقـع مـن (حالة) دفاع (عن الذات).

هذه الكلمات (في البولّه) التي كان لها في زمنهـا، كمـا لهـا اليـوم، وقـعٌ مبـالغٌ فيـه، ترمـي في المحصّـلة إلى إقنـاع الملـك الفرنسـي بـاحترام مطالـب الكنيسة المعتادة، بما يتعلق بالدخل الضريبي.

أما إنه سيكون لهذا (الإعلان) عواقب نشوء نزاع دامٍ مستقبلي، فهذا أمـر لم يكن يتوقعه "بونيفاز الثامن"

بدأت الاشتباكات بإهاناتٍ متبادَلة، وصلت ذروتها باتهامـــاتٍ

بالخيانة والهرطقة و"السّودومي – **Sodomie**" (ممارسة الإنسـانُ الجـنس مع الحيوان).

البابا يعلن الحِرمان الكنسي على ملك فرنسا، وعلى كلّ من يؤيده.

الملك (الفرنسي) يعلن بالمقابـل خَلْـع البابـا مـن منصبه، ويسـميه مولـود الجحيم، والمضاد للمسيحية، الذي قام بطرد سلَفه عن كرسيّه، ثـمَّ اعتقالـه وتسميمه في سجنه بعد عامين.

انسحب البابا (من روما) ليسكن قصره في (بلد ولادتـه) "أنـاني"، حيـث كان يشعر هنـاك بالأمـان، حتـى هاجمـه أعـداؤه في عـام 1303، فأهـانوه وأساؤوا معاملته.

من هذا الهجوم الفظيع (على شخص البابا بونيفاز الثامن)، الـذي دخـلَ التاريخَ تحت اسم "**صفعَة أنّاني**"، لم يستطع البابا بعده أن يتعافى.

أوّلُ مناوشاتٍ مع فرنسا

Erste Querelen mit Frankreich

لم يمضِ وقت طويل، حتى وقع النزاعِ بين "بونيفاز الثامن" والملك الفرنسي "فيليب الرابع – Philipp IV"، الملقبِ بـ "الجميل – le bel"

من المعروف عن الملك أنه عنيدٌ، متعجرفٌ، مدرك لأهمية السلطة، التي يهدف منها إلى: تحقيق سيطرة الملك الفرنسي على العالم كله.

ما يقوله وما يفعله "فيليب الرابع"، يحدِّده العدد الكبير من علماء القانون الذين أحاط نفسه بهم، والذين يدينون له وحده برفعهم إلى (طبقة النبلاء).

لذلك قامت، تحت قيادة "فيليب الرابع"، دولةٌ تكاد تكون حديثة المظهر والمقياس، لأن العلماء من حولٍه يتبعون فهماً علمانياً للقانون، حيث تكون الدولة أعلى شكل نظامٍ بشري، والحكام (فيها) ليسوا مسؤولين أمام أحدٍ (من الباباوات) وإنما أَمام الله فقط.

الدولة هي مصدر السلطة والحق، حيث يكون الملك فيها سيداً في مملكته "rex imperator in regno suo"، هذا ما يشكل معرفة جديدةً، تؤكد فيها فرنسا على حقها في استقلالية قرارها عن البابا.مع ذلك فهم يؤكدون هذا من خلال حجج مسيحية (حيث): توجد في تاج الملِك قطعةٌ مَصوغةٌ فيه، تشير (رمزياً) إلى تاج الأشواك عند المسيح.

من يستطيع بعد هذا، أن يشكك بشرعية مسيحيّة المُلْك المعطى (للمَلك) من الله؟ "rex christianissimus"

سبب النزاع بين "فيليب الرابع" و"بونيفاز الثامن" يتعلق بالضرائب. الملك يحتاج إلى الأموال لتمويل حربه ضد إنكلترا، حيث لا أحدَ من الطرفين يستطيع تمويل مثل هذه الحرب، دون (عائدات) الضرائب على مداخيل رجال الدين.

twitter @baghdad_library

استناداً إلى القانون الأساس (بين الكنيسة والملك)، كان على الملك أن يطلب مسبقاً، على الأقل موافقة البابا على هذه الضرائب:

(لكن) عندما ابتدأت الحرب، كان مقعد الباباوية فارغاً، ولا يوجد هناك من يمكن سؤاله.

في عام 1296 احتجَّ الكهنوت الفرنسي، ضد مطالب الملك (بفرض الضرائب) عن طريق الدولة، إلى البابا "بونيفاز الثامن" ليتدخل في الأمر.

"بونيفاز الثامن" يعلن "البولّةِ" المسماة "Clericis Laicos – **قانون حرية الكنيسة**" وفيها يهدد، بأسلوبه الفظّ (المعروف) كلَّ رجل دين بطرده من الكنيسة، إذا قام، دون إذن واضح من البابا بدفع أية رسومٍ أو ضرائب (للدولة والملك)، أو الموافقة على دفعها.

هذا التهديد نفسه يطلقه (أيضاً) كلُّ الحكام ومساعديهم الذين يطالبون رجال الدين بدفع الضرائب.

لو تم فعلاً تطبيق محتوى "البولّة – الإعلان الباباوي" هذا، لما استطاعت الدول أن تتحارب (فيما بينها) دون إذن من البابا.

(لهذا) كان الكهنوت الإنكليزيُّ والفرنسيُّ في وضع غير مريح:

إن أطاعوا الدولة فعليهم أن يتقبلوا الحِرمان الباباوي، وإن أطاعوا البابا فسيدخلون في مشاكل مع الملك.

"بونيفاز الثامن" يستطيع (في هذا الصراع) الاعتماد على (رأي) اللاهوتي "بيرنهارد فون كلارفو – B.v. Clairvaux" – رئيس دير "زيسْتَر زِينْسر" الشهير، الذي ورد في (عمله اللاهوتي الموسوم بـ) "تعاليم السّيفين – Zweischwerterlehre"، التي تقول: إن الكنيسة لا تدير السيف بنفسها، وإنما تترك ذلك للأمراء الذين يقومون بهذا، بناءً على أمر الكنيسة لحمايتها.

الدولةُ من صُنْعِ الكنيسة؟. هذا ما اعتقده البعض في فرنسا على كل حال.

(الملك) "فيليب الرابع" يقوم بالهجوم المضاد، ويمنع تصدير السلاح والخيول والغذاء والمعادن الثمينة والذهب والأشياء النفيسة والأموال (إلى البابا).

إنها لضربة قوية ضد البابا الذي اهتزّت (بسبب هذا) ميزانيةُ دولته.

"بونيفاز الثامن" كان في هذه الأثناء يخوض حرباً ضد صقليّة، لا يستطيع الاستمرار فيها دون الإمدادات الفرنسية.

بعد المشاورات العديدةٍ (بينهما) تبدأ المفاوضات في عام 1297، التي تفضي إلى نجاح دبلوماسيٍ، غير متَوقّعٍ، لفرنسا.

(البابا) "بونيفاز الثامن" يقبل تقريباً بكل شروط فرنسا، دون اعتراض، وكأن "بولّة – قانون حريةٍ الكنيسة"، لم تعد لها صلاحيةٌ في فرنسا، وهو البلد الذي تمرد على حقٍ كنَسيّ قديم.

فرنسا، يحق لها (إذن) أن تتابع فرض الضرائب على رجال الدين، بينما القيادةُ الإنكليزية، في حربها (مع فرنسا)، لا تزال مشلولةً بسبب إعلان البابا (أعلاه).

إضافة إلى هذا، يعلن (البابا) "بونيفاز الثامن" تودُّدَه لفرنسا، من خلال تطويب الملك (الفرنسي)، "لودفيغ التاسع – Ludwig IX"، المتوفى في حروب الفرنجة، وإعلانه قديساً.

كما أنه يعطي البلد (فرنسا) العديد من التسهيلات. لقد أصبح البابا على حد قول المؤرخ "يوهانّس (يوحنا) هالّر – J.Haller"، فرنسياً.

twitter @baghdad_library

حربُ النّبلاء

Der Krieg der Adelsgechlechter

هل نسي البابا "بونيفاز الثامن"، بأنّ على الدولة والملوك أن يطيعوه هو، وهو المعروف باعتداده بنفسه؟.

السبب في تنازلاته (للفرنسيين) هو الصراع الذي نشب بينه وبين عائلات النبلاء المسماة "**الكولونّا** – **Colonna**"، وهو تجمع عائلي (عريق واسع النفوذ) كان يحدِّد لقرون سياسة الباباوات.

بينما كان (البابا) "بونيفاز الثامن" يفاوض الفرنسيين ثارت ضده جماعة عائلة الكولونّا آملةً الدعم من فرنسا.

إذا أراد (البابا) "بونيفاز الثامن" أن يحول دون هذا، فعليه تقديم تنازلات للفرنسيين. إنه قابل للابتزاز أيضاً، الأمر الذي سيتغير قريباً.

الكولونّا هي جماعة عائلات رومانية نبيلة، ذات سلطة وثراء كبير في العصر الوسيط.

إنهم (الكولونّا) يملكون أجزاء كبيرة من (مقاطعة) الشمبانيا، وكذلك الحصون على جبال البانا – وسابينَر – وبَليسْترينا، وهي حصونٌ صخريةٌ، ومقرُّ سكَناهم.

(البابا) "بونيفاز الثامن" يُجلي الكولونّا في عام 1297 عن أراضيهم، في جبال البانا وسابينَر، ويستولي على الأرض لعائلته.

ربما يستطيع المرء أن يبرر هذا (الفعل)، بسبب دعم الكولونّا لعدوَ (البابا) "بونيفاز الثامن"، ملك صقلية الأراغونيّ.

من الآن فصاعداً، وعلى أرض الواقع امتزجت "محاباة الأقرباء ـ النيبوتِسْموس" مع السياسة الكبرى (واستمرت)، مدة تزيد عن ثلاثة قرون.

قام "شتيفان كولونّا – Stefano Colonna"، بالانتقام من (البابا) "بونيفاز الثامن" بالسطو على أموال (له وهي) ثمن الأراضي، إبان نقلها إلى روما.

(البابا) "بونيفاز الثامن" يستشيطُ غضباً عندما يعلم بأن الكولونّا قد سلبته أمواله، وكان عنده (في دولته) اثنان من الكاردينالات الذين ينتمون إلى هذه العائلة.

أمر (البابا) الكولونّا بإعادة الأموال إليه على الفور وبتسليمه قلاعهم في الشمبانيا، كرهينة، وهو ما لم تلبِّه الكولونّا.

قام الآن بطرد الكاردينالين وحرمانهم كنَسياً ومصادرة أملاكهم وأملاك أقربائهم حتى درجة القرابة الرابعة.

إن (البابا) "بونيفاز الثامن" يرى في الكولونّا أكثر من مجرد منافسين مزعجين له في السباق نحو امتلاك الأراضي.

إنه يرى فيهم أصدقاء لأولئك الحالمين والروحانيين الذي يذيعون، منذ موت سلَفه "كولستين الخامس"، بأنه قام بقتله (بعد عامين في السجن) وبأنه وصل إلى وظيفته بطريقة غير شرعية.

يبدو أن هذه التخمينات ستصدق:

عندما تصدى (البابا) "بونيفاز الثامن" للكولونّا راحوا يذيعون (هم أيضاً) بأنه قتل سلَفه ووصل إلى وظيفته عن طريق الخداع.

(البابا) "بونيفاز الثامن" يأمر عندها محاكمَ التفتيش الخاضعة له بتولي أمر جماعة الكولونّا، التي تكرّر هذه الاتهامات (ضده) في تذكرة طويلة تعلنها، مطالبة بعقد مجمعٍ من الملوك والأمراء ورجال الدين، يقوم بعزل (البابا) "بونيفاز الثامن"

على ما يبدو أنهم كانوا يأملون بدعم الفرنسيين لهم، وهو الأمر الذي لم يحصل، وحُجِب عنهم، بعد أن تمكن (البابا) "بونيفاز الثامن"، مرة أخرى، من تلطيف مشاعر الفرنسيين.

twitter @baghdad_library

(البابا) "بونيفاز الثامن" يلجأ الآن إلى أقصى وآخر ما يملكه من وسائل (ضدهم):

إنه يعلن حرباً صليبيةً على الكولونّا.

برج بَليسترينا، الذي تحصّنت فيه عائلة الكولونّا، يَسقط ويحرقُ.

(البابا) "بونيفاز الثامن" يقوم بتوزيع أملاكهم على عائلات "**أورزيني – Orsini**" وهم ألدّ أعداء الكولونّا.

على هذا النمط سوف يتصرف خلفاؤه حتى القرن السادس عشر.

لقد قامت هذه المعاملة القاسية من قبَل (البابا) "بونيفاز الثامن" حيال أعدائه، بالضرر به أكثر مما جلبت إليه من الفائدة.

المرءُ ينتَظر من البابا بالذات (أن يُبدي) الرأفةَ ضد أعدائه، لكن وبدلا من ذلك، يقود البابا عائلةً مرموقةً نحو الفناء ويسوِّي مقرّ الكاردينال (وعائلة كولونّا) في برج بَليسترينا، بكل ما يحتويه من كنوز فنية، بالأرض.

في عيون الكثيرين يصبح (البابا) "بونيفاز الثامن" الآن مضاداً للمسيحية، ومجسِّداً قُربَ نهاية العالَم.

حَمقى على الجانبين

Narren auf zwei Seiten

في عام 1301 نشب نزاع جديد بين (الملك الفرنسي) "فيليب الرابع" – الملقب بالجميل – وبين البابا، بسبب تجاوزات من الدولة الفرنسية، قام فيها موظفون ملكيون بالتدخل السافر في أمور كنَسية تتعلق برغبة البابا في إنشاء مقرٍ كنَسي أسقفيّ (Bistom) في "لانغيدوك" جنوب فرنسا، فقاموا بمصادرة متاعٍ تابعٍ للكنيسة، وبإلقاء القبض على الأسقف وتعذيبه وجره أمام قضاء الدولة (المدني).

مثل هذه الأحداث كانت تتكرر منذ زمن بعيد.

البابا "بونيفاز الثامن" يقرر الآن التدخل بكل ثقله الوظيفي، فيصدِر إعلاناً باباوياً "بولّه" يدعى: "أصغِ يا ابنيّ الغالي – Ausculta Fili"

في هذا الإعلان يحذر البابا "فيليب الرابع" قائلاً (له): "أعطِ إذنَك (أصْغِ) إلى تعليمات المعلم، الذي يمثل على الأرض مكانة السيد الأوحدِ والمعلمِ. لقد نصّب اللهُ البابا فوق الملوك وممالكهم، لذلك لا يمكنك القولُ – آهٍ (أيها) الملك – بأن لا أحد فوقَك. أنتَ أيضاً تخضع للبابا. من يقول خلاف ذلك هو أحمقٌ أو غير مؤمن" لا جديد في هذا (القول) الذي يكرر فيه البابا بونيفاز الثامن، الرأي التعليمي السائد في الكنيسة (يومئذ)، لكن لهجة القول هنا غير مريحةٍ، ولاسيما أن الفرنسيين لم يعتادوا على مثل هذا (منه).

"فيليب الرابع" يمنع نشر هذا الإعلان الباباوي "البولّه" ويحاول إثارة مواطنيه ضد البابا.

لهذا السبب يقوم وزيرُه الأول بجمع بعض البارونات (من صغار الأمراء) حول الملك، وهم من الغُشَماء (غير المختصين دينياً)، ويقرأ عليهم نسخة مصغرة ومزورة من إعلان البابا.

twitter @baghdad_library

كان الحضور، كما هو متوقع، ساخطاً غاضباً، حتى إن أحدهم – كما قيل – أمسك الورقة وألقى بها في النار.

انتشرت سريعاً إشاعةٌ تقول بأن البابا يزعُم بأن مملكةَ "فيليب الرابع" هي مِنحةٌ من قبل الكنيسة، ثم ينشرون جواب الملك على هذا الادعاء المزعوم الذي يقول فيه (الملك):

"(مِن) فيليب إلى بونيفاز، دون سلامٍ. على غبائكم (أيها البابا) أن يعلم أننا لا نخضع لأحد في الأمور الدّنيَوية. من يعتقد العكس فهو أحمقٌ. – صدرت في باريس"

(بعدها) تمت دعوة ممثلين عن الجماعات والطبقات الدينية والنبيلة وممثلي المدن، لحضور اجتماع، ناقشوا فيه مرات عديدة، رسالةَ البابا (البولّة المزورة)، وأجمعوا في النهاية، بمن فيهم رجال دين رافضين للبابا، على الردَ الذي تُلي عليهم وأُرسل إلى البابا، يتهمون فيه "بونيفاز الثامن" بكونه، عدواً للكنيسة، ومضاداً للمسيحية، يجب معاقبته.

"بونيفاز الثامن" يتصرف على الفور، فيلقي خطبةً ناريةً، يتهم فيها الوزير الأولَ (للملك) بالتزوير، ويعلن الحِرمان الكنسي على "فيليب الرابع"، ويرفض بشدةٍ ما نُسِب إليه من قول بأن فرنسا هي عَطِيةٌ – **Lehen** – منه إلى البابا[1]

"بونيفاز الثامن" يصدر إعلاناً "بولّه" جديداً، يُعتبر الأكثر شهرةً في تاريخ الكنيسة، ويسمى "أونام سانكتوم" – مرّ بنا أعلاه – يؤكد فيه البابا أن السلطة الأرضية تخضع لقضاء رجال الدين، ويبذل كلَّ جهده لتوضيح هذا الأمر.

(البابا) يقوم بإرسال مبعوث بابويّ إلى باريس للتفاوض مع "فيليب الرابع" غير أنه يخون سيدَه، ويدلي بقول – تحت القسم – أن "بونيفاز الثامن" مارقٌ – هرطَقيٌّ.

هذا (القول) يكفي ليتحرك وينشط الجانب الفرنسي (ضد البابا).

---

(1): (نظام العطية هذا - **Lehen** -، هو نظام إقطاعي يَمنح فيه السيدُ الأرضَ لأتباعه أو لفلاحيه لقاء قسَم وخدمات معينة، ويمكن له استردادُها منهم...).

إن المسؤول عن إدارة القلم في هذا الأمر هو الوزيرُ الأولُ (الفرنسـي) "غيـوم دو نوغاريه – G.de Nogaret"، وكان جدّه قد أحرِقَ من قبل محاكم التفتيش بنفس التهمة (الموجهة للبابا الآن).

الوزير الأول يقوم الآن، باعتماد كل التهم والإساءات الموجهة ضد "بونيفاز الثامن"، وكل ما قيل في حقه من وشايات، ويطلب من الملك أن يقوم بالدعوة لانعقاد مجمع "كونزيل"، لانتخاب بابا جديد. لا بدَّ من إزاحة البابـا، كمـا يقال الآن، من أجل حماية الكنيسة (منه).

عندما سمع البابا "بونيفاز الثامن" بهذا، قام بالتحالف مع الملك الألمـاني "ألبريشت الأول – **Albrecht I**"، حتى يستطيع التحرك – عنـد الضـرورة – عسكرياً ضد فرنسا.

"ألبريشت الأول" يوافق للبابا على كل ما رفضه "فيليب الرابع":

بدون اعتراض – على ما يبدو – يُخضِع نفسه للسـلطة البابـاويـة العليـا، ولقاء ذلك يلوِّح البابا (له) بإمكانية حصوله على مرتبة القيصرية.

"فيليـب الرابـع" يعتـبر الآن التحـالف بـين الملـك الألمـاني "ألبريشـت الأول" والبابا "بونيفاز الثامن" كإعلان حرب (عليه) ويتّهم الآن البابا رسمياً بالهرطقة.

"فيليب الرابع" يقوم الآن بـدعوة النـاس إلى حـدائق اللـوفر ويـدَعُ أتباعـه يقرؤون عليه الاتهامات ضد البابـا، طالبـاً مـن الشـعب دعمـه في نزاعـه مـع مخرِّب فرنسا. البعض يردد "نعم، نعم" إن هذا يكفيه ليعلن أن كل الشعب الفرنسي يدعم اتهاماته ضد "بونيفاز الثامن" ويدعو إلى عقد المجمع لعزله.

"بونيفاز الثامن" يـردُّ علـى الفـور ويعلّـق العقوبـة المسـماة "**إنترديكـت – Interdicht**"[2] على كل فرنسا، فتعطلت الحيـاة الكنسـية جرّاءهـا (في كـل البلاد). حتى يستبِق الملكُ "فيليب الرابع" حِرمان البابا له، يكلّف "نوغاريه" – وزيره الأول – بالإعداد لعمل عسكريّ يهدف إلى أمر رهيبٍ، وهـو اعتقـال البابا وخطفه إلى فرنسا ليُحاكم، هكذا كان التكليف. الآن تتزاحم الأحداثُ.

---

(2): (إنها عقوبة محليةٌ تمنع رجال اللاهوت، في منطقة ما، من القيام بأية أعمال كنسية عامة)،

twitter @baghdad_library

الاغتيالُ في "أناني"

Das Attentat von Anagni

في غَبَش صباحِ السابع من سبتمبر / أيلول من عام 1303، هاجمت جماعةٌ مسلحةٌ يقودها "نوغاريه" – الوزير الأول لملك فرنسا – و" سْكيارّا كولونّا" – أحد أفراد العائلة التي ألحق بها البابا ضرراً شديداً – مدينةَ "أناني وهي مسقط رأس "بونيفاز الثامن" ومقره الصيفي، ودخل المهاجمون بيوت الكرادلة صارخين: "فرنسا وكولونّا"

تمكن الكرادلة، في الوقت الملائم، وهم يتنكرون (في ملابس الخدم) من النجاة عبر ممرات المراحيض. عند المساء استطاع المهاجمون احتلال قصر البابا، فوجدوه جالساً على العرش في كامل زيّه الرسمي"أورنات – Ornat" وعلى رأسه التاج، وبين يديه الصليب الذي يقبله خاشعاً.

المهاجم من الكولونّا ينقضُّ عليه ويضربه بقبضةٍ ذات قفاز حديدي، كما تروي الحكاية، وهي ما سميت لاحقاً بـ "صفعة أناني"

يقال إن البابا تصدّى لهم قائلاً: "هذه هي رقبتي وهذا هو رأسي"، وكان يفضل الموت على الاستقالة.

لم يتم نقل (البابا) "بونيفاز الثامن" إلى فرنسا، كما كان مخططاً له، بسبب الخلاف بين مختطفيه.

يقال بأن رجل الكولونّا أراد قتله، فوقف بينهما "نوغاريه" وقام أولاً بسجن البابا، حيث بقي هناك ليلتين ونهاراً دون أن يأكل شيئاً، خشية أن يكون مسمماً.

في هذه الأثناء تبدلت الحالة في "أناني إلى النقيض.

سكان "أناني" الذين كانوا قد ساعدوا المهاجمين قبل يوم ونهبوا قصر البابا لا يريدون الآن أن يلطخوا أنفسهم بدمه، فيتسلحون ويطردون

"نوغاريه" و"سكيارّا"، فيهربان (من المدينة). يقوم السكان الآن بتحرير البابا من السجن، وعرضه في ساحة البلد. هناك يرى الناس مشهداً نادراً، لم يعد فيه "بونيفاز الثامن" سيدَ الشعوب والممالك والسيد الأعلى للمخلوقات البشرية، وإنما يقف أمامهم جائعاً محقّراً، يستجدي قطعة خبز وماءٍ.

البابا يصبح فجأة إنساناً، بإمكان المرء أن يتحدث معه.

يقال أنه عفا عن كل من ألحق به ضرراً شخصياً، ثم عاد إلى روما حيث توفى بعدها بأسابيع.

هل تمادى "نوغاريه" كثيراً؟. خطته الجريئة بخطف البابا إلى فرنسا ليحاكمه المجمعُ هناك، كانت بديلاً للضرائب الكنسية.

لقد استنكر ما قام به الوزيرُ الأول،حتى ألدّ أعداء البابا، ومنهم (الشاعر الشهير) "دانتي" الذي لم يترك فرصة (حتى حينه) دون شتيمة البابا ووصفه بالشيطان، يصبح الآن عطوفاً عليه، واصفاً إياه بـ "المخلّص ذاته" المعتقل.

برغم ذلك فإن نتائج هذا الحدث واسعة.

لقد أكد فيليب الجميل، ماذا تعنيه عقلانية الدولة: إن أمور السلطة تحتل مكانة أمام الكنيسة والتقاليد وبغض النظر عن أيِ شيء آخر.

هذا الدرس – العبرة، سوف يستوعبه حكام آخرون بجدٍ.

الباباوية لا يحق لها بعد الآن أن تعتمد على قدسيتها وعدم إمكانية مهاجمتها.

بعد قرنين (على مرور هذا الحدث) يعيش البابا "كليمينس السابع" التجربة من جديد في حمام الدّم المسمى **"ساكّو دي روما – Sacco di Roma"** حيث قتِل نصف سكان روما، وحيث أنقِذ من النهب، القليلُ فقط من الكنوز الفنية.

twitter @baghdad_library

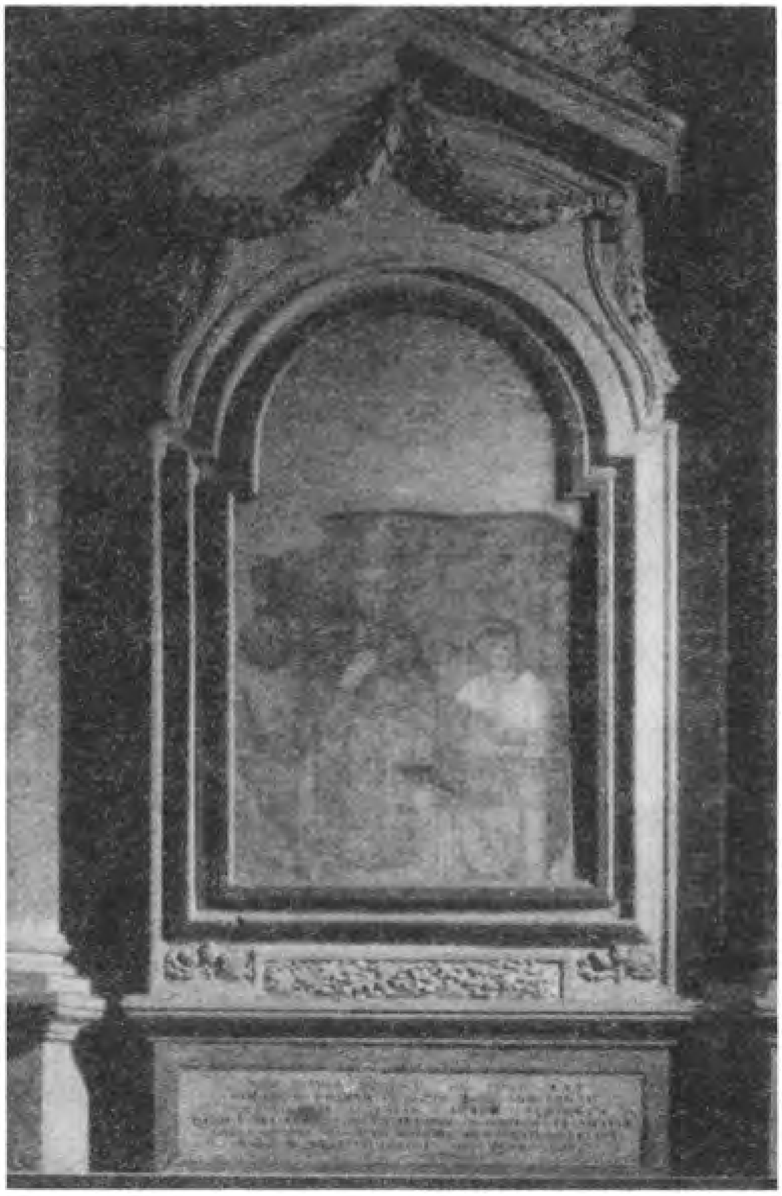

لوح تذكاري للبابا "بونيفاز الثامن"
بمناسبة إعلانه "عام اليوبيل" الأول عام 1300.

twitter @baghdad_library

في الطريق إلى "أفِنْيون"

Auf dem Weg nach Avignon

منذ العام 1316، وباستثناءات قليلة، يصبح مقرُّ الباباوات الدائم في "أفِنيون"

في السابق كانوا يتحدثون عن "سجن بابلي للكنيسة في أفِنيون" استمر لسبعين عاماً، مشيرين بذلك إلى ما جاء في العهد القديم عن عقاب إلهيّ لليهود، الذين أرسلهم إلى "بابل" طوال هذه المدّة كعبيد أسرى عند ملوكها.

هذه المقارنة هي، بالنسبة للمسيحية الكاثوليكية، مفهومة، وبرغم ذلك فهم يشعرون بالعار من اضطرار الباباوات لترك روما.

هل كان من اللزوم أن يصل الأمر إلى هذا الحد؟، وهل الباباوات مجرد عبيد لدى الملوك الفرنسيين؟، و(هل) دخلوا هذه الحالة من دون ذنب؟.

إن طريق الباباوات إلى أفنيون (المنفى) يتكلم قصةً أخرى.

بعد وفاة البابا "بونيفاز الثامن" بأحد عشر يوماً (فقط)، يَنتخبُ الكاردينالاتُ "نيكّولو بوكّاتسيني – **Niccolo Boccasini**" – وهو رئيس تنظيم كنَسي تبشيري – ليصبح البابا "بينيديكت الحادي عشر – **Benedikt XI**"، الذي قام على الفور بمحاولة تهدئة خصوم سلَفه (البابا بونيفاز الثامن).

إنه يلغي العقوبة التي كان سابقُه قد علّقها على فرنسا، ويرفع الحرمان الكَنسي عن (عائلة) الكولونّا، مستثنياً "سكيّارا" الذي قام بالاعتداء (على البابا) في "أناني"

إنه يقوم أخيراً برفع الحرمان الكَنسي عن (الملك الفرنسي)

"فيليب الرابع" – الجميل – وإعادته إلى الكنيسة، على الرغم من أن هذا لم يطلب منه ذلك.

بأسلوبٍ استجدائي واعتذاري، يلحُّ (البابا بينيدِيكت الحادي عشر) في رسالته إلى الملك أن يقبل (منه) الرحمة، غير المرغوبة فيها (قائلاً):

"كيف نستطيع نحن، أن نُحجِم، ولو ضد رغبتك، من إحراجك للدخول (في الكنيسة من جديد)، كمثل خروف عظيم، نبيل وشهير، الذي هو أنتَ، وأن نتركه دون مساعدة، يحمل على كتفيه وحيداً كل هذا (الحِمل)؟"

أما ما يتعلق بـ "نوغاريه" - وزير الملك الأول - وبقية المعتدين في هجوم "أناني"، فعليهم أن يقفوا أمام المحكمة.

في السابع من يوليو / تموز من عام 1304، وقبل إعلان الحكم بقليل، يتوفى فجأة "بينيديكت الحادي عشر"

يقال بأنه أكل تيناً لم يتحمله. قتلٌ بالسُّم؟.

عمليّةُ انتخاب بابا جديد، كخلفٍ لـ "بينديكت الحادي عشر"، استمرت عاماً، وتمَّت في (مدينة) "بيروغْيا - Perugia"، إلى حيث كان البابا قد ذهبَ، خوفاً من الاعتداء عليه في روما.

(طالت عمليةُ الانتخاب) بسبب خلاف بين الكاردينالات، كان سببها، طلبُ البعض عقد مجمع كنَسي لمحاكمة البابا (الراحل) "بونيفاز الثامن" بعد وفاته بتهمة الهرطقة، كما تطالب بذلك فرنسا.

على أحد الأطراف، وقف المدافعون عن "بونيفاز الثامن" ضد التهم والافتراءات المستمرة عليه من قبل أعدائه.

أما في الجانب الآخر، فقد وقف المضادون لـ "بونيفاز الثامن"، المطالبون بضرورة التصالح مع "فيليب الرابع" وبإعادة الممتلكات (المصادَرة) والكرامةَ إلى جماعة الكولونّا.

بعد أحد عشر شهراً من الخلوة الانتخابية (كونكلافه) المستمرة، تمّ انتخاب "بيرتراند دي غوت - Bertrand de Got" ليصبح اسمه البابا "كليمِنس الخامس - **Clemens V**"

twitter @baghdad_library

الجانب المضاد لأتباع "بونيفاز الثامن"، حقق (بهذا الانتخاب) ما أراده، لكن ليس دون استعمال خداع متقن.

يقولون عنه (البابا) أنه "أسوأ السّيمونيين"- (المحابين للأقرباء) -، وأنه بهذا قد فاق كثيراً ما كان عند "بونيفاز الثامن"

بالرغم من هذا: فإن البابا محسوبٌ على الفرنسيين. إنه يفعل كلّ ما ينتظره منه (الملك) فيليب الجميل، ودون مقابل.

أوّلُ قراراته، بعد انتخابه، كان نقل مقرّ البابوية (من روما) إلى فرنسا، ثم تمّ تشكيل كامل مجمع الكرادلة تقريباً، من أقاربه الفرنسيين وأتباعه.

عندما توفيَ (البابا) كانوا يسيطرون - دون عناء - على ثلثي الغالبية (في المجمع).

مَن يَستغربُ بعدها، أن تقوم حكومةُ البابا، بكل حرية، بترسيخ جذورها في فرنسا؟.

زمن حكم (البابا) "كليمِنس الخامس" يظلله حتى اليوم، ذلك الدورُ المشتَبه به (الذي لعبه) في تدمير جماعة الهيكل، وهو تنظيمُ الفرسان المسيحيين (**فرسان الهيكل**)، الخاضع له شخصياً.

الثراءُ والسلطةُ اللتان كانتا عندهما أثارت جشَع الملك، "فيليب الرابع"، الذي بدأ بمطاردة جماعة الهيكل.

حاول "كليمِنس الخامس" أن يسبقه من خلال أمره شخصياً بإجراء تحقيق عنهم، ولكنه بهذا أعطى لـ "فيليب الرابع" (السبب) لأن يأمر بالقبض على كل الهيكليين وبتعذيبهم وإرغامهم على اتهام أنفسهم بالقيام بأعمال مريعة (ومنها تهمة اللّواطة).

لم يستطع "كليمِنس الخامس" أن ينتزع الموضوع (من يدي الملك) إلى يده، حتى إن العديد من أتباع هذا التنظيم تم حرقهم في النهاية.

أخيراً يرغَم "كليمِنس الخامس"على افتتاح محاكمة ضد هرطقة "بونيفاز الثامن" (المزعومة).

قامت حكومة الكنيسة بإيقاف هذه المحاكمة، ولكن بثمن سياسي ضخم. (:) المهاجمون في أناني، وحتى المسؤول الرئيس عنهم، الوزير الأول ج. نوغاريه، يتم العفو عنهم.

"فيليب الرابع" يحصل من البابا على وثيقة بأنه قام بهذا "بنشاط عادل، جيد ونقي" بهذا عانت هيبة الكنيسة كثيراً.

أحد المعاصرين (لهذه الأحداث المؤرّخ) "يوهانّس هلَّر" يضع النقاط على الحروف، عندما يقول:

"منذ أن عرف كل المؤمنين أن السيدَ الممسوح (البابا) قد أصبح سجيناً، وأُخِذَ منه" تابوت العهد القديم "– تابوت الوصايا المزعوم – وتمَّ نهبه، دون أن يسمع أحدٌ عن ذنوبٍ (قام بها)، منذ هذا أصبحت الكنيسة ورعاتها محتقرة من الناس، قليلة التقدير"

بعد أن أستقر (البابا) كليمِنس الخامس في "بواتيه – Poitiers" لفترة من الزمن، انتقل منها ليجعل مقره في أفنيون. السبب في هذا: أن الشاطئ الشرقي لنهر "الرّون" ليس من ملكية فرنسا، وإنما يتبع لإمارة "فيناسّين" وهي من أملاك الكنيسة الكاثوليكية، فإذا حدثت مصاعب، فهو لا يحتاج إلاّ لقطع نهر "الرّون" حتى يصل إلى فرنسا الآمنة (له).

عندما توفى (البابا كليمِنس الخامس) عام 1314، احتاج الكرادلة إلى عامين حتى يتفقوا على البابا الجديد، ذلك أن مجمع الكرادلة كان لا يزال منقسماً (على ذاته)، على الرغم من أن الفرنسيين يشكلون الأغلبية فيه، ولكنهم لم يتفقوا حتى على مكان انعقاد الخَلوة.

إنهم يخشون بقرارهم هذا، أن يستبَقوا تحديد مكان مقر البابا، إن كان (سيستقرّ) في إيطاليا أو فرنسا، وأخيراً اتفقوا على عقده في (المدينة الفرنسية) "ليون"

الملك (الفرنسي) الجديد "فيليب الخامس"، – الذي توفي أخوه "لودفيغ العاشر" قبله، وبعده الوفاة المبكّرة لـ "كارل الرابع" – يُغري الكرادلةَ بحيلةٍ تدفعهم للقدوم إلى "ليون"

twitter @baghdad_library

هناك يقوم باحتجازهم بتاريخ 28 يونيو 1316، مقدماً لهم الخبز والماء فقط، مهدداً إياهم بإبقائهم في الخَلوة، حتى يرغمهم على انتخاب بابا جديد (سريعاً).

تحت هذا الضغط، اتفق الكاردينالات سريعاً، كما هو متوقَّع، على انتخاب "يوهانّس الثاني والعشرين – Johannes XXII" البالغ عند انتخابه 72 عاماً، وبسبب هذا اعتبره الجميعُ باباً مؤقتاً.

البابا "يوهانّس الثاني والعشرين" يحكم، بشكل مدهش غير متوقع، لمدة 18 عاماً.

إنه زمن كاف له لكي يُلحق بمكانة البابا والكنيسة أشدَّ الأضرار. إنه يرفع ضرباً من الضرائب بشكل مريع، ويوظف كافة عائلته (سيموني) في مناصب ذات أجر جيدٍ.

إنه يمنح المرابين الغفرانَ لقاء الكثيرٍ من المال، فيتجمع لديه كنز لا يصدق، يعادل 800 ألف غولدِن ذهبيٍ – وحدة عملة –.

بينما قام (سلَفه البابا) "كليمِنس الخامس" بتوزيع وظائفه المتعددة على مناطق مختلفة من جنوب فرنسا، قام "يوهانّس"، بعد انتخابه مباشرة بحصرها في أفنيون. هذا مريحٌ له، لأنه لا يوجد هنا، بخلاف روما، جماعات من النبلاء تهدد حكمه.

(منطقة) "الرّون" منطقة مواصلات هامة. صخرة الدوم وعليها الكاتدرائية، مقر الأسقف، تعطي (له) إمكانية دفاع جيدة، وهو ما يستطيع المرءُ أن يتبيّنَه حتى اليوم، فيما إذا نظر من على جسور نهر "الرّون" نحو أفنيون.

حيثما يكون البابا، تكون روما

Wo der Papst ist Roma- ubi papa, ibi roma

أفنيون أصبحت سريعاً مكان جذب ثقافي واقتصادي، ذا مَلمحٍ سياسي كوني. (وجود) البابا وحكومته فيها تجذب إليها: سكان ريف القرى المجاورة، الباعة من (منطقة) توسْكانا، علماء القانون، والتجار والحرفيين.

المدينة تقدم أفضلَ الشروط لبناء إدارة مركزية رابحة للكنيسة. في هذا المجال لم يكن لباباوات روما يداً سعيدة (ناجحة).

منذ بدءِ الخلاف (في مسألة) "الأنفيستور"(3)

في القرن 11، (أخذ) الباباوات يقيمون في أماكن مثل:

أناني – بيروغيا – فيتربو – لفتراتٍ، يصل مجموعها إلى فترة أطول من تلك التي كانوا يقيمون فيها في المركز المضطرب روما.

لا يمكن تجاهل ذلك: الكنيسة تصبح في أفنيون مقيمةً باستمرار. المدينة تقف على بدء تطور مالي وقانوني (هام) في الكنيسة، وفيها ينشأ بلاطُ دولةٍ ضخم.

وحدها حكومة البابا تُحضِر معها 600 موظفاً، وعشرين كاردينالاً، وألف رجل بلاط يسمون بـ "العائلة"، ويتزايدون باستمرار.

(تحت حكم البابا) "كليمِنس السادس"، منتصف القرن 14، يصل انتشارُ السلطة، الواضح للعيان، ذروتَه.

في هذا الوقت تصبح أفنيون أحد أهم الأماكن الاقتصادية القادرة (على المنافسة). الباعة والبنوك يُنشئون فيها مقراتٍ ثانويةً، حتى أصبحت أفنيون في وقت قريب، تتنافس مع مراكزَ التجارة الكبرى: بُرغِه – باريس – برشلونة والبندقية.

---

(3): (وهو الخلاف مع الملك على حق تعيين رجال الدين في المناصب العليا)

twitter @baghdad_library

البابا، الكاردينالات، ورجال البلاط هم زُبُنٌ قادرون على الشراء.

البابا "كليمِنس السادس" هو الذي اشترى مدينة أفنيون، والمناطق المجاورة لها عام 1348، من ملكَة نابولي "يوهانّا الأولى"، بثمن زهيد هو 80 ألف غولدِن فقط.

وراء الصفقة (هذه) كانت هناك قصةٌ داكنةٌ:

يقال أن "كليمِنس السادس"، بالمقابل (لثمن الشراء الزهيد)، سمح (للملكة) يوهانّا الأولى "بالزواج من قاتل زوجها الأول.

معظم رجال الدين (الصغار)، وأشباههم من الغُشَماء، يسكنون في المدينة خارج الأسوار الباباوية.

من أجل سكَنهم، تم استئجارُ بيوت أو مصادرتها، أو بناء بيوت جديدة لهم، مما جعل أفنيون ورشةَ بناء ضخمة، جاء إليها المهندسون المعماريون من إيطاليا ليبنوا فيها القصور على النّمط الإيطالي، والكنائس، والجدارَ الدفاعي بعرض أربعة أمتار.

هكذا نشأت خلال فترة قصيرة "مدينة البابا" الإيطالية، الغريبة (بمظهرها) على الريف (الفرنسي)، التي تجذبُ إليها، بمظهرها الحربي، آلافَ الزوار كل عام حتى اليوم.

(البابا) "كليمِنس السادس" يبني قصراً جديداً إلى جانب قصر الأسقف القديم، ذا أبعادٍ هائلةٍ: ستة بروجٍ ضخمة مربعة الشكل، وجدران هائلة جرداء.

قصر البابا في أفنيون هو أكبرُ الأبنية الاستعراضية في العصور الوسطى، وأفضلها حالة حتى اليوم.

إنه أشبه بقصرٍ وسجن في آن واحدٍ معاً، (إنه) حصن دير، قاتمٍ، منفَر.

القصران معاً يَشغَلان مَساحةً 6460 م2، مبنيان على سفح صخر جِصي مائل، ارتفاعه 60 متراً، يسيطر على كامل المدينة.

الحياة الروحانية، والسياسية والخاصة للباباوات، التي كانت في القديم تتوزع على مناطق عديدة في روما وجوارها، أخذت الآن تتركز في مجموعة

القصور الضخمة (في أفنيون)، تحت شعار: "**حيثما يكون البابا، تكون روما**
"ubi papa, ibi roma–

(هنا في أفنيون) تقوم كنيسةٌ صغيرةٌ، مكانَ كنيسة "البازيليكا"[4]، في (قصر "لاتيران" وأخرى تقوم بدلاً عن (كنيسة) القديس بطرس.

المدخل الرئيس للقصر سُمّي باسم أمراء الرسل "بيتر (بطرس)، وباول (بولس)"، وتم لاحقاً تسمية جناح كامل في القصر باسم "روما

دولة الكنيسة في أفنيون تريد أن تكون أكثر فأكثر من مجرد إدارة كنيسة. البابا والكرادلة يعملون على جمع التحف الفنية، ويبدون خلالها اهتمامهم باتجاهات جديدة منفتحة في الفن، لم تكن معروفة سابقاً، مما أظهر نوعاً جديداً في الرسم، أصبحت موضوعاتُه الطبيعية، ومشاهِدُ الصيد في البر والماء، تزيح جانباً مشاهدَ قصص الخلاص (الدينية).

مشهدان من الأعمال الفنية (التشكيلية) الجدارية، الموجودان في غرفتين من قصر البابا، أصبحا شهيرين، بابتعادهما المقصود عن موضوعات الفن الدينية في العصر الوسيط.

في حُجرة (البابا) "بينديكت الثاني عشر" — في "برج الملائكة" — هناك مشاهدُ تشكيلية فيها أوراق الكرمة والأشجار والعصافير والسناجب والوطاويط.

في حُجرة مجاورة، حجرة تبديل البابا ملابسه، تملأُ مشاهدُ من الغابة والوعول، الجدرانَ.

ما يقوم به النبلاء للترفيه عن أنفسهم في العراء تحت السماء، يصبح موضوعاً للمشاهدة (في الفن التشكيلي).

الفنانون أخذوا يُدخلون البعد الثالث التجسيمي في لوحاتهم. الإنسان ووسطه الحياتي الطبيعي أصبح موضوعاً للرسم، وكأنه يبشر بـ "**النهضة — Renaissance**" (القادمة).

---

(4): (الكلمة إغريقية الأصل وتعني: الملَكيّ).

twitter @baghdad_library

الباباوات ينفتحون على "أرْس نوفا – Ars nova"، التي تعني حرفياً: الفن الجديد.

بهذا (الانفتاح) دخلت الموسيقى، متعددة الأصوات الصائتة، القادمة من شمال فرنسا وهولندة، تشكل إرهاصاتِ الموسيقى الكَنسية، متعددة الأصوات، التي انتشرت في أوروبا.

(البابا) "يوهانّس الثاني والعشرين" يقوم في عام 1322 بمنعها (الموسيقى)، لأنها – كما يقول –: تصرف المستمعِ عن التركيز على الله (فقط). لكنها عادت، بعد أعوام قليلة، لتدخل البلاط البابوي.

منذ زمن (البابا) "كليمِنس السادس"، على أبعد تقدير، استقر شَكلُ شعر غنائيٍّ جديد[5] في أفنيون، وكذلك شكل الـ "موتّه – Motte"[6]، لم تخرجْ من البلاط الباباوي حركاتٌ فلسفيةٌ أو لاهوتيةٌ هامة، ولكن حكومة الكنيسة كانت تشارك في التطور الفكريِ للتاريخ المعاصر، داعمةً أو مضادّةً للتيارات الجديدة، حيث بدَت منفتحةً على المدرسة الفلسفية الجديدة ذات النزعة الإنسانية (Humanisums).

(البابا) "يوهانّس" كان قد اشترى المخطوطات لأعمال سينيكا ـ بلينوس ـ وفرجيل (الفكرية ـ الفلسفية ـ الشعرية).

(البابا) "كليمِنس السادس" كلّف الشاعر "فرانسيسكو بيتراركا ـ F.Petrarca" بالبحث عن مخطوطات "سيسِرو ـ Cicero" وشراءها لمكتبة الفاتيكان.

الباباوات في أفنيون يمتلكون أكبر مكتبة في العصر الوسيط، ضمّت أكثر من عشرين ألف مخطوط.

---

(5) (شعر بلادة – Ballade ـ نشيد كان يرافق الرقص وموضوعه الحب، تغير لاحقاً إلى نشيد بطولي وملحمي)

(6) (هو نشيد مرتّل يستمد موضوعه من الإنجيل ويتألف موسيقياً من أصوات متحركة عديدة). المترجم

عاهرة "بابل"

Die "Hure Babylon"

(البابا) "كليمِنس السادس"، وهو راهب سابقٌ من جماعة "البنيديكتيين"، ومستشار للملك الفرنسي، يجعل زمنَ حكومته لافتاً (فـائق المظـاهر)، حيـث يحولها إلى أحد أهم بلاطـات أوروبـا فخامـةً. خمسـة إلى عشـرة بالمئـة مـن الميزانية السنوية (لدولته) كان ينفقها على استيراد أشياء ترَفٍ باذخةٍ.

إنه يستورد الحرير من "التوسكانا" والقماش الناعم من باريس وفـلَندَرن، **وكان يشتري من سوريا أربعين نوعـاً مختلفاً مـن البروكـار (الدمشـقي) الذهبي. من أجل ملابسه الشخصية الرسمية** المختلفة كان يحتـاج إلى ألـف ومئة وعشرين من جلود الهرمِـلين النفيسة.

ما كان ينفقه على الطعام والنبيذ يفوق كل ما كـان معروفـاً حتـى يومنـا، وحدها مأدُبة الاحتفال باستلامه وظيفته كلفت 15 ألف غولدِن.

حياة البـذخ هـذه امتـدت إلى الوسـط المحـيط بـه.هناك وصـف لاسـتقبال الكاردينـال "أنّيبـالي – Annibale" للبابـا في عـام 1343، يقـرؤه المـرء بدهشة، وكأنه من ألف ليلة وليلة:

"جدرانٌ فـاخرة مغطـاةٌ بالسـجاد، سـريرُ البابـا الفـاخر مُغـرَقٌ بالـدمقس وبالحرير وبالمخمل. أعدادٌ ضخمة من الخدم يجهزون المأدبة (بلحم) الأرانـب والوعول والخنزير البريّ والطاووس... الخ، حتى يصل مجموع أصناف الطعام هذه إلى 27 صنفاً.

الكرادلة يقومون الآن أيضاً ببناء القصور، فـإن لم يجـدوا مسـكناً لهـم داخـل أسوار المدينة يذهبون إلى الشاطئ الغربي الفرنسي على نهر "الرّون"، حيث يجـد المرء اليوم 15 قصراً فخماً – "كاردينال ليفريـه" — منهـا، تحـيط بهـا الحـدائق الضـخمة، الـتي يمكـن الآن زيارتهـا. لأقربـاء مـوظفي حكومـة الكنيسـة يصـبح "اعتقالهم" (الذهبي) في أفنيون مريحاً جداً لهم، حيث لا ينقصهم أي شيءٍ، فالمدينة

twitter @baghdad_library

المقدسة تقدم كلّ ما يمكن للمرء أن يتصوره، وحتى الجوانب العاتمة من حياة المدينة الكبيرة (توجد فيها).

حكومة الكنيسة تجني من وراء ذلك الأموال. البغاءُ لا يُغَضُّ الطرف عنه فحسب، وإنما عليه أن يدفع الضرائب (للكنيسة)، ويقال أن موظفي البابا اشتروا ماخوراً.

يُهمَس بسخرية، بأن (البابا) "كليمِنس السادس" نفسه كان "ديونيسوس — Dionysus (إله اللّذة) الكنيسة" حيث كان للعشيقات حقٌّ الدخول بحرية إلى مآدبه التي كانت توصف بأنها حفلات جنسية ماجنة "أورغْيين — Orgien"

إن مجون حياة جماعة الكنيسة كان له ثمناً (باهظاً).

لقد كلّف هذا الكثير من الأموال، حتى أن الكنوز التي كان قد جمعها سلَفُ (البابا) "كليمِنس السادس" أخذت تُباع بالتدريج، وحتى الأدوات الثقافية (منها أيضاً).

حكومة الكنيسة تصبح نفسها مؤسسةً مالية ضخمة، تعمل بمردود كبير، من خلال إدارة مالية خبيثة، تُعتبر الأكثر ربحاً في كل أوروبا. إنها (حكومة الكنيسة) تبحث على الدوام، عن مصادر مالية جديدة، فإن وجدَتها، استنزَفتها إلى أكبر حدٍ ممكنٍ.

أكثر من عانى من هذه السياسة المالية البابوية، هم الغُشَماءُ وصغار رجال الدين، فإلى جانب فوائد "اللّيهن -Lehen" المسماة "قرش بطرس" و "العُشْر" التي كان عليهم أن يدفعوها للكَنيسة، والتي كانت تشكل القسم الأعظم من دخل البابا، أصبح المسمى "بفرونـدِن — Pfruenden"[7]، ونظام "البينيفزيال ـ Benefizial"[8] ـ الرّشاوى) يأخذا أبعاداً مخيفة.

لقد تمّ تزويد الكرادلة وحكوماتهم بحق فرض هــذه الضرائب

---

(7): (نظام توزيع الغذاء)

(8): (جمع التبرعات وتوزيعها).

وكذلك الدوائر الكنسية التي كانت تمتلك، عادة،حقَّ الانتفاع من الكتلة المالية كالذهب والأرض والعقارات، ولقاء ذلك كان

عليهم أن يدفعوا رسوماً كبيرة إلى خزينة البابا.

هذا الانتفاع (من فرض تلك الضرائب الخاصة)، لم يكن قائماً على قاعدة قانونية لأن هذا الحق كان لجماعات الأديرة والكنائس الضخمة الذين، ببساطة، لم يُسألوا عن رأيهم (في الموضوع).

هذا ينطبق أيضاً على الملوك الذين لهم الحق في مثل هذه الضرائب.

الكرادلة المنصّبون حديثاً والذين بلغ عددهم زمن "يوحانّس الثاني والعشرين" 43 كردينالاً، يطالبون بدورهم بحق فرض هذه الضرائب لصالح أتباعهم المقربين.

لقد انتشر نوعٌ لاأخلاقيٌّ من محاباة الأقرباء "نيبوتِسموس"، يقوم فيه البابا والكرادلة بتوزيع (ببيع) هذه المناصب المرغوبة ذات العائدات الكبيرة على عدد لا يحصى من المترشحين لنيلها، حتى قبل أن تصبح هذه المناصب شاغرةً.

"كليمِنس السادس" يوزع في إنكلترا وحدها 1500 من هذه المناصب. إن لم تستطع إحدى جماعات الأديرة دفع الرسوم المرتفعة إلى حكومة البابا، يهدّدها الفصلُ من الكنيسة، مما يضطر الدير إلى أخذ قروض، عالية الفوائد، لكي تُبعِد عنها الحرمان الكنسي. مع الحاجة المتزايدة لحكومة البابا للمال، ازدادت التجارة ببيع صكوك الغفران بشكل كبير.

حتى "عام اليوبيل" (الذي تُعفى فيه الديونً والذنوب) والذي يحتَفل به عام 1350 في روما البعيدة، يتحوّل في أفنيون إلى عملةٍ رابحةٍ.

(البابا) "كليمِنس السادس" يقوم بإعفاء سكان "مالّوركا" من واجب الحجّ إلى روما، ومع ذلك أعطاهم عفوَ (عام اليوبيل) إذا قاموا بدفع مبلغ 30 ألف غولدِن فقط له.

twitter @baghdad_library

قُرْب نهاية حياته، يقال بأن (البابا) "كليمِنس السادس" قال لكبار موظفيه المقربين (من الأساقفة الأحبار) – (Praelaten)[9] "ماذا يمكن لكم أن تعِظوا به الناس؟ التواضع؟ إنكم أنتم الفخورون بأنفسكم، المتعجرفون، المتضخّمون، والمبذّرون. الفقر؟ أنتم الجشعون، حتى أن ثروات العالم جميعها لا ترضيكم. فلنصمت على هذا، لأن الله يعلمُ ما يفعله كلٌّ منكم، وما يفعله الكثيرون منكم (يفعله) لإرضاء لذّاته

هل يريد البابا عند نهايته أن يعيد زمن حكمه الصاخب ويعود به إلى القِيم المسيحية؟.

إنه نطَق على كلِّ حال بما كان يفكر فيه الكثيرون عنه وعن بلاطه.

في كل مكان نشأت مقاَومةٌ ضد سياسة البابا وبلاطه المالية هذه.

جامعو ضرائب البابا المنطلقون إلى مختلف البلدان لجمع الضرائب من الأديرة والأساقفة، يُهاجَمون ويُسلَبون وأحياناً يُأسَرون ويُقتَلونَ.

حياة الترف المبالغ فيها والتبدّل الأخلاقي الدائم للباباوات في أفنيون يثير غضب الكثير من المعاصرين.

"بيتراركا" – وهو معارض قوي للفرنسيين، يجب أخْذ كلماته بحذرٍ – يسمّي أفنيون "عاهرة بابل" ويشتمها (واصفاً إياها):

"مغارةٌ قذرةٌ من الأشباح والشياطين، حفرةُ قذارةٍ لكل الخطايا، جحيمُ الأحياءِ... كلُّ الخداع علىٍ الأرض، ونكران اللهِ وكلُّ العادات البغيضة تجدها هناك في أفنيون مكوّمةً، إنهم يحتقرون (هناك) الله ويعبدون بدلاً منه المالَ، ويطؤون قوانينَ الله والبشر بأرجلهم" هكذا كان تقييمه.

هذا لم يمنع البابا "غريغور الحادي عشر" (برغم قوله أعلاه)، وبمناسبة وفاته في عام 1374، من وصفه بـ "منارة الحكمة الأخلاقية" ويأمر بنسخ أعمال "بيتراركا" لوضعها في المكتبة البابوية، ومن بينها كتاباته المُحقِّرة للباباوات.

---

(9): (استُعمل هذا اللقب سابقاً في الكنيسة البروتستنتية، في أرياف ألمانيا أيضاً).

ريحٌ أخلاقيةٌ معاكسةٌ

Moralischer Gegenwind

منذ القرن الثالث عشر نشبت الخلافات بين البابا والممثلين الروحانيين المتطرفين لجماعة الفرنسيسكانيين الذين كانوا يمثلون قِيَم الفقر (التّقشف). في نهاية الأمر نجح (البابـاوات) في احتواء المعارضين ضمن سلطة الكنيسة الهيرارشية.

خلال حكم البابـاوات في أفِنيـون، وبسبب الأوضاع السائدة (البذخ — الفساد) في مدينة البابا، يعود الخلاف مع جماعة الروحانيين ليظهر من جديد، لأنهم يقولون بأن المسيح والرُّسل كانوا فقراء، دون أية ملكية فردية أو جماعية.

في أفنيون يعرفون جيداً خطورة هذه النظرية على ثرائهم وسلطتهم الأرضية، لذا يسارع (البابا) "يوهانّس الثاني والعشرين" بإعلان هذه التعاليم (مضلِّلةً) مارقة.

في هذه الأثناء ينحاز عددٌ من العلماء (اللاهوتيين) المرموقين إلى جانب هؤلاء الموسومين بالهراطقة.

الوضع يصبح خطراً بالنسبة للكنيسة، في اللحظة التي يهرب بها هؤلاء العلماء الواعظون بالفقر إلى بلاط الملك "لودفيغ الرابع" في (المنطقة الألمانية) "بافاريا"، حيث أعطاهم حق اللجوء، (وبذلك) أصبح الملكُ عدواً للبابا، بسبب تحالفه مع خصوم البابا الإيطاليين، من أجل أن يحصل على التاج الروماني القيصري.

(لهذا) قام البابا "يوهانّس الثاني والعشرين" في عام 1324، بحرمان الملك كنسياً، فقام بدوره بإصدار الإعلان المسمى:

twitter @baghdad_library

"نداء ساكْسينهاوْزن" الذي ينتقد فيه تجارةَ البابا القـذرة ببيعـه الألقـاب الكنسية وبالتصرف (غير الشرعي) بعائـدات الهبـات (بفرونـدِن) ـ (كمـا ورد معنا أعلاه)—.

منذ الجملة الأولى (في نداء لودفيغ الرابع) يبدو الأمرُ جليّاً (عندما يقول):

"نحن، الألمانيُّ، الملك الرومـانيُّ برحمـة الله، موسِّـعُ الإمبراطوريـة علـى الدوام، نعلنُ على الملأِ، ضدّ يوهانّس الثاني والعشـرين، الـذي يسـمي نفسـه بابا، أنه عدوٌّ للسلام"

في هذا الإعلان نقرأ خطَّ (فكـرة) "مرسـيليوس فـون بـادوا ـ M.v.Padua" رئيس جامعة باريس، الذي كان يتهم الباباوات بإشعال حروب، ليس للإلـه (شأن فيها)، حيث يموت فيها المؤمنون، وقلوبهم مليئة "بالكراهية والشر"

لقد تسنى له البرهانُ على (صحة النظرية) الداعمة للفقر وسياستها: المُلْك الأرضيُّ، والسلطة الأرضية للكنيسة، هما السببان في عـدم السـلام، ولهـذا لا يحق للكنيسة (الرومانية الكاثوليكيـة) إلاَّ أن تكـون فقيرة. لقـد قـام بتقـديم مشروعٍ للدولة، يدعم فيه استقلاليةَ الدولة عن الكنيسة، حيث على الكنيسـة والدينَ ممارسةَ الأمور الروحانية فقط، من دون (ممارسة) سلطة أرضـية، لأن السيد المسيح ـ كما قال ـ لم تكن عنده سلطة أرضية[10]

بعد إعلان هذه الفرضيات، كان على "مَرسـيليوس" الهـرب مـن فرنسـا، فهرب مباشرة إلى ذراعي الملك "لودفيغ الرابع" ملك "بافاريا" حيث قـدّم لـه منذئذ خدمات عديدة.

لقد أصبح الآن لدى "لودفيغ الرابع" فيلسوفٌ خاصٌ بدولته، ويمكن له، بمساعدته، أن يدير معركةً إعلامية ضد البابا منطلِقة من عاصمة "بافاريـا" — (مونيخ)—.

---

(10) (مملكتي ليست من هذا العالم).

(البابا) "يوهانّس الثاني والعشرين" يعرف ما يعنيه هذا، لذا يحكم على "مَرسيليوس" بالهرطقة.

الجُمَلُ (الفرضيات) الأساسية الستة في نشرة "مَرسيليوس" الموسومة بـ "دِفينزور باسيس — **Defensor Pacis**"، تصيبُ كنيسةَ أفنيون في الصّميم:

1. الأملاكُ والمداخيل الأرضية للكنيسة الموسومة بـ "تِمبورالين ـ Temporalien" تَخضع للقيصر.
2. يمكن للقيصر أن يخلع البابا، ينبّهه أو يعاقبه.
3. لم يقم المسيحُ بتنصيب رأسٍ للكنيسة (بابا).
4. البابا، الأساقفة، والرهبان يمتلكون نفس الهيبة (السلطة).
5. ليس للكنيسة قوةٌ مرغِمةٌ (بفرض قانونها على الآخرين ـ سلطة تنفيذية).
6. لا يحق للبابا أن يحلَّ (يغفر) العقوبات الكنسية.

من الآن فصاعداً أصبح البابا يعلِن الحرمان على كل من يدعم هذه الفرضية. "لودفيغ الرابع" لم يعد بحاجة بعد الآن لأن يُداري البابا في أفنيون، فيقوم عام 1328 بالدخول إلى روما ليدَعَ "سيرا كولونّا" ـ قائدَ الهجوم (على البابا) في أفنيون ـ يتوِّجه باسم الشعب، قيصراً، ثم يقوم (القيصر الجديد) بعزل (البابا) "يوهانّس الثاني والعشرين"، ويدَعَ الشعب والكهنوتَ ينتخبون بديلاً عنه، أحدَ (رجال الدين) الفرنسيسكانيين، كبابا مضادٍ.

لكن (القيصر لودفيغ الرابع) يعود بعدها بعامين ليُخضِع نفسه للبابا "يوهانّس الثاني والعشرين"

الفيلسوف واللاهوتي الإنجليزي "فيلهيلم فون أوكهام" يقف في هذا الصراع، القائم بين البابا والملك، إلى جانب الملك (الألماني)، إنه يطالب بالفصل بين المعتَقد (الدين) والعلم، بين الفلسفة واللاهوت، وهو ما يُعتبر علامةً فارقة في الطريق نحو علْمٍ وفَهم للعالم متحرّرٍ (من سلطة الكنيسة)، ولكونه ينتمي إلى جماعة الفرَنسيسكان، فإنه يدافع عن (نظرية) الفقر الجذري، وبهذا أصبح (هذا اللاهوتي) العدو المعلنَ للبابا "يوهانّس الثاني والعشرين"

twitter @baghdad_library

في عام 1328 كان عليه (اللاهوتي، المصلح الإنجليـزي) أن يظهـر أمـام حكومة البابا لاتهامه بالهرطقة (لنشره تعاليم مضـلِّلة)، غـير أنـه تمكـن مـع متهمين آخرين من الهروب من أفنيـون، إلى بـلاط الملـك (الألمـاني) "لودفيـغ الرابع" في مونيخ، حيث وجد الجميعُ ملجأً لهم هناك.

المعلّـم "إكْهـارد ـ Eckhard"، وهـو مـن التنظـيم الـديني الـدومينيكاني، وأستاذ جامعي في كولونيا (ألمانيا) وباريس، وهو المعروف إلينا اليوم، كناسك مسيحي، كان أقلَّ حظاً (ممن هربوا إلى مونيخ).

"إكهارد" يطلب من الناس، ليس الاستغناء عن المـال والسـلطة والأمـلاك فقط، وإنما أيضاً عن المظاهر الخارجية (وما نسميه بـ) "الحسَب والنّسَب" على الإنسان، (حسب وعظه)، أن يخرج من أسبابه الداخلية ليعيش مع السبب الأوحد الدائم (مع) الله، لأن وجود المخلوق هو وجودٌ للخالق.

هنا يزول البعد بين الله والإنسان، الذي بُنيت عليه كلُّ مؤسسـةَ الرحمـة في كنيسة البابا، زوالاً تاماً.

من يتابع هذه الفكرة (فكرياً) إلى آخرها، يستطيع (الوصول إلى) الاستغناء عن الكنيسة ورجال دينها.

لهذا، ليس من المستغرَب أن يفتتح البابا في عام 1326، المحاكمـةَ ضـد المعلـم "إكهارد"، الذي يتوفّى بعدها بعامين في سجن أفنيون، تحت ظروف غامضة.

لم تتوقـف "جماعـة الهراطقـة ـ (الهرطوقيـون كـانوا المصـلحين في الواقـع)" المحيطون بالملك "لودفيغ الرابع" في مـونيخ ـ بافاريـا، حتـى بعـد وفـاة (البابـا) "يوهانّس الثاني والعشرين" في عام 1334، من متابعة حربهم على البابوات.

كي يتمكن البابوات مـن الـدفاع عـن أنفسـهم، يقومـون بتجديـد الحظـر الكنسـي العـام (الحرمـان المسـمى) – إنتَرديكْـت ـ Interdikt ـ المعلـق علـى المناطق التي يسيطر عليها "لودفيـغ الرابـع" والـذي كـان (البابـا) "يوهـانّس الثاني والعشرين" قد فرضه عليها سابقاً.

هذا الحظر يعني عدم القيام ببعض المراسيم والطقوس والإجراءات الكنسية، كإقامة القدّاس، وقرع الناقوس، ودفن الموتى كنَسياً، الأمر الذي استمر عدة أعوام، وهو ما وجد فيه شعب الكنيسة عقوبة قاسية (لهم)، لأن المباركة والعمادة وإجراءات الموت والزواج من قبل الكاهن، هي أمور لا يمكن الاستغناء عنها في حياة (إنسان) العصر الوسيط، ولأنه من دونها لا يمكن له أن يجد الخلاص في العالم الآخر.

في النتيجة قام الناس بالاعتداءات على رجال الدين "الذين لا يغَنُّون" (يرتّلون ـ يمارسون وظائفهم)، حتى إن الكثير من الناس لم يعد يكترث لهذا الحظر الباباوي.

في عام 1330 أعلن (الملك) "لودفيغ الرابع" أن عائدات رجال الدين من الهبات "بفروندن"، الذين يطيعون الحظر (الباباوي)، لن يحصلوا عليها وإنما ستعود إلى الشعب.

في نفس العام قام (الملك) بدعوة أمراء الإمبراطورية إلى مصادرة أملاك الكنيسة، وهذا ما حصل كثيراً.

بعد أعوام ينعقد مؤتمر أمراء المقاطعات الـ "كوريه" في مدينة "رينسِه ـ Rense" ويقرر عدم ضرورة الحصول على موافقة البابا، عندما ينتخبون ملكهم الألماني.

هذا الإعلان المسمى "**ديفِنزور باسيس ـ Defensor Pacis**" يأخذ (مداه) بالاختراق، حيث يفقد البابا بشكل مستمرٍ المزيد من سلطته على مناطق الأمراء الألمان.

إن حركة الإصلاح الكنسي (التي سيقودها لاحقاً المصلح الديني ومؤسس الحركة البروتستانتية مارتن لوثر)، تلقي بظلالها (على الواقع) قبل حوالي قرنين (من قيامها).

twitter @baghdad_library

الموت الأسود (الطّاعون)

Der Schwarze Tod

حكمُ (البابا) "كليمِنس السادس" الباهر،تُخيّم عليه ظلالُ كارثة غير مسبوقةٍ: بحارون إيطاليون جلبوه (المرض) معهم من (شبه جزيرة) القَرم - (إنه) الطاعون الذي اجتاح أوروبا (بكاملها) ما بين 1348 – 1351، (وأدى إلى) "موت ثلث العالم"، كما كتب المؤرخ "جان فرووسّار - J.Froissart"

إنهم (الموتى) 20 مليون إنسان.

استغرقت الشعوب الأوروبية قرناً كاملاً لتتعافى (من هذا الوباء).

ناقلُ المرض كانت البراغيثُ التي تعيش على جلود الجرذان، التي نقلتها السفن التجارية إلى الموانئ، حيث انتشر فيها المرض (الوباء)، لكن هذا ما لم يكن يعرفه الناس المعاصرون (يومئذ).

في نهاية القرن الخامس عشر اكتشف الأطباء جرثومة الطاعون الذي ينتقل من الجرذان إلى الإنسان عن طريق البراغيث.

في العصر الوسيط وقف المرء عاجزاً أمام ما يراه ويعيشه.

الطاعون الحبَبي:

إنها نقاط سوداء، تبدو كالزهور على أجساد الموتى.

يتسبب المرض في انتفاخ في الغدد اللمفاوية الموجودة في مِغبَن الساق والإبط، حيث تنفجر متسبّبة في ظهور بثور سامة وبقعٍ سوداء.

المرضى يسعُلون ويتعرّقون وعندهم حرارةً مرتفعةً ويعانون من عطش لا يطاق. اللسان مشلولٌ، حتى إنهم لا يستطيعون إلاّ التمتمة. الحلق يصبح أسودَ، والبرازُ دمويٌّ أسود، النّفسُ والعرق لهما رائحة نتِنَةٌ.

النصوص المعاصرة (للوباء) تصور بشكل مجسّم الهول، الذي أصاب إنسان العصر الوسيط، وهو يرى أمامه هذا العدد الهائل من المرضى والموتى.

أحد الأناشيد الفاليزيّة البكائية يقول:

"كتلةٌ تنمو تحت إبطي، مريعة، أليمة، كعقدة شريرة، تَحرق كجمر الفحم، شيءٌ مليء بالمعاناة، إسْتٌ داكنة. عندما تنفجر (العقدة) فإنها قبيحة مثل حبة فاصولياء سوداء، مثل قطع الفحم الصغيرة الهشّة، إنها زينةُ الموت الأسود المبكرة"[11]:

أما "فرانسيسكو بتراكا"، الذي عايش سنوات الطاعون في أفنيون فكتب:

"يا ويلَتي، ماذا عليَّ أن أتصبّر؟، أيّ عذاب شديد يعدُّه لي القدر؟. إنني أرى زمناً (قادماً) يقترب فيه العالم من نهايته بسرعة هائلة، حيث يموت من حولي الشبان والمسنون، جماعات، جماعات. لم يعد هناك من مكان مأمول فيه لي، أو بناء (سـ) ينفتح أمامي.

لا يوجد هناك، على ما يبدو، أمل بالنجاة المَرجوّة.

حيثما أتلفت لا أرى إلاَ طوابير الموتى غير المعدودة.

إن هذا يشتّتُ نظري"

عدد الأموات في المدن هائلٌ. المرضى يموتون غالباً خلال ساعات قليلة. إذا ظهر الطاعون في بيت مغلق، فلن ينجو هناك أحدٌ. العديد من جماعات الأديرة يموتون خلال أيام قليلة.

بسرعة هائلة يقتحم الطاعون المنطلِق من إيطاليا، نحو شمال وغرب أوروبا. في كل مقاطعة يعيث المرضُ لأشهر قليلة ثم يختفي، في المدن الكبيرة فقط يبقى لفترات طويلة.

في الشتاء يخفّ (الوباءُ) ولكنه يعود ليشتَعل في الربيع من جديد. ينتشر الوباء في أفنيون عام 1348، ويبقى فيها لمدة عامين، يموت خلالها حوالي

---

(11): (الموت الأسود ـ الطاعون ـ هو ضرب مميت من هذا المرض غالباً، وهو معروف في الهند اسم "كالا آزار").

twitter @baghdad_library

400 إنسان يومياً. في النهاية لم يبق من سكانها الخمسين ألفاً سوى النصف. موظفو حكومة البابا وعددهم 450 لم ينلهم أذى شديداً، حيث توفي منهم 94 فقط.

إنهم يعيشون في بيوت حجرية، حيث الشروط الصحية أفضل مما هو عليه الحال عند فقراء المدينة، حيث يكاد الأمل بنجاتهم من مرض الطاعون أن يكون معدوماً.

يقال أن البابا "كليمِنس السادس" كان يختبئ (إبان الجائحة) وراء جدران حجرية سماكتها عدة أمتار، ويدَعُ ناراً كبيرة تشتعلُ باستمرار، ويقطَع كلَّ صلةٍ له مع العالم الخارجي، وربما كان هذا هو الذي أنقذه من الموت بالطاعون.

نواقيسُ الموت تقرع في "أفنيون"، ليل نهار. دون انقطاع تمر عربات الجثث في (طرقات) المدينة، المقابر تمتلئ سريعاً، ثم تُلقى الجثثُ (أولاً) في نهر الرّون، ثم يحفرون حفراً واسعة كقبور جماعية.

(البابا) "كليمِنس السادس"، يعطي (الموتى جميعهم) بركة الموت (من مسحٍ ومناولةٍ الخ...)، لأنه لم يعد هناك من الكهنة ما يكفي لإعطائها فردياً (لكلِّ محتَضَر)، حيث أصبح الكثيرون منهم ضحايا الطاعون، أو هربوا خوفاً من العدوى.

عدد الناس يتقلصُ وكذلك القِيَمُ، حيث ينتشر الخروج على القانون والتحلل الأخلاقي نتيجةً للوباء:

"الآباءُ يتركون أطفالهم، والناسُ أزواجهم، والأخُ أخاه، لأن المرض بدا (إليهم)، وكأنه ينتقل عن طريق النظر والنَّفَس"

طرأ نقصٌ شديد في اليد العاملة، فتراجع الإنتاج الزراعي. الدوائر الرسمية تفشل في تقديم الخدمات. البعض ييأس، والبعض الآخر يأخذ كلَّ ما يمكن له أخذه.

الإرهابُ يسيطر على الحياة اليومية. البعضُ الآخر يريد، من خلال المَلذات غير المحدودة، أن ينسى المرض. سعادة حياة صاخبة (نجدها) إلى جانب اكتئاب عميق.

لم يكن هناك نقصٌ في محاولة تفسير (أسباب) الوباء.

الطبيب الشخصي الشهير (للبابا) "كليمِنس السادس" (المدعو) "غوي دي شولياك"، الذي عايش الوباء في أفنيون مرتين يفسر ذلك (بسبب):

"تقارن الأفلاك العليا ساتورن، جوبتر، ومارس (المريخ) في برج رجل الماء (الدلو)" (في وضعية معينة)، رأى فيه سبباً للمرض.

التنجيم كان في ذلك الوقت، جزأ نظامياً في تعليم الطب. حتى أن تقرير الخبرة (بشأن) الطاعون، الذي قدمته كلية الطب في جامعة باريس عام 1348، كان يستند إلى نظريات التنجيم.

لا شيء يمثّل فشلَ طب العصر الوسيط، أكثر من تلك النصيحة اللامبالية الفاشلة، التي أعطاها أطباءُ العصر المشهورين، للناس المهدّدين بالموت عندما نصحوهم:

"الهروب بأسرع ما يمكن، والعودة المتأخرة" (إلى المَسكِن).

عُرف (من تلك التفسيرات) ما يسمى بـ "أنموذج نسيم الطاعون" الذي يشرحه (العلماء كالتالي):

نظراً لوضعيات غير ملائمةٍ لبعض النجوم التي تحوم، في الأبراج، تصعد أبخرةٌ مُمْرضةٌ من البحر في الهواء، حيث تسخُن ثم تَقذِفُ بها (وضعية النجوم غير الملائمَة تلك) إلى الأرض ثانية كـ "رياحٍ ضارة"، فإذا تنفس الإنسان هذه الرياح ـ كما تقول النظرية ـ تتجمع أبخرةٌ سامة في القلب والرئتين، فإذا زَفَر الإنسان نسيمَ الطاعون هذا، فإنه سيُعدي كلَّ من في جواره.

لكن كل هذه التفسيرات لم تنفع، مما أدى إلى فقدان الناس ثقتَهم في العلم. في أثناء ذلك تشكلت، عند الشعب، نظرياتٌ محتملة (لتفسير) أسباب الموت الأسود:

twitter @baghdad_library

توقف الناس عن أكْـل السّمك، لاعتقادهم أن رائحتَه مُعديةٌ، ثم عزفوا عن استعمال البَهارات (وكانتَ مرغوبةً وثمينة جداً)، لأنهـم يعتقـدون أن السـفن التي أحضرتها "مصابةٌ بالعَدوى"

في النهاية لم يبق إلاّ تفسيرٌ واحدٌ:

الطاعونُ عقوبةُ المَحكمة الرّبانية، ويجب على النـاس، بسـبب خطايـاهم المنوعة، أن يعانوا، وبهذا يعبّر الله عن خيبة أمله في مخلوقاته.

الكثيرون، يصابون بهستيريا دينية، أخذت تفـرغ طاقتَهـا بمسـيرات أسـبوعية، كثمن للذنوب، حيث يسيرون بأقـدام عاريـة وبثيـاب مـن أكيـاس الخـيش. الآلاف مـنهم يعفّرون أنفسـهم بالرمـاد، وهـم يبكـون ويصـلون ويشـدّون شـعور رؤوسـهم ويضربون أنفسهم بالسياط (لهذا سموا بـذوي السـياط)، حتـى تخـرج الـدماء منهـا، آملين أن يعيشوا، لاحقاً، آلامَ المسيح، حتى يلطفوا ويصدوا غضب الله عليهم.

(البابا) "كليمِنس السادس" يمنع هذه المسيرات، لأنها خرجت عن سيطرة الكنيسة، ولكنه لم يكن يعرف بأنها تساعد (أيضاً) على انتشار الوباء.

لكن حـركة هؤلاء الدافعين ضريبة خطاياهم، أخذت طرُقَهـا الخاصـة، حيـث كانوا يتجمعون في جماعات يصـل عـددها إلى 300 إنسـان متطـرف، يسـيرون، ضاربين أنفسـهم، بـاكين في المـدن الـتي كـان يتجمـع فيهـا المشـاهدون الواقفـون ليروهم من أطراف الشوارع عدة مرات يومياً، ويشاركون في البكاء معهم.

بعد وقت قليل ظهر سبب (تفسير) آخر (للوباء).

إنه ذنب اليهود، الذين يجب أن يشعروا بغضب الله عليهم، لذلك كانوا (ذوي السـياط) يتجهـون فـور وصـولهم إلى حـارات سـكن اليهـود ويبـدؤون بقتلهم، بشكل منهجـي يـذكر بإبـادة الجـنس (الجماعيـة Genozid -) الـتي لحقت بهم في القرن العشرين (على حد قول المؤلف الذي يشـير إلى المحرقـة النازية في ألمانيا — هولوكوست).

كانت هذه فكرة قديمة عند الشعب المسيحي، وجـدت لهـا اسـتمراريةً الآن، وهي أن اليهود قاموا، بسبب كرههم للمسيحيين، بتسميم الآبار والينابيع.

مع (انتشار) الطاعون انتشرت حركة مطاردة هِستيرية، غير عقلانية، لليهود، لم تستطع الكنيسة، ولا الأعيان السيطرةَ عليها.

(البابا) "كليمِنس السادس" يطلب في إعلان بابوي (بولّه) من رجال الدين، حمايةَ اليهود من غضب الشعب، ولكن ذلك بقي دون أثر بالنسبة للشعب الهائج.

أعمال ذوي السياط أخذت تزداد شراسةً.

إنهم يتبعون فقط الوحي الإلهي لمعلميهم (قادتهم، وبذلك) يشكلون هجوماً جدياً على نظام السلطة التقليدي للدولة والكنيسة (معاً)، بحيث يصبح المجتمعُ، الذي أضعَفه الطاعون جدياً، والنظام فيه، مهدداً بالغرق في الفوضى نهائياً.

على الدولة والكنيسة (الآن) التَصرفُ، إذا لم يرغبوا بفقدان سلطتهم وتأثيرها على المجتمع.

عندما يبدؤون بملاحقة "ذوي السّياط"، يختفي الطاعون فجأةً، كما جاءَ.

الناسُ يتحدثون عنه (الوباء) "كأشباح الليل" و"الظواهر العاتمة"

لكن مع انتهاء حركة "ذوي السياط"، يكون العدد الأكبر من يهود أوروبا قد اختفى، دمّرته لذة القتل عند متدينين متطرفين، أخرجهم الموت الأسود (الطاعون)، من قاع مجتمع مسيحي، إلى السطح.

لقد غير الطاعون أوروبا العصر الوسيط المتأخر (القرن 15) كثيراً،كما غيرته الحربان العالميتان في العالم الحديث.

لم يسبق وكان هناك من قبْلُ مثل هذا التهديد للوجود.

في الزمن اللاحق لـ "الموت الكبير" انتشر الصَّحو الديني بين بعض الناجين: لم يخب ظنهم في الطب فحسب، وإنما في المعتقَد المسيحي أيضاً الذي اهتز كثيراً.

إن تصرفات الله (بشأن العقاب بالطاعون) لم تعط لهم معنى:

twitter @baghdad_library

لا يمكن فهم الكارثة كعقابِ محاكمةِ قيامةٍ، يريد وضع نهايةٍ لعالم خاطئ، لأن الكثيرين قد نجوا (من العقاب بالموت ـ الطاعون)، ولا كأزمةٍ شافيةٍ، كما كان يَأملُ الكثيرون، تؤدي إلى أن يصبح الناس أفضلَ.

إذن هناك سبب للشك في العدالة الإلهية، وفقدت الكنيسة الكثير من هيبتها.

لقد تمنع الكثيرون من رجال الدين، من الوقوف إلى جانب الكثيرين من المحتَضرين ساعة الموت، لأسباب أنانية تتعلق بالخوف على حياتهم (من العَدوى).

في الوقت نفسه ازداد ثراء الكنيسة بشكل فاحش، جرّاء ما آل إليها من إرث الذين سقطوا أمواتاً في زمن الموت الأسود.

الناجون هم الفائزون من جوانب عديدة.

العديد من الأقرباء البعيدين لعائلات ثرية، حصلوا الآن على إرث ضخم أدى إلى ارتفاع مكانتهم اجتماعياً، التّضادات الداخلية (الاجتماعية) في المدن، أخذت تزداد حدة.

الشك في الله وفي الكنيسة أصبح أقوى، وتلاشت حصانتهما من التهجم (عليهما).

أخيراً يصبح، بسبب هذا التحول والنقد القادم على (النظام) الموجود، الموتُ الأسود يفسَّر،كمبشِّر بالانفتاح (القادم ـ عصر الأنوار).

نهاية المَنفى

Das Ende des Exils

أفنيون أو روما؟

منذ البدء، رافق هذا السؤال الباباوات في مهجرهم الفرنسي،

وكانوا دوماً يجدون الأعذار الجديدة، لمنع العودة إلى روما.

هل يريد الباباوات العودة حقاً؟ أم أنها مجرد (مناورات) خطابية؟. إنهم يعيشون في أفنيون براحة تامة، ويمكن لهم تبرير إقامتهم فيها - في أي وقت - استناداً إلى المقولة (الشّهيرة):

"حيثما يكون البابا، تكون روما".

لكن منذ القرن الرابع عشر أخذت الأصواتُ المطالبة بالعودة إلى روما ترتفع، حتى الرومانيون أنفسهم يطالبون باستعادة البابا

(إلى مدينتهم)، ويعلنون (البابا) "كليمِنس السادس" سيناتوراً رومانياً، ويرسلون وفداً إليه (إلى أفنيون) يطالبه بالعودة.

"كليمِنس الرابع" لا يعود إلى روما، ولكنه يعطيهم هدية أخرى، عندما يعلن عام 1350 "عام يوبيل" جديد، أي قبل نصف قرن مما يجب أن يكونه، وبذلك يهدي الكنائس والسكانَ في روما، بَركةً مالية حقيقية.

إنه (البابا) "إنّوزينْز السادس - Innozenz VI"، الذي يأمر من أفنيون البعيدة، ما بين عام 1353 - 1365، باستعادة السيطرة على أجزاء كبيرة من إيطاليا لصالح دولة الكنيسة، مسهماً بذلك بقسط هام في عملية عودة حكومة البابا إلى روما.

أول محاولة جديّة من أجل (تحقيق)العودة إلى روما، قام بها البابا "أوربان الخامس - **Urban V**"، الذي انتقل عام 1365 إلى روما، وأمر بترميم الكنائس الكبرى فيها، وحاول نزع السلطة من يد عائلة "فيسكونتي – Visconti" واسعة النفوذ في ميلانو، حتى يستطيع هو أن يدير شؤون إيطاليا السياسية.

twitter @baghdad_library

الراهبة الدّومينيكانية المتصوفة "كاثّرينا فون سيينا" تحاول عام 1376إقناع البابا "غريغور الحادي عشر" بالعودة من أفنيون إلى روما

twitter @baghdad_library

استمرت إقامته صامداً في روما المتهتّكة، مدة ثلاثة أعوام، استسلم بعدها، وعاد مستريحاً إلى "فيتِربو — Viterbo" أولاً، ثم (غادرها) إلى أفنيون.

مستشارته، الراهبة الدومينيكانية المتصوفة "كاثرينا فون سيينا" حاولت إبقاءه في روما، وقبلَها قامت المتصوفةُ "بريغيتا" ـ من السويد ـ بتحذيره أيضاً من قرب موعد أجله، إنْ هو غادر روما.

لكن أحداً لا يستطيع تحريكه من جديد إلى النزول في حفرة الأفاعي الرومانية (روما).

لم يكد يعود إلى أفنيون ثانية، حتى تحققت نبوءةُ بريغيتا، ومات (البابا) "أوربان الخامس"

بالنسبة لأولئك المعاصرين الراغبين في رؤية البابا ثانية في روما، كانت هذه هي العلامة المنتظَرة (موت البابا).

البابا "غريغور الحادي عشر" الذي خلَف البابا "كليمِنس السادس" يستطيع أن يفخر بأنه أعاد الباباوات إلى روما، مؤقتاً على كل حال، وبدفعٍ دؤوب من (المتصوفة) "كاثرينا فون سيينا"، التي أصبح تأثيرها على البابا "غريغور الحادي عشر" أقوى من تأثير الملك الفرنسي "كارل الرابع" عليه، الذي حاول إقناع البابا "غريغور الحادي عشر"، بشتى السبل، على البقاء في أفنيون.

قام "غريغور الحادي عشر" بتمهيد الطريق لعودته (إلى روما) بأمره بإعادة السيطرة على مناطق من دولة الكنيسة، كانت تندلع فيها الاضطرابات سابقاً.

في إيطاليا،كان ممثلو الباباوات الفرنسيين مكروهين، لأنهم كانوا يعرقلون سياسات السلطات المحلية، التي لم تكن سلطةُ البابا العليا موجودة عندهم، إلاّ على الورق.

خارج دولة الكنيسة، تشعر المدنُ، مثل "فلورينز" بنفسها منبوذة.إنهم يؤسسون تنظيماً لهم، مضاداً للبابا ويعلنون العِصيان.

"غريغور الحادي عشر" يعرف أنه لا يمكن حكم دولة الكنيسة على الدوام من أفنيون (البعيدة عن روما).

عندما أعلنت روما أنها ستخضع للبابا، حان الأوان لرجوع البابا (إليها).

في مطلع سبتمبر / أيلول من عام 1376 ركب (البابا) سفينته ورحل، في بحر هائج، إلى إيطاليا، فوصلها في عام 1377، حيث كانت تنتظره فيها حربٌ أهلية.

عندما فشل كاردينال البابا "روبرت فون جنيف ـ Robert von Genf"، في احتلال "بولونيا" (المدينة الإيطالية)، وبعد أن كان قد تعرّض لعدة هزائم، انتقم سكانها من مدينة سيسينا، حيث قامت قواتُها البريطانية بتحريض المواطنين على القيام بالثورة (ضد البابا).

"روبرت" يعِدُ (السكانَ) بمعاملتهم برفق، إن قاموا بإلقاء السلاحِ، ويطلب إعطاءه 50 رهينةً، ثم يقوم على الفور بإطلاق سراحهم تعبيراً عن نيته الحسنة. بعدها يستدعي جنوده المرتزقة ويدعَهم يقومون "بتطبيق العدالة على المدينة" ـ سيسينا ـ حيث قاموا بإغلاق بوابات المدينة وذبح سكانها طوال ثلاثة أيام بلياليها، وكانت النتيجة نهب المدينة وما يقارب الأربعة ألاف قتيل.

منذ ذلك الوقت، أصبح (الكاردينال) "روبرت من جنيف" يلقب بـ "رجل الدم" أو "جزار سيسينا"

(البابا) "غريغور الحادي عشر" حاول ـ لمدة خمسة عشر شهراً ـ السيطرةَ على الأوضاع السياسية في إيطاليا (وفشل واستسلم للواقع)، ووافق على العودة إلى أفنيون (المنفى).

لكن، عندما شعر باقتراب وفاته، قرر البقاء في روما، حتى يتم فيها انتخاب البابا الجديد بعده.

"غريغور الحادي عشر" توفى في أفنيون في السابع من نيسان عام 1378.

twitter @baghdad_library

انقسام (كنيسة) الغرب الكبير .شيسْما

Das Grosse Abendlaendische Schisma

للمرة الأولى، وبعد مرور 75 عاماً (على وجود الباباوات في المنفى)، تم انتخاب البابا الجديد في روما، بعد أن اجتمع في الخَلوة 16 كاردينالاً:

واحد كان إسبانياً وأربعة من إيطاليا وأحد عشر من فرنسا، انقسموا إلى فريقين، لم يستطع أيٌّ منهما الحصول على غالبية الثلثين لصالح الكاردينال الذي رشّحه (لمنصب البابا).

سكان روما كانوا يخشون من عودة حكومة الكنيسة إلى أفنيون (المنفى)، ويريدون منع انتخاب بابا فرنسي، ولهذا أرسلوا وفداً إلى الفاتيكان ليُعلِمهم بأنهم يرغبون بانتخاب بابا يكون رجلاً إيطالياً مرموقاً.

كان الوضع في المدينة، يوم الانتخاب، يُنذر بالخطر، فقام الكرادلة الفرنسيون الخائفون على أمنهم، بنقل أموالهم ومجوهراتهم وكتبهم والأسلحة، مع كامل خزينة البابا، إلى "برج الملائكة"

(الكاردينال) الإسباني "روبرت فون جنيف" — جزار مذبحة سيسينا — يظهر في الخَلوة (لابساً) قميصاً زَرَديّاً (مسلّحاً)، لأنه يخشى، وليس دون سبب، أن يقتله الغوغاء في الطريق.

الجنود قاموا بمحاصرة المدينة (روما) حتى لا يفر منها الكرادلة.

عندما فشل الكرادلة في الاتفاق على انتخاب البابا من الرومانيين، سرت شائعةٌ (تقول) بأنهم يريدون انتخاب بابا فرنسياً، سيقوم بعد انتخابه بوقت قصير بمغادرة (روما). الوضع يتأزّم.

الكاردينالات يسمعون صراخَ الشعب تحت نوافذهم (يردّد):

"رومانو لو فوليمو – R.Lo volemo" نريد (بابا) رومانياً"

الأجراس تُقرعُ عاصفةً.

أخيراً يقتحم الناس (مقر) الخَلوة، حيث كان الكرادلة قد اتفقوا على انتخاب كبير أساقفة (مدينة) باري (المدعو) "بارتوليميو بريغنانو ـ Bartolomeo Prignano" (ليكون البابا الجديد).

بما أن أهلٍ روما يريدون بابا من روما، يقدم لهم الكرادلة الخائفون، بابا غير حقيقيٍ، حيث قاموا بإلباس الكاردينال العجوز "تيبالديشي - Tebaldeschi" ثياب البابا الرسمية وأجلسوه على العرش (البابوي).

بينما كان سكان روما منشغلين بتحية البابا (الوَهمي الجديد)، استغل الكرادلة (الفرنسيون) الفرصة وقاموا بالهروب.

انكشفت الخديعة سريعاً، فطالب الرومانيون (سكان روما) بالموت للكرادلة. في اليوم التالي تم انتخاب "بارتوليميو بريغنانو" كبابا رسمي ليصبح (البابا) "أوربان السادس ـ **Urban VI**"، وهو مرشحٌ توافقيٌّ يستطيع التعايش مع الفريقين، ومعروف عنه أنه متواضع، شديد التديّن، وإن لم يكن من روما فهو إيطالي على كل حال.

بما أنه جاء من وسط متواضع، وكان معروفاً من خلال شَغله منصب رئيس مكتب البابا، فقد أمِل الأساقفة الفرنسيون أن يتمكنوا من التأثير عليه بسهولة، وبحضه على الذهاب قريباً إلى أفنيون (الفرنسية).

لم يكد (البابا الجديد) يصل إلى الحكم، حتى انكشفت شخصيته الطامحة بشدة إلى السلطة وانكشف مزاجه المتقلب، وكان هو المرشح الضعيف.

"أوربان السادس"، وهو من ألدّ أعداء الانقسام الكَنسي يكره كافة أشكال الامتيازات، ويهاجم، حيثما استطاع، كاردينالاته المعتدّين بأنفسهم، فيوبّخهم ويحقّرهم، دون مراعاةٍ لآداب التعامل، بسبب حياتهم في البذخ والرذيلة، حتى أنه يقوم أحياناً باستعمال القوة ضدهم. أسوأ من هذا فإنه يحدّ من مداخيلهم ويمنعهم من بيع الوظائف، ويأمر خازنه باستعمال أموالهم في ترميم كنائس روما (المتصدعة)، كما أنه يحدّ من عدد مرات تناولهم الطعام اليومي، ويقصرُه على وجبة واحدة (فقط يومياً).

twitter @baghdad_library

العالم يتحطّم

Die Welt zerbricht

لقد طفح الكيلُ، عندما رفض (البابا) "أوربان السادس" تنفيذَ ما كان يؤمّله منه الكاردينالات الفرنسيون الذين انتخبوه، في الانتقال (من روما) إلى أفنيون، وأعلنوا أن انتخابه لم يكن شرعياً، فألغوه، لأنه تمّ تحت ظروف الإرهاب وضغط الغوغاء (عليهم). هكذا أصبحوا يقولون الآن.

الرومان يدعمون (البابا) "أوربان السادس" لأنهم يعلمون بأنه لا يريد الذهاب إلى أفنيون. تحت حماية جنود المرتزقة من البريطانيين (المنطقة الفرنسية)، يهرب الكاردينالاتُ الفرنسيون إلى أناني، حيث يصدرون، بتاريخ 9 / 8 / 1378 بياناً إلى العالم المسيحي، يعلنون فيه أن مقعد بطرس (مقعد البابا) أمسى فارغاً، لأن انتخاب (البابا) "أوربان السادس" تمّ بشكل مخالف لنظام القانون الأساسي (الكَنسي).

(يقولون عنه الآن) إنه، على ما يبدو، مختلٌّ عقلياً، مضادٌّ للمسيحية، شيطانٌ، مستَبدٌّ وخدّاعٌ، بكلمة واحدة: إنه غير مؤهل لوظيفة البابا، وهم لا يزالون يأملون بأن يستقيل "أوربان السادس" من تلقاء نفسه، ولكن دون جدوى.

يطلبون من ملك فرنسا "كارل الخامس" أن يدعمهم، ويحاولون — من دون نجاح — أن يضْفوا الشرعيةَ على مطلبهم من خلال (طلب خبرة) أساتذة اللاهوت في جامعة باريس.

(بعد فشل محاولاتهم هذه) ينتقلون إلى مدينة (فوندي– Fondi) — الواقعة على مقربة من روما — وينتخبون هناك بعد مرور شهر باباً (جديداً) من بينهم.

كان من الممكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحد لو أنهم لم يقوموا بانتخاب "روبرت فون جنيف" (الملقب) بـ "جزار سيسينا"، الذي لقب نفسه (البابا)

"كليمِنس السابع ـ Clemens VII"، والذي لا يوجد في إيطاليا من هو مكروه أكثر منه.

البابا (الحاكم) "كليمِنس السادس" لا يهتم كثيراً لهذا الأمر، لأنه قام بتعيين 29 كاردينالاً جديداً، واستأجر مجموعة من المرتزقة لتستعيد له السيطرةَ على "برج الملائكة"

هذا (الضغط) دفع البابا المضاد إلى الهرب، حيث لجأ إلى ملكة نابولي "يوحنا الأولى" إن الشعب يكرهه هنا أيضاً ويطالب بموته. عليه الآن أن يهرب من إيطاليا ويعود إلى أفنيون، فعاد عام 1379 حاملاً معه الكرسي الرّسوليٍّ (مقعد بطرس)، وهو واحد من كرسيين اثنين.

البابا "أوربان السادس" يتمسك خلالها بقوة بالسلطة، إنه يتصرف بغضب وحشي ليثأر من كل من كان يظنه عدواً له ويلجأ لأسباب تافهةٍ، إلى استعمال السلاح.

عندما وقعت الحرب بين روما وحليفَتها السابقة "نابولي" التي حاصرت (قواتها) المدينة على نهر "التّيبر" — روما –، كان البابا "أوربان السادس" يصعد أسوار المدينة (المحاصرة) أربع مرات يومياً، ليعلنَ الحِرمان على محاصريه.

أخيراً تمرد عليه ستةٌ من كاردينالاته، وأخذوا يخططون لسجنه احتياطياً، بسبب الخلل العقلي.

عندما عرف "أوربان السادس" بهذا الأمر، أمر بتعذيبهم وبإعدام خمسة منهم تحت ظروف وحشية.

الخروج على القانون يسود في إيطاليا (الآن). المعاصرون يشعرون بالانقسام الكَنسي (شيسْما)، وكأنه وباءٌ أشد فتكاً من الطاعون (الذي عاشوه قبل حوالي ثلاثة عقود).

كان البابا "أوربان السادس" المضطرب نفسياً يقف في جانب، وفي الجانب الآخر يقف البابا "كليمِنس السابع" "القاتل الجماعي"، الفازال ـ (ضرب من الفرسان) – التابع للملك الفرنسي.

twitter @baghdad_library

القتال بينهما استمر لفترة تقارب الخمسة عشر يوماً، مما أدى إلى انقسام دول العالم المسيحي إلى معسكرين عدوين، كان على كل طرف خلالها أن يعلن عن رغبته في الوقوف إلى جانب "أوربان السادس" أو "كليمِنس السابع"

إنكلترا، ألمانيا، إيطاليا وقفوا إلى جانب "أوربان السادس"

شَرْخٌ يشطر أوروبا (الآن)، حيث أصبح الدين فيها ـ بشكل متزايد ـ مسألة تخص البلدان نفسها. الأمراء هم الذين يقررون البابا الذي سيعترف به الشعب، وهم الرابحون الحقيقيون من الانقسام (الكَنسي الكبير):

(نتيجة لذلك) فهم يستطيعون (الآن) شنَّ حروبهم الأنانية تحت اسم الحرب الدينية، أو **الغزوات الصليبية**[12] التي يعلنوها ضد أتباع البابا غير الشرعي (في نظرهم).

لكن هذا الانقسام (شيسْما) أدى إلى استقطابٍ في عالم الدول، وأدى أيضاً إلى شرخ في مجتمع العصر الوسيط (العصور الوسطى) وحتى ضمن العائلة الواحدة والتنظيمات الدينية (أوردِن ـ Orden) والجامعات، حيث يقف كلٌّ على جانب آخر.

في جامعة باريس سيطر، في البدء، أتباعُ (البابا المضاد) "كليمِنس السابع"، مما اضطر أتباع "أوربان السادس" (البابا الرسمي) إلى مغادرة الجامعة.

المرشحون المتخاصمون الذين يسعون لشغل نفس الوظيفة، يشنون حرباً صغيرة بعضهم ضد بعض.

"لو أراد المرءُ أن يصفَ الآلامَ والعذابَ التي عانت منها البلادُ الواقعة على أنهار الراين ـ الماين ـ نيكر والتّاوبَر وما جاورها، وما ترتّب على الناس (فيها) تحمّله نتيجةً لهذه الحروب، لطالَ (الحديثُ في هذا) الموضوع"

هذا ما وردَ في أحد التأريخات الزمنية الألمانية (القديمة).

(12): (وردَ هكذا حرفياً في الأصل).

يضاف إلى هذا أنّ وجود باباوين اثنين (في آن واحدٍ معاً)، مع ما يتبعهما من جهاز حكومي ومن مكتبين مختلفين، يكلّفُ (الناسَ) أكثر بكثير مما يكلّفه وجودُ بابا واحد.

العَوَزُ المالِيُّ الحادُّ عند الباباوات، دَفع بهم إلى ممارسة بيع الوظائف (السيموني ـ **Simonie**)، وهو ما كان باباوات التصحيح قد حاربوه بشدة (سابقاً).

ضرائبُ الكنيسة تزداد ارتفاعاً، و"خدمات" رجال الدين أصبحت مرتفعة الثمن، كما أصبح بيع صكوك الغفران من مصادر التمويل التي لا يمكن (للكنيسة) الاستغناء عنها.

الباباوات يبحثون عن دعمٍ عسكري في كل مكان، ليبيدَ أحدهم الآخر. هيبتُهم انحدرت إلى الحضيض. لقد أصبحت الكنيسة "موضوع سخرية وتندُّرٍ عند شعوب العالم"

النقد الموجّه إلى المؤسسة الباباوية أصبح، عند علماء (اللاهوت) أكثر منهجيّة.

في إنكلترا توصّل اللاهوتي (المعروف) "جون وكليف" إلى نتيجةٍ (تقول):

إن الانقسام (الكنسيَّ) هو النهاية الطبيعية لنظام الباباوية الفاسد.

بما أن الكنيسة عجزتْ عن إعادة تنظيم ذاتها، فقد وضِعَت تحت الوصاية الأرضية (الحكومة المدنية).

"جون وكليف" لا يرى ضرورةً لوجود النظام الباباوي الهيرارشي، لأن بمقدور كل إنسان أن يجد بنفسه الطريقَ إلى الله.

"جون وكليف" قام بترجمة الإنجيل اللاتيني المسمى "فولغاتا ـ **Vulgata**" إلى اللغة الإنكليزية.

حُكم على أرائه التعليمية (هذه) بالهرطقة، ومع ذلك فلا يمكن (لأحد) إزالتُها من العالم.

twitter @baghdad_library

نداءٌ لعَقد المَجمَع (الكَنسيّ) - الكونْزيل
Ruf nach dem Konzil

كاملُ العالم المسيحي في حالة الحِرمان، سواء من (قِبَل) روما أو من أفِنيون، لأن البابا وبين قاما بحِرمان كل من تبع البابا الآخَر، ولهذا فهم يشكّون بأن لا أحد، منذ الانقسام، يستطيع الدخولَ إلى الجنة.

(الآن) يرتفع النداء من أجل عقد المجمع الذي عليه أن يعيد الوحدة إلى الكنيسة، وبخاصة عند أساتذة اللاهوت في جامعة باريس، حيث يَسمع المرءُ النداءَ نحو "الاتحاد" ووحدة الكنيسة، كما يتزايد عدد الأصوات التي ترى في البابا وبين السبب والحامل للانقسام (شيسْما) ويصفانهما بالانحراف عن تعاليم الكنيسة الصحيحة "هيريتِكَرْ – Haeretiker"

لم يفتقر مطلَبُ إنهاء الانقسام إلى الدعم الشفهي.

(ها هو) البابا "بونيفاز التاسع" – خليفة (البابا الراحل) "أوربان السادس"، يأمر بإقامة الصلَوات والمَسيرات الدينية من أجل التغلب على "خطيئة الانقسام" (ويدعو) للتصالح.

غريمه (البابا المضاد الجالس) في أفنيون "كليمِنس السابع" – جزار (مذبحة) سيسينا –، يقيم كل يوم خميس صلاةً احتفاليةً من أجل إنهاء الانقسام.

في عام 1398 أصبح الملك الفرنسي "كارل السادس" مستعداً لإرغام البابا (المضاد) في أفنيون، على تقديم استقالته.

إنه (الملك) يرغب في أن يكون هو منقذاً للكنيسة، فيقوم بمنع شعبه من الاستمرار في تقديم الطاعة للبابا (البديل) ويصادر أملاك (الكنيسة)، ويمنع الناس من الاستمرار في دفع الضرائب إلى حكومة البابا في أفنيون. أخيراً يلجأ إلى استعمال القوة ضده، دون جدوى.

بعد محاصرة (البابا) "كليمِنس السابع"، لمدة أربعة أعوام في أفنيون، يستطيع البابا الفرار منها.

المحاولة الجدية لإنهاء الانقسام، يقوم بها (البابا) الروماني "غريغور الثاني عشر ـ Gregor XII"

قبل انتخابه عام 1406، إلى منصب البابا، يعِد بأن يعمل على تحقيق ما يسمى بـ "طريق الاستقالة — via cessionis"

بعد انتخابه كبابا أخذ يؤكد لكل الأمراء عن عزمه، مرة أخرى، على العمل بإصرار من أجل وحدة الكنيسة.

وافق خصمُه البابا المضاد "بينديكت الثاني عشر"، الحاكم في أفنيون، على الالتقاء به فوراً، لكن المفاوضات (بينهما) أخذت تزداد صعوبة.

البابا "غريغور الثاني عشر" رفض أن يلتَقيه على متن سفينةٍ فرنسية، بدوره (البابا) "بينديكت الثالث عشر" رفض التأكيد خطياً على اللقاء المتّفَق عليه في (مدينة) "سافونا — Savona"

"غريغور الثاني عشر" سافر من مدينة (لوكّا) ثم عاد أدراجه (إلى روما).

القتال (الذي اندلع) حول روما، يقدم له السببَ، المرحَّب به، بقطع المفاوضات مع (البابا) "بينديكت الثاني عشر" نهائياً.

بعد عامين من المفاوضات الفاشلة، يصدر البابا "غريغور الثاني عشر" أمراً بمنع المفاوضات، حتى إنه يَسِمَ (مجرّد) التفكير باستقالته، بالهرطقة.

في باريس هناك استنكار (لهذا)، حيث تعلن الجامعة كلاً من الباباويين انقسامياً وتطلب خلعَهما معاً. حتى الكاردينالات يتخلون (الآن) عن أسيادهم المتصلّبين.

الجميع يريد الآن انعقاد المَجمع.

twitter @baghdad_library

ثلاثةُ باباوات و"بيسا"

Die Paepste und Pisa

في الشهر السادس من عام 1408 التقى في مدينـة "ليفورنـو ـ Livorno" (الإيطالية) اثنا عشر كاردينالاً من أتباع (البابا) أوربان مع سبعة كاردينـالات من أتباع (البابا) كليمِنس، وقاموا بتوجيه الدعوة لحضـور المَجمـع، مـع بـدء نيسان من عام 1409.

بين المجتمعين الخمسة مئة، كان هناك اثنان وعشرون كاردينالاً

وأربعة وعشرون أُسقفاً، لكن غالبية الحضـور كانـت مـن أسـاتذة الحقـوق الجامعيين، وكانـت حجّـتهم (علـى حضـور المجمـع بهـذا العـدد الضـخم، تقول):

بمـا أنّ السّـلطة في المدينـة تَخـصّ المـواطنينَ (جميعـاً)، فـإن الحكومـة (الكنسيّةَ) تَخُصّ ـ في المُحصّلة ـ كلّ المؤمنين المجـتمعين في المَجمـع، وإن لم يقف المجمع فوق البابا، فهو يقف (على الأقلّ) إلى جانبه.

تحوّل المجمعُ (الكونزيلُ) في "بـيسا" إلى محاكمة (علَنيةٍ):

أولاً: أمَر المجمعُ الباباويين (المتخاصمين) بالحضور، ليقفا معاً أمام أبواب كنيسة القديس ميخائيل، ولما تغيّب كلاهما عـن الحضـور، وبعـد أن اسـتمع المجمعُ إلى شهادات ثمانين شاهداً، تُلِي الحكْم التالي:

"إنّ كلاً من الباباويين هَرطقيٌّ، مدمنٌ على الانقسام"

لهذا فقد نُزعتْ عنهما كلّ صفات الهَيْبة (الباباوية)، أما حقوقهما فتوضَع في يد الكرادلة، الذين يُكلَّفون على الفور بالبدء بانتخاب البابا الجديد.

لقد انتَخبوا "بـيتَر فيلارغـي ـ Peter Philargi"، أسـقف مدينـة ميلانـو، وهو فرانسيسكانيّ الانتماء، ليصبح البابا "الكسـندر الخـامس ـ Alexander V"، الذي لا يجدُ، لسوء الحظ، قَبولاً لدى أهم الأمراء الأوروبيين.

يوجد هناك الآن ثلاثة باباوات في ثلاث مدن مختلفة: روما ـ أفِنيون (فرنسا) ـ بولونيا (الإيطالية).

الإسبان، لازالوا يدعمون البابا "بينِديكت الثاني عشر"

كان مطلوباً من البابا "ألكسندر الخامس"، لا أن يُنهي الانقسام البابويّ فحسب، وإنما العمل أيضاً على إصلاح الكنيسة "من الرّأس حتى الأطراف"، وهو الأمر الذي طال انتظاره، لكن السلطةَ صعدت إلى رأسه (خطفَته لذّةُ السّلطة)، فأخذَ يؤجّل الإصلاحات (ويتابع) توزيع المناصب الكنَسية والأملاك على مريديه وأتباعه.

أخيراً يقوم الباباوات الثلاثة بمحاربة بعضهم بعضاً.

لقد حلّتْ "الثّلاثيةُ الملعونةُ" محلّ "الثنائيّة الملعونة"

المشاعر عند المواطنين عكِرةٌ (متوتّرةٌ).

الكهنوتُ يعلنون (يحذّرون) عن الفوضى والخروج على القانون القادمين.

البابا "الكسندر الخامس" يتوفّى بعد عام (فقط) من استلامه لمنصبه، فيحلّ مكانه على العرش البابوي "بالداسّاره كوسّا ـ Baldassare Cossa"، وكان محافظاً سابقاً (في مدينة) بولونيا.

البابا الجديد الذي سمّى نفسه "يوهانّس الثالث والعشرين ـ **Johannes XXIII**"، هو محاربٌ أكثر منه سياسي.

يقال عنه، قبل أن يصبح البابا، بأنه كان قرصاناً بحريّاً لم يدَع للعالم أماناً، ومن المعروف عنه ميله للعنف وللجَشع، كما يُزعم عنه بأنه هو مَن سمّم سلَفه (البابا) "الكسندر الخامس"، وإن كان العديدون يشكّكون بهذا، حتى اليوم.

مجمعُ بيسا، الذي كان يُؤمّل منه إنقاذ الكنيسة من أزمتها، يفشلُ.

الآن يمكن الاختيار بين ثلاثة باباوات، وكلٌّ يختار من يخدم مصالحة بشكل أفضل.

twitter @baghdad_library

النّظامُ العالميّ الجديدُ

Die Neuordnung der Welt

الملكُ (الألمانيّ) الطّموحُ يريد إنهاء الفوضى، فتأتيه الفرصةُ، غير المتَوقّعة، لأن يصبح منقذَ الكنيسة.

عندما اضطُرّ البابا "يوهانّس الثالث والعشرين" إلى الهرب من أمام قوات (مدينة) نابولي، لجأ إلى الملك، طالباً منه المساعدةَ،

فيستغلّ الفرصةَ ويَبتزّ البابا في الموافقة على عقد مَجمع شامل، وهذا ما كانت تطالب به (أيضاً) الرسائلُ الدينية والمنشوراتُ السّرية، وحتى موظفو حكومة البابا أنفسهم، من أمثال "ديتريش فون نيم — Dietrich v. Niem"، أخذوا يطالبون الآن (بإصرار) على عقد المجمع.

"ديتريش فون نيم" قدم كتاباً حول الموضوع يسمى:

"حوارُ حول الوحدة وإصلاح الكنيسة"، اكتسب أهمية متزايدة (الآن)، جاء فيه:

"سلطة الباباوات يجب أن تقاس بفوائدها المقَدّمة للجماعة، وبما أن المَجمع وحده من يمثّل مصالحهم عند البابا، فإنّ المجمع وحده قادرٌ على البَدءِ في الإصلاح الكنَسي

"Quod omnes tangit ab omnibus approbari debet"

وهو يعني: "كلّ ما يَمسّ الجماعة، بحاجة إلى موافقتها عليه"

الملك (الألمانيّ) "زيغيسْموند" يريدُ، من خلال المجمع، أن يحقق أهدافاً ثلاثةً:

– إنهاء الانقسام — **"Causa fidi"** — (سبب الخِصام) –.

– إنهاءُ الهرطقة التي أخذت تَنتشر بخاصةٍ في مقاطعة "بوهْمين" (الألمانية)، بتأثيرٍ من الواعظ (اللاهوتيّ) "يان هوس – **Jan Hus** "

– تحقيق الإصلاح الكنَسي – causa reformations - الذي:

كانت المطالبةُ به قد ابتدأت منذ أجيال، وذلك "من الرأس حتى الأطراف"، لكي يقضي على الأحوال السّيئة في الكنيسة، وعلى مُحاباة الأقرباء (سيموني)، وتحوُّل الحياة عند الكهنوت باتجاه الرّذيلة.

لكن لدى "سيغيسْموند" تطلّعاتٌ طموحة، أبعد من مجرد تحقيق وحدة الكنيسة وإصلاح أحوالها.

إنه يرى في تحقيق الوحدة المسيحية الغربيّة، خطوةً نحو تحقيق الوحدة الكنَسية مع بيزنطة، هدفها قيام قيصريّة مزدَوجةٍ غربيّة ـ بيزنطيّة، لتوحيد قواهما في القيام بحملة صليبية على الإسلام.

بعد اجتماع "سيغيسموند" لمدة 18 يوماً مع مبعوث البابا "يوهانّيس الثالث والعشرين"، يُعلِن في عام 1413 عن الدعوة لحضور مجمع شاملٍ يقام في "كونستانز– Konstanz" (المدينة الألمانية).

البابا "يوهانّيس الثالث والعشرين"، يعلن بشجاعة عن عزمه حضور المجمع شخصياً، والمساهمة في إنهاء حالة الانقسام، مع علمه بأن المجمع سيقوم بعزله، وبعزل غريميه الباباويين الآخرين.

البابا "غريغور الثاني عشر"، يعلن أيضاً عن عزمه في المشاركة بأعمال التحضير لعقد المجمع، ويطلبُ من جميع المسيحيين تقديم الطاعة إلى الملك "سيغيسْموند"

كما أنه يعلن (من جديدٍ) ما كان قد أعلنه سابقاً مرّات عديدة، عن استعداده للتخلي عن وظيفته (الباباوية) فقط، عندما يتخلى الباباويين الآخرين أيضاً عن منصبيهما.

لكن عندما طلب الملكُ من البابا الحضور (شخصياً) إلى المجمع، فقَد شجاعته وأرسلَ مبعوثين فقط ليَنوبا عنه في حضور المجمع.

twitter @baghdad_library

البابا "بينديكت الثالث عشر"، مدعوّ هو الآخر (لحضور المجمع)، لكنه يرفض ذلك منذ البدءِ، ويرفض كلَّ تعاون (بهذا الشّأن)، ويصرّ بدلاً عن ذلك، على التّراجع عن مقرّرات مجمع بيسا.

لم تكن موافقة الباباوات، العمل على تحقيق مجمع كونستانز، عند الملك "سيغيسْموند" ذات أهمية كبرى، إنما الحصول على موافقة (حكام) الدول القوية مثل إنكلترا وفرنسا، على الحضور، لأنه من دون دعمهم للبابا الذي سينتَخبُ، فلن يكون قادراً على فرض حضوره.

لقد برهنَ الملكُ "سيغيسْموند"، أكثر من مرّة، عن كونه دبلوماسيّا كبيراً.

انتفاضة المَجمع (الكونْزيل)

Das Konzil erhebt sich

في الخامس من شهر تشرين الثاني / نوفمبر عـام **1414**، افتَـتح البابـا "يوهانّس الثالث والعشرون" المجمعَ (المنعقد في كونْستانز)، الـذي حضـره في البدءِ، أربعون كاردينـالاً، وبعـضُ رجـال الـدين مـن ذوي المناصـب العليـا، بـريلات (الأسـاقفة الأحبـار) - **Praelat**، وتغيّـب عـن حضـوره الملـك "سيغيسْموند" (صاحب المبادرة والداعي إلى حضور هذا المجمع)، بسبب أنـه موجود (يومها) في آ خِنْ — **Aachen**"

(المدينة الألمانية المشهورة تاريخياً)، ليتم فيهـا تتويجـه، علـى يـد الأمـير الكبير — **Kurfuerst** — ليصبح **ملكاً رومانياً متوّجاً**، وهو حدَث هام بالنسبة إليه، يقوّي من سلطته.

(بعدها) يصل الملكُ إلي كونستانز مع بدء (احتفالات) عيد الميلاد.

أصبح المجمعُ، بالنسبة للمدينة الصغيرة نسبياً، الواقعة علـى بحـيرة "بـودِن سـي — Bodensee" (في جنـوب ألمانيـا)، حـدَثاً قرنيّـاً (لأهميتـه التاريخيـة البالغة)، حيث انعقد فيها مؤتمرُ الشّعوب (المجمع) لمدة أربعة أيام.

مع انعقاد المجمع دخل المدينةَ حوالي ثلاثون ألف إنسان.

المدينة تزدهر. البائعون (الجوّالون)، مبدّلوا العملات، والحرْفيّون يقصـدونها، كذلك تأتي إليها سبعمئة عاهرةٍ من كلّ أنحاء أوروبا، لتقديم المتعة لزوار المدينة، الأرضيين والدّينيين أيضاً.

كمـا كـان يـدخل المدينـةَ يوميّـاً، عشـرات الألـوف الـراغبين في مشـاهدة المسيرات الاحتفالية، ومباريات (الفروسية) الرائعة، ومواكب الأمراء، وأخيراً مشاهدة النار المشتعلةِ في المحارق (البشريّة).

من الجماعات المشاركة في المجمع، التي لفتت إليها الانتباه:

twitter @baghdad_library

الأساقفة، رؤساء الأديرة، شخصيات تنظيمات الفروسية الدينية المرموقين (مثل جماعة فرسان الهيكل... الخ)، أمراء الكنيسة اليونانية، وكلٌّ معه حاشيته، وبينهم المئات من علماء الجامعات، يضاف إليهم العديد من الأمراء (وأشباه الأمراء من ذوي الألقاب النبيلة مثل:) هيرتزوك — غراف، وكذلك الوفود الأجنبية القادمة من كل أنحاء أوروبا، ومن تركيا وبلاد العرب وروسيا والهند.

أساتذة الجامعات شكلوا أكبر مجموعة من المشاركين، وكان عددهم 343 أستاذاً، ولعبوا في مجمع "كونستانس" أيضاً دوراً هاماً كانوا قد لعبوه في مجمع "بيسا" (سابقاً).

مشاركتهم في المجمع جعلت منه مؤتمراً ضخماً للعلماء الأوروبيين، وبدأت الأممُ المختلفة المشاركة في المجمع، بتأثير منهم، بحوار بين بعضهم وبعض.

هم أيضاً (العلماء) كانوا من أعطى للمجمع الهيبةَ اللاهوتيةَ اللازمة واتجاه مسيرته، من خلال قرارهم (المتَّخذ) في الجلسة الخامسة، بتاريخ 6 / 4 / 1415، المسمى "هاك سانكتا— Haec sancta"، الذي جاء فيه:

هذا المجمع الكَنسي ـ "السّينودِه (السينودوس) ـ Synode" ـــ القانوني، المُجتَمِع في (رعاية) الروح القدس، على شكل" مَجمعٍ — Konzil " عامٍ، كممثل للكنيسة الكاثوليكية، ومفوّض مباشرة من المسيح، ومن كل إنسان، بصرف النظر عن مكانته وهيبته، حتّى ولو كانت هيبةَ البابا (نفسه)، (يُعلَن بأنّ) الجميع ملزَمٌ بإطاعته في كل الأمور المتعلقة بالمعتَقد، و(من أجل) اقتلاع جذور الانقسام ـ (شيزما)، المشار إليها أعلاه، وكذلك بكل ما يتعلق بإصلاح الكنيسة المذكورة (الكاثوليكية)، في الرأس والأطراف"

بهذه العبارات (الهامة جداً من المجمع)، تمّ إلغاءُ تنظيم الكنيسة الوظيفي (المتعلق بتدرّج الرتب والمراتب):

البابا والكرادلة والأساقفة يخضعون الآن إلى المجمع (الذي أصبح السلطةَ الأعلى في الكنيسة).

twitter @baghdad_library

مشهد من مجمع "كونستانز" الذي أنقذَ الكنيسةَ من الانقسام.

twitter @baghdad_library

معاً من جديد (العودة للوحدة)

Wieder zusammen

بالنسبة (للبابا) "يوهانّس الثالث والعشرين"، أصبح المجمعُ كابوساً لـه. لقد سمحوا له بافتتاح المجمع، ولكنهم أوضحوا له أيضاً، بعد قليل، بأن الهيبة (والسلطة) — هذه الساعة — تعود للمجمع، وليس له.

منذ أن تولّى الملكُ (الألماني) "سيغيسْموند ـ Sigismund في (فترة) أعياد الميلاد من العام 1415 رئاسةَ المجمع، أصبح النقاش الدائر يطالب باستقالة البابا علناً.

بعد وقت قصير قرّر الاجتماعُ العام (في المجمع) عدم أحقية البابا "يوهانّس الثالث والعشرين" في حلِّ المجمع، أو في مغادرة – (مقر الاجتماع في مدينة) – "كونستانز"

أحد المندوبين الإنكليز طالب المجمع باعتقال البابا، فيما إذا رفض تقديم استقالته. اتصل البابا احتياطياً بالهيرزوغ "فريدريش الرابع" (حاكم مقاطعة "تيرولـ (يا) — Tirol" (يقع منها الآن قسم في النمسا والآخر في إيطاليا).

أقام الهيرزوغ "فريدريش الرابع" أمام بوابات مدينة "كونستانز" مباريات للفروسية، اغتنم البابا فرصتها ليهرب منها إلى (مدينة) "شَفْهَاوزِن" في زي سائس للخيول.

هربُ البابا وضع المجمعَ في حالة هلَعٍ، لأنهم خافوا من أن يفشل المجمعُ بالتوصل إلى نتيجة في غياب البابا، لكن (الملك) "سيغيسْموند" مصممٌ على منع حدوث هذا الأمر.

في اليوم التالي، امتطى جوداه وعبَر شوارع المدينة مطالباً الجميع بالبقاء فيها.

أما الأمراء والكرادلة فقام بتهدئتهم قائلاً:

"دعوه يهرب ـ يا سادتي ـ سوف أسحبُه من طرف جبّته وأُنزِله من وراء جدران قصره في أفِنيون، التي يعلوها سياج الزنك المدبّبِ (للحماية من المتسلقين)"

خلال هذا الوقت، يكتب البابا "يوهانّس الثالث والعشرين" من مخبئه في "شَفْهاوزن"، عدةَ رسائل إلى المَجمع، يبرّر فيها هروبه بسبب خوفه من الملك "سيغيسْموند"

بالنسبة لهذا (الخوف) فهو محقٌ به، لأن الملك يقوم (الآن) بحرب حقيقية من أجل إلقاء القبض عليه.

بعد أن تمّ إلقاءُ القبض على البابا، انصرف عنه كرادلته، ووجبَ عليه أن يمثُلَ أمام محكمة المجمع، ليجيبَ على التهم الموجهة ضده:

قتْلُ سلَفه بالسّم ـ تبذيرُ أملاك الكنيسة ـ العملُ على محاباة الأقرباء (السّيموني).

لقد تمّ عزله ووضعه في سجن "الغراف لودفيغ" — حاكم (مقاطعة) "بفالْس — Pfalz" — لمدة عامين.

الآن وبعد طول انتظار قرر (غريمه البابا) "غريغور الثاني عشر"، الذي بلغ التسعين من العمر، أن يقدّم عرضاً باستقالته، بشرط أن يدعو هو إلى انعقاد مجمع جديدٍ.

في 4 / 6 / (1415) قام موظفوه بالدعوة باسمه إلى عقد المجمع، الذي لم يحضره البابا "غريغور الثاني عشر"، وأعلنوا فيه تقديم "غريغور الثاني عشر" استقالتَه.

الفضل في هذا الاختراق (النجاح) يعود إلى مهارة الملك "سيغيسْموند" في المفاوضات، ويشكّل "يوماً سعيداً جديراً بالتَّذكُّر" من أجل اتحاد الكنيسة.

لم يبقَ الآن (من الباباوات الثلاثة في الوظيفة)، سوى (البابا) "بينِديكت الثالث" الذي رفض بإصرار تقديم استقالته.

twitter @baghdad_library

في يوليو / تموز من عام 1415، اتجـه (الملـك) "سيغيسْموند"، برفقتـه ألف فارس، نحو مملكة "أراغون — Aragon" (في إسـبانيا) إلى حيـث يقـيم البابا، ليقنعه بتقديم استقالته.

عندما التقى البابا في (مدينـة) "بيربغنـان" في سـبتمبر / أيلـول (1415) خاب ظنه في البابـا المتمسـك برفضـه تقديم اسـتقالته، وقـد بلـغ مـن العمـر السبعين، وكان قد أقسم عند انتخابه علـى عزمـه علـى تقديم اسـتقالته مـن منصبه إذا كان في هذا ما يفيد في إنهاء الانقسام (الكَنسي).

إنه يريد الآن أن يحـلَّ المجمـع (المنعَقـد) في كونسـتانز، ليـدعو إلى عقـد مجمع خاص به، في جنوبي فرنسا أو إسبانيا.

إنه لا يفكر بالاستقالة.

الملك "سيغيسموند" يغادر (مقر البابا) في "بيربغنان" خائباً.

الآن ينصـرف عـن البابـا ملـوكُ أراغـون وكسـتيليا ونافـارّا (أيضـاً)، كمـا انصرف عنه العديدُ من كرادلته، الذين ذهبوا إلى (مجمع) كونستانز ليشاركوا هناك في عملية خلعه وانتخاب بابا جديدٍ.

(البابا) "بينديكت الثامن" يهرب إلى حصن بحري (يدعى) بينِسْكولاّ على مقربة من "فالِنثيا"، حيـث أمضـى هنـاك بقيـة حياتـه، وكـان يـدير بلاطـه (كالمعتاد)، ويرسل اللعنات ضد أعدائه، في (كل جهات) العالم.

في (مجمع) كونستانز، حكمـوا عليـه بتـاريخ 26 / 7 / 1417 بتهمـة "مخرّب للسلام، ولوحدة الكنيسة، (وبكونه) انقسامي، هرطـوقي... متجـاوز لموادِّ المعتقَد (التي وردت في الإعلان المسمى "أونام سانكتوم"— (الذي ورد معنا أعلاه) —، (لهذا) تمَّ عزله احتفالياً.

أخيراً، وبعـد جـدال طويـل، تمّ الاتفـاقُ علـــى الدخـــول إلى الخَلـوة في كونستانز (لانتخاب البابا الجديد)، وحضرها 43 ممن يحق لهم الانتخاب، حيث يمثّل كلُّ أمّةٍ ستةُ رجال، وكان بين المجتمعين 23 كاردينالاً.

بعد ثلاثة أيام (فقط!) تم انتخاب الكاردينال الإيطالي "أودُّو كولونّا" في ديسمبر / كانون الأول **1417**، ليصبح البابا الجديد (الذي يلقب نفسه الآن باسم) "مارتِن الخامس — **Martin V**"

بعد حواليِ أربعين عاماً انتهى الانقسامُ الكنسي — "شيزما" —.

ثمانون ألفاً (من سكان كونستانز) يصطفّون على الطريق المؤدي إلى كنيسة "مونسْتَر"، عندما رافق الملكُ "سيغيسْموند" البابا (الجديد) إلى الصلاة.

بعد تتويج "سيغيسْموند" من قبل البابا، يقبِّل الملكُ قدمي البابا، ويمسك لجامَ حصانه ويقوده (عبْر المدينة).

(إنها) انحناءةٌ أمام التقاليد، وخاتمة لفصلٍ من تاريخ العصر الوسيط.

twitter @baghdad_library

مسألةٌ تَهُمُّ الأُمم

Eine Sache der Nationen

تُقابلنا، في مجمع كونستانز،على مساحة ضيّقة، كلّ سلطات العصر الوسيط دفعة واحدة:

الملك الروماني، القيصر لاحقاً –، البابا كممثل للنظام الكوني القديم للإمبراطورية، وأيضاً ممثلو القوميات الصاعدة، النّبلاء، (الممثلون) لشعب المدن، (أساتذة) الجامعات.

في كونستانز، يتشابك الجميع في مناقشات علَنية، محاولين إعادة ترتيب العلاقات فيما بينهم من جديد.

يبدو وكأن مجتمع العصر الوسيط، (المجتَمِع) في كونستانز، أخذ يكتسب لذاته وعياً جديداً، وهو في مرحلته المتأخرة، ولكن الأمور لم تكن تجري، إبانه، بشكل مريح.

في جلسات المجمع، حيث كان التصويت فيه يتم بحسب الأمم، حصلت اضطراباتٌ عديدةٌ، وكان التنافسُ وصراعُ القوى يحدد المُناخ فيه.

الخلافات حول شغْل المناصب بين الإنكليز والإسبان، أدّى حتى إلى نشوب نزاع مسلح بينهما.

أحدُ الكرادلة شكا من أن كنيسة المجمع قد تحوّلت إلى كنيسة لصخبِ الأمم، حيث (يحوك فيها) الملكُ والأمراءُ خططاً متَعجرفةً ضدّ السيد (الله) ويسوعه.

الخلافاتُ بين أمم المجمع، كانت السببَ أيضا وراء عدم تحقيق المجمع إلاّ لواحد (من أهدافه) فقط، المتمثل في

"سبب الوحدة — causa unionis"، ويعود الفضل في تحقيقه إلى مهارة (الملك الألماني) سيغيسْموند التفاوضية، الذي قام بمهمة الرابط بين المجتمعات المتصارعة المجتمِعة في كونستانز.

خارج تحقيق هذا الهدف الصغير، لم يكن عند الأمم استعداد لتحقيق المزيد. إنهم يَتركون للبابا موضوع عملية الإصلاح الكنَسي — **"causa reformationis"**، حيث يجب عليه شخصياً القيام بتنظيم موضوع الهبات مع البلدان المعنية، كلٌّ على حدة.

أما فيما يتعلق بموضوع الهرطقة، وهو الهدف الثالث للمجمع، فلم تتمّ معالجته بشكل كافٍ.

في ذروة انعقاد المجمع، حصل حادثٌ محزن، حيث تم إعدام المصلح الكنَسي، رئيس جامعة "براغ" وهو **"يان هوس — Jan Hus"** من مواطني منطقة "بومِن"، الذي كان قد حضر إلى كونستانز (لحضور المجمع)، آملاً أن يناقش آراءه أمام هذا الجمهور الكبير، بعد أن كان (الملكُ) سيغيسْموند قد وعده بتقديم الأمان له.

في البدء، رفع المجمعُ عن "هوس" كلَّ العقوبات الكنَسية المرفوعة ضدّه سابقاً، تم انقلب المزاجُ (ضدّه) فافتتحوا له المحاكمة

بتهمة نشر آراء (دينية) مضلِّلةٍ — **"Kezerei"** —.

عندما رفض "هوس" التّنصلَ من أيّ من فرَضياته — خوفاً على (ملاحقة) أتباعه في (موطنه) "بومِن"، قاموا بإحراقه، كما أحرقوا معه أيضاً عظام (المُصلح الإنكليزي) "جون ويكليف" — المتوفى عام 1384 — بتهمة الزّندقة ونشره تعليمات (دينيّة) مُضلِّلة. برغم ذلك فقد فشل المجمعُ في تقديم برنامجٍ بديلٍ لهذه

"التعليمات المضلِّلة"، التيٍ كانت تُصوَّبُ ضدّ نظام الكنيسة الهيرارشي.

لا يزال الكاثوليكُ يَأسفون، حتى اليوم، على ما جرى (إحراق هوس، الذي يوجد تمثالٌ له اليوم في براغ).

يقول المؤرّخ الكاثوليكيّ "فالتَر براند مولّر — **W.B. Mueller**": "لو قام المرءُ في كونستانز بتعريف الكنيسة كجماعةٍ مُنقِذةٍ (تبشّر) بالخَلاص، وتُنظَّم بطريقة هيرارشيّة (تراتبية)، لكان من الممكن، ربما، وقْف (نشوء) البروتستانتية.

twitter @baghdad_library

أخيراً لم يكن ممكنا للمجمع أن يحققَ فكرة (انعقاده).

قام المجمعُ بالموافقة على الإعلان الشّهير (المسمى):

"ديكريت فريكوينس — Dekret Frequens"، الذي يأمر بانعقاد المجمع من جديد، في فترات محددة، ولكن، وبعد وقت قصير، في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، كانت توازنات السلطة قد تَبدّلت، نظرياً وعمليّاً.

في أيلول / سبتمبر من عام 1420، ثلاث سنوات بعد أن تمّ انتخابه، عاد البابا "مارتين الخامس — Martin V" إلى (مقرّه في روما) المدينة الخالدة.

المدينة في حالة سيئة يرثى لها. الكنائس، وبخاصةٍ الكبيرة منها، وكذلك قصر الفاتيكان، لحق بها الضررُ والتّصدّعُ جرّاء الحروب العديدة. في الشوارع ترعى (قطعان) الماعز والخِراف.

كذلك كان الوضع السّياسيُّ فيها مريعاً. ببطيءً تمكن (البابا) من إعادة ترميم الكنائس.

إن ما يبدو لنا اليوم متناقضاً، كان بالنسبة له حدثاً سعيداً:

لقد استطاع (البابا، من خلال سياسة زواجٍ وتَزويج) ماهرةٍ، من استعادة دولة الكنيسة (كوريه)، التي وقَع قسمٌ كبيرٌ من أملاكها في يد عائلته — عائلة الكولونّا، وبمساعدتها، تمكّنت الباباويةُ من استعادة نفوذها في إيطاليا - على الأقل-.

بعد التّغلّب على الانقسام (الكنَسي الكبير — شيزْما)، يبدو أن السلطة الروحية قد أمكنَ استعادتها (أيضاً).

في روما، على الأقل، كان المرءُ يُؤمن بأن زمنَ التعليمات المضلَّلة قد انتهى، وأنّ العالَم يتجه، تحت علامة المسيحية، أي في ظل قيادة البابا، نحو مستقبل أفضل. لكن الآمال المعقودة على الباباوات، لم يستطيعوا الوفاء بها.

الشّرخُ بين العقل والسلطة سيغدو أعمقَ، استناداً إلى الوهج الذي تَنشره المرحلةُ الجديدةُ (القادمةُ): مرحلة (عصر) التّنوير.

لوحٌ زمنيٌّ . Zeittafel

من "كانوسّا" إلى "أفِنْيون"

Von Canossa nach Avignon

1056

– "هاينريش الرابع – من سلالة "السّاليين" – يصبح ملكاً ألمانياً، وعمره ستة أعوام.

22/ 4/ 1073

– انتخاب "هِلْده براند – Hildebrand" ليصبح البابا "غريغور السابع ـ Gregor VII"

1076

– البابا "غريغور السابع" يعلن عزلَ "هاينريش الرابع" عن عرشه، وحرمانه كنَسياً.

كانون الثاني / يناير 1077

– "هاينريش الرابع" يَعبُر (شتاءً) جبالَ الألب، لطلب العفو من البابا "غريغور السابع"، الذي يرفع عنه الحِرمان (مُكرهاً).

3 / 1088

– البابا "غريغور السابع" يقوم بحِرمان "هاينريش الرابع" من جديد، فيقوم بدوره بعزل البابا، وباحتلال روما، بعد حصارٍ دام ثلاثة أعوام.

31 / 3 / 1084

– البابا المضاد "كليمِنس الثالث – Clemens III"، الذي نصبه الملك "هاينريش الرابع" بديلاً عن البابا "غريغور السابع"، يقوم بتتويجه قيصراً.

25 / 3 / 1085

twitter @baghdad_library

– البابا "غريغور السابع"، العدوّ اللدود للملك "هاينريش الرابع"، يتوفى في المنفى (أفِنيون).

12 / 3 / 1088

– انتخاب "أودو دي شاتِيلّون ـ Oddo de Chatillion" ليصبح البابا "أوربان الثاني – **Urban II**"

1095

– البابا "أوربان الثاني يدعو لتحرير الأرض المقدّسة من أيادي المسلمين الكفار (! — كما ورد في النص).

بعدها بأربعة أعوام يحتلّ الصليبيون (الفِرنجة) القدس.

29 / 7 / 1099

– وفاة البابا "أوربان الثاني

1106

– "هاينريش الخامس" ابن الملك "هاينريش الرابع"، يرغم والدَه على التنازل عن العرش. بعد وقت قصيرٍ، يتوفّى "هاينريش الرابع"، وهو لا يزال تحت الحرمان الكنَسي.

1111

– "هاينريش الخامس" يستطيع رفع الحرمان عن والده المتوفى، ليتمكنوا الآن من دفنه في مقبرة العائلة، في كنيسة (مدينة)

"شبَيَرْ ـ **Speyer**" الكبرى – الدّوم – **Dom**.

24 / 12 / 1294

– انتخاب "بينيديكت كِتانِس ـ **Benedikt Caetanis**" ليصبح البابا "بونيفاز الثامن — **Bonifaz VIII**"، بعد أن قام بنصيحة سلَفه (البابا الملاك) بالاستقالة من منصبه، ثم ألقى به في السجن بقية حياته، (ويقال أنه أمر بقتله بالسُّم) خوفاً من عودته إلى العرش.

1300

– البابا "بونيفاز الثامن" يعلن (لأوّل مرة) عن "عام اليوبيل"، الذي جلب إلى روما عدداً هائلاً من الزّوار (الحجاج)، ومن الدّخل أيضاً.

18 / 11 / 1302

– الإعلان البابوي (بولّه) المسمى "أونام سانكتام – Unam Sanctam"، يحدّدُ أقصى متطلّبات البابا من السلطة الأرضية والروحيّة.

1303

– محاولة اغتيال البابا في "أناني - (المنفى) –، التي يقوم بها حلفاءُ الملك الفرنسيّ، (تُشتَهر باسم) "صفعةُ أناني

11 / 10 / 1303

– البابا "بونيفاز الثامن" يتوفى، بعد مرور أسابيع قليلة على محاولة اغتياله.

5 / 6 / 1305

– بدعمٍ من الملك "فيليب الرابع" ـ الملقّب بالجميل ـ يتم انتخاب "برتراند دي غوت – **Bertrand de Got**" ليصبح البابا

"كليمِنس الخامس"

1307

– الملك "فيليب الرابع" يتّهِم جماعةَ (فرسان) الهيكل بالهرطَقة، ويوجّه لهم تُهماً خطيرةً أخرى.

1309

– البابا "كليمِنس الخامس"، الذي لم يدخل إلى روما، يَنقلُ الكرسي الرّسوليّ إلى أفنيون، حيث بقي هناك (في المنفى) مدة سبعين عاماً تقريباً.

1312

– بناءً على إلحاح الملك الفرنسي ("فيليب الرابع")، يتم الضّغط على جماعة (فرسان) الهيكل وملاحقتهم. بعد مرور عام على هذا، يتم حلّ التنظيم ومصادرة ثرواتهم (الكبيرة).

twitter @baghdad_library

20 / 4 / 1314

– وفاة البابا "كليمِنس الخامس"

7 / 5 / 1314

– انتخاب "بيير روجر ـ Pierre Roger"، ليصبح البابا "كليمِنس السادس ـ **Clemens VI**"، الذي باشر وظيفته في أفِنيـون، الـتي شهدت ازدهاراً ثقافياً واقتصادياً دفع بروما إلى الظّـل.

1348

– وباء الطاعون (الموت الأسود) يجتاح أوروبا.

6 / 12 / 1352

– وفاة البابا "كليمِنس السادس"

28 / 9 / 1362

– "غيلّـوم دي غريمـورد ـ Guillaume de Grimoard"، يصـبح البابـا "أورْبان الخامس -**Urban V**"

1367

– البابا "أوربان الخامس" يَعِدُ بالعودة إلى روما، لكنه يبقى في أفِنيون.

24 / 9 / 1370

– وفاة البابا "أوربان الخامس"

3 / 12 / 1370

– انتخاب "بيير روجر دي بوفورت ـ **Pierre Roger de Baufort**" ليصبح البابا "غريغور الحادي عشر ـ **Gregor XI**"

1377

– البابا "غريغور الحادي عشر" يعود، كأول بابا منـذ سـبعين عامـاً، إلى روما.

1377

– وفاة البابا "غريغور الحادي عشر"

1378

– مع انتخاب البابا "أوربان السادس"، وبعده بقليل انتخاب البابا "كليمِنس السابع"، ابتدأ الانقسامُ (الكنَسيّ الكبيرُ – شيسْما) في الغرب.

البابا "كليمِنس السابع" يـذهب للإقامـة في أفِنيـون، بينمـا يبقـى البابـا "أوربان السادس" في روما.

1409

– عَقدُ مجمع (الكونزيل) في "بـيسا"، المقـررُ فيـه إنهـاءُ الانقسـام، لكـن الخلافات التي وقعت فيـه، أدّت إلـي وجـود باباوات ثلاثـة (في آن واحـدٍ معاً)، يدّعي كلٌّ منهم أحقّيته بالكرسيّ الرّسوليّ.

1415

– الملك (الألمانيّ) "سيغيسْموند" يـدعو لانعقـاد المجمـعٍ في "كونسـتانز" المجمعُ يدعو الباباوات إلى تقديم استقالاتـهم، ثُمّ يعزلهم معاً.

11 / 11 / 1417

– انتخاب "أودّو دي كولّونّا ـ Oddo de Collonna" ليصبح البابا "مارتين الخامس -Martin V" الذي أدى انتخابُه إلى إنهاء الانقسام الكبير.

twitter @baghdad_library

سلطةُ الباباوات الملوك

Die Herrschaft der Papstkoenige

بقلم: د. لويزه فاغنر .رووس

Dr.L.Wagner Roos

ولدت (المؤلّفةُ) عام 1957 في "فيسْمور" (ألمانيـا). درسـت البيولـوجي ـ علم الأحياء ـ والصحافة. عملت لأعوام عديدة في مجلـة "شـتيرن ـ النجمـة ـ ومجلة "فوكس" كصحفيّة علمية في مجالها المفضّـل عن المناطق الحدودية بين العلم والثقافة وروح العصر.

بتكليف من التلفاز ZDF كتبت وأخرجت مجموعة مـن الأعمـال التلفازيّـة الوثائقية.

منذ عـام 1999 تشـغل منصـب المـديرة الإداريـة لشـركة إنتـاج خاصـة بالدراما الرّقمية في هامبورغ (شمال ألمانيا).

"سيكْستوس (تاقسطُوس) الرابع"

راهبٌ شحّاذٌ على عرش البابوية

Sixtus IV

Ein Bettelmoench auf dem Papstthron

"أنا لا أريد لأحد أن يموت. ليس من مهمّاتي الوظيفية أن أوافق على موت أحد"

موقف البابا واضحٌ، عندما سمِع عن لقاءٍ سرّيّ تمّ في حجرات الفاتيكان، للتّآمر على (عائلة) ميديتشي.

"سوف نفعل ما نستطيعه، ولكن إذا تمّ الأمرُ، برغم ذلك، فإن قداستكم، دون شكّ، سوف يسامحُ الفاعلين"

هكذا ردّ "جيرولامو رياريو ـ Gerolamo Riario"، إبن أخ الحبر الأعظم المحبب إليه.

البابا "سيكْستوس الرابع" يجيبه: "أنا أقول لكم، إنني لا أرغبُ في موت أحد، غير أنني أريد نزع السلطة (في فلورنز) ـ فلورنس ـ من يد "لورينزو" (ميديتشي)، لأنه رذيلٌ وحقيرٌ، ولا يوجد عنده احترامٌ حيالنا"

بتاريخ 26 / 4 / 1478 أخذَت الأحداثُ تتخبّط في كاتِدرائية فلورينز (فلورنس). النّواقيس صامتة، آلاف المؤمنين يصرّون على البقاء في الصلاة.

الكاهنُ ينتظرُ (وصولَ) لورينزو (وأخيه) جوليانو دي ميديتشي، سيّدا المدينة السّريون، اللذان لا يظهران في العلن معاً، لأسباب أمنية، إلا نادراً.

في يوم الأحد (هذا)، كان عندهم، كضيوفٍ، وفدٌ بابويّ أرادوا، لأسباب تتعلّق (بحسن) الضيافة، أن يرافقاه إلى الصّلاة.

twitter @baghdad_library

توتّرٌ غريبٌ معلّق في الهواء، عندما دخل لورينزو ـ وعمره 29 عاماً ـ وهو يتحدث بثقة مع بعض أفراد حاشيته، في مشيةٍ غـير مكترثـة، متقـدماً نحـو المذبح العالي.

أخوه جوليانو كـان قـد وصـل الـدّوم (الكاتدرائيـة) متـأخراً، بعـد انتهـاء الصّلاة، عندما كانوا قد بدؤوا بمناولة (لقمة) العشاء (المناولـة)، (لهـذا) بقـي واقفاً مع صديقين للعائلة عند المدخل (المفضي) إلى شارع سيرفي.

في هذا الصباح المقدس، لم يكن أحد من الأخويين ميديتشي يلـبس تحـت ثيابه الثمينة درع الصدر (الواقي).

عندما رفع الكاهنُ (القربانة) – لقمةَ العشاء للمناولة، هاجم القتلةُ:

طعنةُ الخِنجـر، مـن مرافقـه "برنـاردو بانـديني –B. Bandini"، أصـابت جوليانو في رأسه فأخذ يترنّح، فقام القاتل الآخر

"فرانسيسـكو دي بـازّي ـ Fr.de Bazzi"، مـدفوعاً بغضـب قتـل أعمـى، بطعنه في صدره.

في نفس اللحظة، قام اثنان من رجال الدين بسحب أسلحتهم الطّاعنة من تحت معطفيهما،وهاجما لورينزو، فجرحاه في رقبته.

جوليانو مات مقتولاً في الكاتدرائية بتسع عشرة طعنةٍ.

(أخوه) لورنزو، هرب إلى مكان شديد القدسية في الكنيسة

"ساكْريسْتاي (السكرستية) ـ Sakristei" حيث قام أحدُ أصدقائه مذعوراً، بامتصاص الدم من جرحه، مخافة أن يكون (السّلاح الطاعن) مسمماً.

في الوقـت نفسـه، يجـري القِسـمُ الثـاني مـن المـؤامرة، تحـت قيـادة "فرانسيسكو سالفياتي ـ Fr. Salviati"، بطريرك (مدينـة) بـيسا، وهـو مـن المقربين للبابا، وكان قد غادر الصلاة مبكراً، وأسرع إلي قصر السّنيورة (مقـر الحكومة)، ولم يكن نبأ الاغتيال في الكاتدرائية قد وصل إلى هناك بعد.

الجناةُ كانوا واثقين من إمكانية قيامهم، بسهولة، بالانقلاب على الدولة.

(البطريرك المتآمر) سالفياتي، يطلب مقابلة "جونفالونيره دي جيوسْتيزيا ـ G. de Giustizia" ـ وهو الرئيس الرمزيّ لحكومة فلورينز –، ليقدّم له رسالةً مستَعجَلة من البابا، فيستقبله.

مرافقةُ البطريرك المسلحة، تـتمترَس خـلال ذلـك في مكـان مـا مـن البنـاء الضخم، تُناور فتقعُ في المَصيدة.

الأبـوابُ الثقيلـة في البنـاء، مجهـزة بمـزاليج نابضـية (راصـوريّة) تجعـل الأبوابَ تُغلِق بشكلٍ نصف آليٍ، مما يمنع المهاجمين من الدخول.

رئيس فلورينز يصيبه الشّك، عندما يعِدُه (البطريرك) سالفياتي، بعصبية، بإعطائه منصباً رفيعاً، يعبّر فيه البابا عن ودّه له.

بعد ظهر (نفس اليوم)، كانت جثّةُ البطريرك معلّقةً على واجهـات أبنيـة القصر (الحكوميّ)، وإلى جانبها (جثّةُ) فرانسيسكو دي بازّي ـ قاتل جوليانو ـ الذي جره الغَوغاءُ من قصره عارياً في الشوارع، ثـمّ علّقـوه، دون محاكمـة، على تصالب إحدى النوافذ.

فشلت المؤامرةُ ضدّ أصحاب السلطة المحليين في فلورينز.

المتورطون في مؤامرة سانتا ماريا ديل فيوري، موجودون في السجن، ومعظم مساعديهم قتلوا.

لورينزو دي ميدتشي نجا من الموت، وأقسم على الانتقام (من البابا).

twitter @baghdad_library

اغتيالٌ في كاثدرائيّة (كاتدرائية)

Mord in einer Kathedrale

بالنسبة لإنسان القرن الخامس عشر (نهاية العصر الوسيط)، كان (هذا) أمراً لا يُصَدّق ضدّ المقدّس، أن يكون البابا، ربما، قد شارك فيه (مؤامرة الاغتيال في فلورينز)، واعتَبروه أمراً شيطانيّاً.

كيف يمكن للبابا، كنائبٍ عن المسيح، أن يَدخل في دوّامة مثل هذه الأمور؟.

في 4 / 5 / 1478، بعد ثمانية أيام من الحادثة، يَعترفُ "الغراف فون مونتيسيكّو ـ Graf v. Montesecco"، وهو أحد المتآمرين وكان قائداً على "برج الملائكة"، أمام محكمة فلورينز العليا وبحضور ستة من الكهان (بجريمته).

جاء في اعترافه أن اجتماعاتٍ تآمّريةً كانت تُعقد في الحجرات البابوية (في الفاتيكان) شارك فيها بطريرك بيسا، وتمّ خلالها إعلامُ (البابا) سيكْستوس الرابع عن المؤامرة.

الغراف (المتآمر) كان موكلاً إليه نشر قوّاته من المرتزقة لتحيط بالمدينة، حتى يتمكن، في حالة نجاح الانقلاب، من السيطرة على الأمور (في مدينة فلورينز).

الغراف نقَل حرفياً (في اعترافه) ما قاله البابا، وكان يدعمُ إزالة الميديتشي عن السلطة، ولكن من دون إراقةٍ للدماء.

في نهاية المحادثات (التّآمرية)، منح (البابا) سيكْستوس الرابع بركَتَه للخطة قائلاً:

"اِذهبوا وقوموا بما تعتقدون أنه الأفضل، طالما لا يُقتل أحدٌ خلاله. سوف أقدّم مباركتي ودعمي العسكريّ، حتى يتحقق هدفنا. أنا سعيدٌ"

بقيَت شهادة الغراف، التي يَزعمٍ فيها تورّط البابا في الأمر، قائمةً لنصف قرن، (ولكن) أيّ دور لعبه البابا حقاً؟.

الاحتماليّاتُ تُرجّح، أن البابا الماهر في الكلام، أراد من خلال رفضه للعنف، أن يموّه على ذنبه.

الحَيْرةُ بين الباحثين، لا تزال سائدةً حتى اليوم، بسبب بساطة (براءة) البابا، التي يعتبرها الكثيرون منهم مُفتَعلةً.

أستاذ التاريخ، الأمريكيّ "لاوْرو مارتِنيس ـ **Lauro Martines**"، الذي ألّف كتاباً حول (هذه) المؤامرة، يتساءل:

"أولَم يعرف البابا، والبروفيسور السابق، عن الحِدّة القاتلةِ للنِّصال الفولاذية؟"

ثمّ يوردُ، نقلاً عن لسان (البابا) سيكْستوس الرابع، عبارات (يُزعَم بأنه) قالها بين جماعة موثوق بها من أتباعه:

"من الممكن أن يكون لزاماً علينا استعمال حديدنا (سلاحنا)، حتى نوضّح لـ"لورينزو" – (دي ميديتشي –، الذي نجا من الاغتيال وأقسم على الثأر من البابا) أنه (مجرد) مواطن فحسب، وأننا نحن البابا، لأن هذه هي إرادة الله"

الغراف (المتآمرُ المُعتَرِفُ) يشرح بدقة كاملة، خطّةَ المتآمرين، ولكن هناك في الوثائق، مواضع تمّ طَليُها بالأسود، كما أن دوافع القتل لا تزال في الظلام (مجهولةٍ).

الآن، وبعد مرور خمسة قرون على الجريمة، تُمكّننا المعلوماتُ الجديدةُ، من إعادة بناء الحدث (بدقة)، ودون ثغرات.

twitter @baghdad_library

كاتبٌ وعالِم لاهوتٍ كـ "بابا"

Ein Schriftsteller und Theologe als Papst

الراهب الشّحاذ "فرانشيسكو ديـلا روفـيري — Fr. Dela Rovere"، الـذي نذَر نفسَه للفقر (للفقراء)، يُتـوَّج في عـام **1471** ليصـبح البابـا "سيكْسـتوس الرابع" إنه كاتبٌ ورجل لاهوتٍ شهير. كتَب حـول الـدّم المقـدس للمسـيح، وسلطة الله الشاملة، ومعروف عنه عزوفَه عن العالَم.

في بـدء حكمـه، كـان يحيـا المُثـلَ التّقشـفية الموجـودة عنـد الرهبـان الفرنسيسكان، ولكن بعد مرور وقت قصير من جلوسه على الكرسيّ المقـدس، تَبدّلَ إلى رجل يَحكم كملكٍ، ويدافع عن سلطته كحاكم أرضي.

في القرن الخامس عشر،كانت لديه مملكتـه، دولـة الكنيسـة، الـتي كـان عليه أن يحميها ضد الأخطار الدّاهمة، من قِبل القوى الغريبة.

قيصرُ الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فقد السّيطرةَ علـى إيطاليـا، حيـث تشظّت البلادُ إلى إماراتٍ،وإلى، (نظام) المدينة ـ الدولة، (وهو النظـام القـديم المعروف لنا منذ عصر المدن الأولى في سومر وغيرها)، حيث يفعـل الحكـامُ مـا يشاؤونه، ويغيّرون دوماً من تحالفاتهم.

(المدن الكبرى والهامّة) ميلانو ـ نابولي ـ فلورينز والبندقيـة، تُحكـم مـن قِبل الأسرِ مثل "سْفورزا —Sforza"، و"ميديتشي — **Medici**"، الذين يصرون على وجودِ حاكم شكليّ فوقهم.

إنه (عصر "الحكام المُتخاصِمون"، كما تصفه المؤرّخة "برباره توشْمان ـ B. Tuchman"

رسالة تعريفٍ: "سيكْستوس الرابع"

Steckbrief: Sixtus IV

ولـد "فرانشيسـكو ديـلا روفـيري ـ Fr. Dela Rovere"، (وهـو البابـا "سيكْستوس الرابع")، بتاريخ 21 / 7 / 1414 في قرية قريبة من (مدينة) "سافونا — Savona"

تعود أصوله إلى عائلـة عريقـة أمسـت فقـيرةً، في (منطقـة) لغيـورين. أمـه كانـت شـديدة التّـدين، نـذرت الصـبي علـى اسـم القـديس فرانشيسـكوس (فرانسيس)، وأرسلته إلى الدير، وكان عمرُه تسعة أعوام.

تابع الفتى الموهوب التعليمَ في المدرسة العليا، ثم درس الفلسفةَ واللاهـوتَ في (الجامعة الشهيرة) "بادْوا – Padua"في (مدينة) بولونيا (الإيطالية).

ظهرت عنده، وعمـره عشـرون عامـاً، إمكانيـاتٌ خطابيـة رفيعـة باللغـة اللاتينية المُتقَنـة. تقدّم في المجـال المِهْـنيّ كـثيراً، وأصبح أسـتاذاً في خمـس جامعاتٍ،ورئيسا (لتنظيم) الفرَنسيسكان.

عندما مُنح، بعـدها بثلاثـة أعـوام، الطّاقيـة الحمـراء (وهـي مـن شـارات البابوية)، استمر أولا في حياة الراهب (المتَـقشّف)، وكـان (قبلـها) كاردينـالاً فقيراً، اضطُرّ إلى الاقتراض من زملائه ليتمكن من إصلاح مسكنه.

بتاريخ 9 / 8 / 1471 أصبح البابا "سيكْستوس الرابع"، وتُوّج بسـبب تديّنـه الشـديد. هـذا لا يكفـي (بـالطبع) ليصـبحِ بابـا، ولا بـدّ مـن وجـود شخصيات هامة نافذة تدعمه (وهذا ما حصلَ فعلا)، وكانوا يَعتقدون بانتخابه في موقع البابا، أنه سيكون أداةً (طيّعةً) في أياديهم، تَخدم مصالحَهم.

لقد كانوا في هذه النقطة على خطأٍ تام.

المعاصرون له يَمتدحون فيه الطيبةَ والكَرَمَ:

twitter @baghdad_library

"إنه يستقبل الجميع بلطفٍ، ويَمنحهم الثقةَ، بشكل يكاد يكون أعمى، وهو ما استغلّه الكثيرُ من الدبلوماسيين المتحجّرين الأنانيين"

هكذا كتبَ عنه (الباحث التاريخيّ) "لودفيغ باستور"، الذي كتب (سيرة) البابا الفرنسيسكانيّ.

أخيراً قام البابا بمنح ثقته لعائلته، فمنح ابنَ أخيه الكثير من المراكز والعَطايا، حتى أنه اعتُبر مخترِع الـ "نيبوتِسْموس" ـ مُحاباة الأقرباء –.

"بالنسبة للبابا، تكفي جرّة ريشةٍ (توقيع) منه، ليصله أيّ مبلغ يشاء" هذا القول ينسبُ إلى البابا، الراهب الشّحاذ (سابقاً)، الذي بهرته ميزانية البابا (الضخمة)، عندما تسلّم الوظيفةَ.

إبن أخيه، المدعو "جيرولامو ريارْيو ـ **Girolamo Riario**"، أصبح "الروح الشريرة" للبابا على حدّ قول "باستور"، وهو الذي ورّطه في مؤامرة الاغتيال ضد الميديتشي والانقلاب الفاشل على السلطة في فلورينز، الأمر الذي أضرّ، بشكل دائمٍ، بسمعة البابا.

الكثيرُ من المؤرخين اليوم يشككون بالادعاء السائد (القائل) بأن البابا كان أُلعوبةً بين أيدي أقربائه ومصالحهم.

الوثائق المكتشفة حديثاً، تلقي الضوءَ على جانب عاتمٍ (من حكمه).

إنها تُظهره كسياسي سلطةٍ، مدروسة ببرودٍ، على استعدادٍ لاستعمال قوة السلاح من أجل توسيع حدود دولة الكنيسة.

بعد وقت قصير (من حكمه) نجده يتخلّى عن عادات الفرنسيسكان (التّقشفيّة). كاتب سيرة البابا (الذاتية) "لودفيغ باستور" يقول عنه:

في كلّ مكان كان (البابا) "سيكْستوس الرابع" يعلن عن مدى الإثارة التي يشعر بها، بأن البابا هو رجل مغاير لذلك الذي يرأس تنظيم الشحاذين (الرهبان الفرنسيسكان، الذي كان رئيساً لهم).

لقد تمادى البابا كثيراً في حبه للبذخ، فيما لو صدّقنا قولَ أحد معاصريه عنه، بأنه أنفقَ مئة ألف "دوكات" - (وحدة نقديّة) - على (صنع) ردائه (المسمى: تيارا)(13).

آمل الاّ يُساء فهمُ هذه الملاحظة، التي لا تشكلّ إلاّ طرفةً على هامش الموضوع.

الجانبُ المشرقُ في حكم البابا كان، في رعايته (للنشاطات الفنية بخاصّةٍ) التي أسّس فيها لعصر النّهضة (القادم).

لقد خلّد البابا سيكْستوس الرابع اسمه، من خلال بنائه الكنيسةَ السّكْستينيّةّ، أقدس أقداس الفاتيكان، التي كلّف أشهر الفنانين في عصره بتزيين جدرانها باللوحات الرائعة (الفريسكات)، من أمثال:

بوتشللي - غيرلاندايو - بيروغينو - بنتوريشّيو.

اللوحات الجدارية تصور مشاهدَ من حياة المسيح وموسى، كما وردَت في العهدين القديم والجديد، وعلى هذه الخلفية الدينية فهي تمجّد انتصار الباباوات على المجامع (الكونزيل)، وعلى الكرادلة (أيضاً).

كتبَ "باستور" - (المؤرخ لسيرة البابا والمعاصر له ما يلي) -:

كلّ الشخصيات التي لها أهميّة ما في روما، أسرعوا ليروا أعمالَ هؤلاء الفنانين العظام المرسومة على جدران الكنيسة:

---

(13) **ملاحظة من المترجم:**
في هذا الموضع من الموضوع، أود أن أشير إلى أن صناعة ثياب الباباوات الرسمية الفخمة المسماة "تيارا"،التي كانت تصنَع من أفخر أنواع القماش، كان يتم صنعها أحياناً في دمشق، من حرير الدّمَقس الشاميّ، وكانت تكلّف الكثير من المال.
أعلَمني، الصديقُ المرحوم الدكتور توفيق سليمان، منذ أكثر من ربع قرن، وهو تلميذ عالم الآثار الشهير المتوفى "أنطون مورتكات"، الذي درّسَه في جامعة برلين الحرة، والتي درّسَ هو فيها أيضا، أنه كان يوماً ما في زيارة لمتحفٍ يضمّ أزياء الباباوات الرسمية، ولعله كان أحدَ متاحف الفاتيكان، لا أذكر، وشاهَدَ على أحد هذه الثياب الرسمية، وعلى القبّعة على وجه الخصوص، عبارة مكتوبة باللغة العربية، سأل المديرَ المرافق له إن كان يدري ما تعنيه العبارةُ هذه، فأجابه بأنها زخرفٌ من "الأرابيسك"، وكم كانت دهشته عظيمةً عندما قال له: العبارة عربيةٌ وتقول: "لا إله إلاّ الله".

twitter @baghdad_library

البابا "سيكْستوس الرابع" وسط ابن أخيه وأتباعه، وهو يكلف "بلاتينا" برئاسة أمانة مكتبة الفاتيكان الجديدة.

twitter @baghdad_library

فتيانٌ جميلون، رجالٌ ذوي شخصيات (قوية)، شيوخٌ ذوي هيباتٍ، نساءٌ جذّابات.

كلهم يرغب لو أن حياته تستمر في هذا النّصب المعماري (الخالد)، كما لو أنهم كانوا يستشعرون أهميته العالمية، التي تم الحفاظ عليها (فعلاً).

صور الباباوات كانت معروضةً في الأعلى، بين اللوحات الجدارية،

وأرادت أن توثّقَ للعلاقة المستمرة ما بين بطرس وحتى البابا سيكْستوس الرابع، لتردّ بذلك على الانتقادات العديدة، لمن زعم بأن الباباوات لم يحافظوا على الأمانة في وظائفهم.

مثل معرض الصور هذا للأجداد الأمجاد، لم يكن باستطاعة أيّ حاكم على الأرض أن يقدّم مثيلاً له.

ويتابع المؤرخ "باستور" قائلاً:

"في مثل هؤلاء الرجال، استطاعت فكرةُ خِلافة المسيح أن تجد لها تجسيداً"

أما التتويج الفنيّ لهذه الكنيسة، فقد جاء بعد عقود (من بنائها)، على يد الفنان العبقري "ميخائيل أنجلو"، من خلال رسمه قصة الخلق والتكوين على قبّة الكنيسة، و(مشاهد الدّيْنونة) محاكمة القيامة على واجهة الجدار الأمامي.

تكليف الفنان "ميخائيل أنجلو" برسم مشاهد القبّة، جاء من قبل "جوليانو دي ريفيره ـ J. de Revere"، الذي يحمل لقب

"البابا يوليوس الثاني — **Julius II**"، الذي أراد من خلاله أن يكْملَ عملَ عمه البابا "سيكْستوس الرابع" ـ "رأسُ العالم الرومانيّ الجديد — **Caput Mundi**"

في رعايته (للفن)، كان البابا "سيكْستوس الرابع" مشهوراً، بسبب الحرية غير المعقولة ـ على حد تعبير معاصريه ـ التي كان

يمنحها إلى الفنانين والعلماء في روما.

لقد أيقظَ الأكاديمية الرومانية إلى حياة جديدة، بعد أن كان سلَفُه البابا "باول الثاني ـ Paul II" ـ بولس ـ قد منعها، لأن (المفكرين) ذوي النزعة الإنسانية مثل: "بارتولومِيو بلاتينا — B.Platina"، و"ديميتريو دي لوكا — D. de Luca"، كانا من المشاركين في مؤامرة ضد البابا.

اللقاءاتُ (الأكاديمية) في "الكويرينال ـ Quirinal"، كانت تضم النّخبةَ المثقّفة.

البابا "سيكْستوس الرابع" لم يقم بملاحقة المعارضين له، الذين كانوا يقدمون لوائح طويلة عن ذنوب الباباوية.

(عالم اللاهوت) "بلاتينا"، "الرأس المدبّر للمعارضين"، عيّنه البابا أميناً على مكتبة الفاتيكان الجديدة، وكلّفة بأن يُنشيء مجموعةً تضم حقوقَ الكرسيّ الباباويّ، وأن يؤلف عملا أكاديميّاً عن حياة الباباوات.

كان البابا "سيكْستوس الرابع"، ينظرِ إلى (حركة) النزعة الإنسانية على أنها (مجرد) حركة أدبية لا تشكّل خطراً على الدين.

إنّ صبر البابا وتسامحه مع الحركات الفكرية المعارضة، كانت حركة شطرنج ذكية منه، ليبعد خطرها عن حكمه[14].

توفي البابا "سيكْستوس الرابع" بتاريخ 12 / 8 / 1484.

حول وظيفته البابوية كتب "لودفيغ باستور" ما يلي:

"داخلياً (نفسياً) أيضاً، صعد الرجل البسيط (الرئيس السابق للتنظيم الفرنسيسكاني)، إلى مرتبة الأمير اللامع، بعد أن نزع عنه كلَّ ما يحُدّ من طيرانه ليصبح ملك الرعاية (للعديد من المشاريع).

---

(14) **ملاحظة من المترجم:**

(في كتابي الموسوم بـ **"الأدب الجرماني من البدايات حتى اليوم"**، الذي أنجزت منه حتى الآن حوالي ألف صفحة، لاحظت أن التحرر النهائي من سيطرة الكنيسة وغيرها من الجهات الوصائية على عقل إنسان نهاية العصر الوسيط الأوروبي – القرن 15 – قد ابتدأت مع مثل هذه الحركات الفكرية والأدبية، التي أفضت إلي عصر النهضة. الأمر إذن كان غير ذلك، كما رأينا في العصور اللاحقة).

twitter @baghdad_library

عندما يلاحق نظرُ المرء تقدّمَه الدّؤوبَ، المستمرّ دون راحة نحو الأمام، ليرى كيف يحاول ببطءٍ ودون إحباطٍ، أن يُنقذَ عاصمة المسيحية (روما) من التفكّك، ليعيد إليها ألقَ الماضي، (عندها) تصبح الظّلالُ السوداء، التي ألقَت الكثير من نقاط الضّعف الخطيرة على صورته، أقلّ قَتامةً، وإنْ كانت لن تنمحي أبداً عن ذلك الذي رأى في البابابوية أكثرَ من مجرد إمارةٍ أرضيةٍ.

ابتداءُ العصر الذّهبيّ للباباوات الملوك

Das goldene Zeitalter

Der Papstkoenige beginnt

منذ البدء، كان لدى البابا الجديد شريانٌ (حسٌّ) لسياسة القوة، وكان رجلاً ذا رؤى كبيرةً، (يرى أنه) على روما أن تعودَ لتصبح من جديدٍ رأس العالَم، والمركزَ المتَوّج لإمبراطوريّته البابوية الطامحة إلى التّوسع.

"سيكْستوس الرابع" أمَر ببناء الجسور والشوارع، الكنائس والمشافي، وأخذ يجهّز روما بذلك البَهاء السّماوي، الذي لا يزال يَسِمُ صورةَ الباباوية حتى اليوم.

أسّس مكتبةَ الفاتيكان التي تحتوي علي أثمن كنوز تاريخ الكنيسة. أحضر إلى روما أكبر الفنانين لإنجاز الكنيسة السكْستينية، التي تقام فيها الخَلوة (لانتخاب البابا الجديد)، حتى اليوم[15].

مع "سيكْستوس الرابع"، ابتدأ العصرُ الذّهبيّ للباباوات الملوك، الذين كان هدفهم الرّئيس (زيادة) عظَمة عائلاتهم.

المَجدُ والعَوَزُ، القيَمُ العليا والخداعُ، كلها كان بعضُها قريباً من بعض.

عندما قام، بعد عقودٍ، (الفنانُ الشهيرُ) "ميخائيل أنجلو" بإكمال العمل على قبة الكنيسة، من خلال تصويره مَشهدَ محاكمة القيامة (الدّيْنونة)فيها، كان يَضع مرآةً أمام (وجه) حقبة من الجَشع والعنف.

---

(15) **ملاحظة من المترجم:**
(عندما يكون الانتخاب ناجحاً، يُطلقون من المدخنة دخَاناً أبيضَ، وإلاّ فسيكون الدّخَانُ أسودَ، ليعرف المجتمعون أمام الفاتيكان النّتيجةً).

twitter @baghdad_library

من ألدّ أعداء البابا،كان "لورِنْزو دي ميديتشي"، الذي كان يحكم في فلورينز مثل زعماء المافيا.

إنه شاعرٌ حسّاسٌ ورجلُ أعمال صلب جداً، (في آن واحدٍ معاً).

عندما استلَم الحكمَ، بعد وفاة والده، كان عمره 21 عاماً، وكانت فلورينز عاصمةَ المال القوية في عصر النهضة الإيطالي.

هنا (في فلورينز)، سيطَرت نخبةٌ من نبلاء المال الجُدد، الذين كانوا يشترون إمارات بكاملها، وما يلزم من قوَات لحمايتهم.

(عائلة) ميديتشي وصَلت إلى الحكم عن طريق التلاعب بالانتخابات. كانوا يشترون بالمال في البدء، وعلى مدار أجيال عديدة، ولاءَ العائلات القائدة والحِرْفيين وأصحاب الحوانيت، ثُم تمكنوا بالخديعة من التحايل على دستور الجمهورية، وقاموا عن قصدٍ بالسّيطرة على مجلس الشّيوخ (سينات) المؤلّف من تسعة أفرادٍ، بحيث أصبح لهم القول (الحاسم) في أمور السياسة.

هناك ثلاثة آلاف شخص في فلورينز، ممن يحقّ لهم (نظرياً) الترشيح لهذا المنصب المرموق (مجلس الشيوخ)، ولكن الميديتشي يعملون على أن لا يصل إلى جراب (صندوق) الانتخاب، إلا سبعين اسماً فقط، من أتباعهم الموالين لهم بالمطلق. هكذا يخرجُ كلّ شهرين، بعملية تشبه اليانصيب، عددٌ جديد من أصحاب السلطة المتنفذين في المدينة، القادمين من فلَك الميديتشي، والذين يَدينون لها بالوفاء.

العدد اللازم من (هؤلاء) الحلفاء والموثوق بهم، كانت العائلةُ تقدّم لهم، على الدّوام، ما يُبرهن عن دعمها لهم: من خلال زواجٍ مدَبّر، أو إرسالهم كمبعوثين (دبلوماسيين) إلى البلاطات الأوروبية، أو إدخالهم كأعضاء في تنظيماتٍ أخَوية دينية (أو سرية كالماسونية)، ومدّهم بالقروض السخية.

خلال ذلك، كان حجمُ أعمالهم التجارية (والمالية) مع البابا، يصل إلى الثلثين (من مجمل تجارتهم).

(البابا) "سيكْستوس الرابع" يحتاج، في هذا المُناخ السياسي أيضاً، إلى رفاق طريق موثوقين ليدعموا سلطته، وبهذه الحجة جعل من (مبدأ) مُحاباة الأقرباء "نيبوتيسْموس ـ **Nepotismus**" أساساً لحكمه.

لقد جعل ستّةً من أبناء عائلته الشخصية في منصب كاردينال، وثمة واحد آخر يدعى "جيرولامو رياريو ـ G. Riario"، كان بائع خضارٍ، جعله يحمل لقب "غراف" (النبيل).

إن مشاركة (الباباوات) أقرباء دمهم في التقدّم (الوظيفي والاجتماعي)، هو تقليدٌ قديمٌ محتَرمٌ (في تاريخ الكنيسة)، ومَن ينسب نجاحَه لنفسه فقط، يجعل الآخرينَ يشكّون باقترافه خطيئةَ العجرَفة الكبيرة.

لكن تحت (حكم البابا) "سيكْستوس الرابع"، وصلتْ محاباةُ الأقرباء إلى أبعادٍ جديدة تماماً (غير مَسبوقةٍ).

"(البابا) "سيكْستوس الرابع" أراد رؤيةَ أقربائه الذين جاؤوا من الحضيض، بين الأمراء" هذا ما قاله المؤرخ المختص بعصر النهضة، البروفيسور "فولكر راينْهارد" (وتابعَ): "لم يستطع سيكْستوس إضفاء الشّرعيّةِ على هذا الصعود المذهل (لأقربائه)، إلاّ من خلال تصوّره بأن عائلته، بعد انتخابه لمنصب البابا، قد ارتَفعَت معه (تلقائياً)"

ابن أخيه المحبب "بيترو رياريو"، الذي كان قد تَربّى، مثل عمه (البابا)، عند الفرنسيسكان (المتقشّفين)، قام، بعد تولّيه منصبه بأشهر قليلة، بمنحه الرّداءَ الأُرجُوانيَّ (رداءُ الكرادلة).

بعض المصادر تعتبره ابناً لـ (البابا) "سيكْستوس الرابع":

"**Filius Sixti Papae I**"، لكن هذه الشائعات التي تتوهج بين وقت وآخر، لا يمكن البَرهنة عليها حتى اليوم، ولا يتلاءم مثل هذا، بسبب مبدأ العفة

twitter @baghdad_library

(البَتولية، الامتناع عن الزواج ـ الزّوليبات)، مع مثل هذا المنصب الكنَسي الرفيع[16].

أغدقَ (البابا) "سيكْستوس الرابع" العطاءَ والهبات الضرائبية على الكاردينال الشاب (ابن أخيه) البالغ من العمر 25 عاماً، حتى أصبح أغنى رجل في روما، يرتدي ثياباً أفخر من ثياب الأمراء، ويعيش في بذخ وتَرف.

إنّه يقيم المآدبَ "الباخوسيّةَ" الأسطوريةَ ـ (نسبة إلى إله الخمر واللذة عند الرومان، باخوس) –، و يُزيِّنُ فيها الطعامَ بالذّهب والفِضّة.

(المؤرخ) "لودفيغ باستور يكتب عنه في كتابه الموسوم بـ: " تاريخ البابوات منذ بدءِ العصرِ الوسيط":

"بطريقة خالية تماماً من الأدب، محتَقِرة للمشاعر الأخلاقية، قام (حديث النعمة) الصاعد هذا، بنثر اللآلئِ على عشيقته، من رأسها حتى قدميها"

جنون العَظمة، عند ابن أخي البابا، انعكس في المأدبة الفاخرة التي أقامها على شرف الأميرة (الإسبانية) "ليونورا فون أراغون"، التي قُدّم فيها 24 نوعاً من الأطعمة، من بينها الحيوانات البرية المشوية في جلودها، مالك الحزين المَشوي في ريشه، وأيضاً الدب، بحجمه الطبيعي العملاق، مصنوعاً من الحَلوى.

(في المأدبة) دخلت "فينوس"، جالسة على عربة تجرّها طيور التَّمّ (التي تترجَم خطأً بالبجع)، وثمة فتى يغني باللاتينية ليُسعد الحضور (منشداً):

"هبطتُ إلى الأرض تلبية لرغبة كبير آلهتنا، لأُعلمكم بالخبر السعيد: إن" جوبتر "شخصياً يجلس إلى مائدتكم"

الراهب الشّحاذ (سابقاً)، الجالس الآنَ على عرش البابا، يغضّ الطّرف عن التبذير عند ابن أخيه.

---

(16) (الحجة واهية وغريبة بالنسبة لي، ولا سيما أن العديد من الكتب، ومنها الألمانية تشير إلى ورود مثل هذا كثيراً، ولا تزال في روما اليوم عائلةٌ مرموقة (كيتاني) تفتخر بأنها من نسل أحد البابوات). (المترجم)

"التّبدلُ الذي مرّ فيه (البابا "سيكْستوس الرابع") مُذهلٌ. لقد كان، كراهب فرنسيسكانيّ، يعظ طوال حياته بالفقر، ولكنه لم يكدْ يتسلم وظيفته،إلاّ وراح ينفق النقودَ بكِلتا يديه"

هذا ما كتبه المؤرخ "راينهارد" عنه.

هناك لوحةٌ شهيرة للفنان "ميلوزّو دا فورلي" توضحُ مبدأَ حكم البابا، المُختَلف حوله، وتظهره كشيخ مَهيب في أوساط ابن أخيه المحبب (إليه)، حيث يجلس (البابا) "سيكْستوس الرابع"، وإلى جانبه يقف، كممثلين عن الكنيسة، كلّ من الكاردينالين:

"بييترو رياريو" و"جوليانو ديلا روفيره" ـ الذي أصبح بعد ثلاثة عقود البابا المحارب "يوليوس الثاني" ـ.

خلْفهم يقف ممثلا السلطة الأرضية، "غراف جيرولامو" والعُمدة "جيوفاني ديلاّ روفيره"، وهما من كبار موظفي السلطة في روما، ويحملان حول عنقيهما سلاسلَ الوظيفة الثقيلة، وينظران إلى البعيد.

(في اللوحة) يركع أمام البابا، المفكرُ "بلاتينا"، ذو النزعة الإنسانية وخادمه الأمين (المعارض السابق) وأمين مكتبة الفاتيكان الجديد.

"من الصعب، عند (البابا) "سيكْستوس الرابع"، الفصلُ بين ما هو دعائيّ وما هو معتقَدٌ قويّ"

هذا ما قاله عنه البروفيسور "مارسيللو سيمونيتّا" (الأمريكي المعاصر)، الخبير العارف بتلك المرحلة،وتابع يقول:

"لقد حاول (البابا) في البدء، المحافظةَ على صورته كرجل عميق التّديّن، متواضعٍ يريد أن يكون محبوباً، غير أنه دخل التاريخَ كأكثر الباباوات عدوانيةً"

المقرّبون المدعومون من البابا، لم يكونوا أعمدةً داعمةً لحكمة. إنهم من الشباب المتعَجرف، ولا خبرة لديهم. يطالبون دوماً بالأفضلَ (لهم)،

twitter @baghdad_library

ويستغلون طيبتَه دون خجلٍ، بحيث أصبح كرَمُه يهدّد بأن يصبح مأزقاً قاتلاً له.

"لقد أصبحتْ محاباةُ الأقرباء تؤثِّرُ، بشكل متزايد، على قرارات الحكومة، حتى أمست هدفاً بحد ذاتها"

هذا ما قاله (الباحث) "راينهارد" عن المرحلة.

مؤرخٌ آخر يتحدث عن "بييترو رياريو" - (ابن أخي البابا) —، قائلاً:

"هو أول كاردينال سَيطَر على كنز البابوية، وهو يدير البابا حسب هواه"

(البابا) "سيكْستوس الرابع" كان مستعداً حتى لأن يتخلى له عن كرسي بطرس (وظيفته كبابا)، غير أن الأمر لم يصل إلى هذا الحد:

"بييترو رياريو" توفي عن عمر 28 عاماً. يقول البعضُ أنه توفى بالسُّم الفينيسيانيّ، ويقول آخرون بسبب إفراطه في الملذات.

أخوه "جيرولامو" حلّ مكانه كمحبب مدلل من البابا (عمه)، ودفع بالبابا إلى أكبر أزمةٍ عرفها حكمه.

عندما حاول (البابا) "سيكْستوس الرابع" أن يشتري للغراف

(ابن أخيه) مدينةَ "إمولا ـ Imola" (الإيطالية)، ابتدأ العَداءُ القاتلُ بينه وبين عائلة ميديتشي.

العلاقةُ مع (عائلة) ميديتشي

Die Beziehung zu den Medici

في البداية، بدَت علاقاتُ البابا مع "لورينزو دي ميديتشي"، وكأنها تقف تحت نجمٍ جيد.

بعد تسلُّم البابا لمنصبه بوقت قصير، وكان له من العمر 57 عاماً، استَقبل رجلَ البنوك الشاب (لورينزو) القادمً من فلورينز، وكان عمره 35 عاماً. لم يكن اللقاءُ من أجل (منحه) البركةَ بل من أجل المتاجرة الحادة، وتحديد مواقع الطرفين فيها.

"لورينزو" يريد أن تتزيّن عائلته بالوظائف الكنَسية، لتثبيت سيطرة العائلة (على جمهورية فلورينز)، التي يراها الكثيرون غير شرعية، والحصول لأخيه "جوليانو" على القبّعة الحمراء (أي على منصب الكاردينال).

المؤرخ "مارتِنيس لورينزو" يعلل ذلك (كالتالي):

إذا حصل نزاعٌ جديّ علي السلطة في المدينة الواقعة على (نهر) "أرنو" (فلورينز)، فستتمكن عائلةُ ميديتشي، من خلال القوة العليا (منصب الكاردينال)، أن تُضفي بعض الشرعية على حكمها المخالف للدستور.

بينما كان (البابا) "سيكْستوس الرابع" بحاجة إلى الأموال، ليشتري بها لأقربائه ومحبيه الأمارات، ولتتوسّع (بذلك) حدودُ دولة الكنيسة.

في لقائهما الأول، كان من السّهل على (الشاب) الجذّاب عالي الثقافة "لورينزو"، أن يكسبَ ودَّ البابا.

البابا الفرنسيسكاني الأصل، شديد التديّن، الذي لا يفقه كثيراً من شؤون الحكم، ربما كان منبهراً من هذا الميديتشي المُجيد للكلام، الذي تعلّم الحُكمَ منذ صغره.

إنه يتحركْ، دون اكتراث، على المسرح السياسي، واثقاً بنفسه، فيقابله (البابا) "سيكْستوس الرابع" برضاً أبوياً، ويهدي إلى

twitter @baghdad_library

"لورينزو" ـ وهو من عشاق الفنون الجميلة ـ تمثالين نصفيين أثريين من المرمر، ويفتح أمامه مصدر ثراءٍ جديد:

الحبر الأعظم يكلّف فرع بنك الميديتشي في روما، بالقيام بالتعاملات المالية البابوية.

(برغم ذلك) كان النزاعُ بينهما مبَرمَجاً (مسبَقاً).

(البابا) "سيكْستوس الرابع" كان قد ارتأى منذ زمن حجز المناصب الكنَسية العليا لابن أخيه "بييترو روراريو"، وفوق هذا قام بتعيينه بطريركاً على فلورينز، (مما يعني) تصادماً مباشراً مع الميديتشي، لأن "جوليانو" لن يحصل على الأُرجُوانيّ (رداء الكرادلة).

"لورينزو" ـ (ميديتشي) ـ يرمي الآن بكل ثقلِه في محاربة مبدأ محاباة الأقرباء، حتى يمنع إبن أخي البابا من أن يَحكم كملكٍ، ولو على حساب وحدة الكنيسة.

قال "لورينزو" لاحقاً:

"من مصلحة أمثالي أن تتوزع السلطةُ، وإن كان من الممكن (تحقيق) ذلك، دون إثارة الرفض، فإن وجود ثلاثة أو أربعة باباوات أفضل من وجود واحد فقط"

التهبَ صراعٌ حول مدينة "إمولا ـ **Imola**"، التي رغب (البابا) "سيكْستوس الرابع" بشرائها من "سْفورزا ـ **Sforza**"، حاكم مدينة ميلانو، كي يصبح عند ابن أخيه مملكته الصغيرة.

الرّائعُ "لورينزو" يريدُ، لأسباب إستراتيجية، أن تؤمّن المدينةُ (إمولا) سلامةَ فلورينز، ولهذا يمنعُ عن البابا قرضاً (لشرائها) بقيمة أربعين ألف "دوكات"

لكن ما يمنعه عنه الميديتشي تؤمّنه له (عائلةُ) "بازّي ـ **Pazzi**"، وهي من ألدّ أعداء الميديتشي في الصراع على السلطة في فلورينز، ولا سيما أن بنكهم أصبح الآنَ بنك التعامل المالي للبابا، وهو مركز مغر.

لكن ما هو أسوأ من هذا بالنسبة لسمعة لورينزو، كان أمرُ البابا القيام بالتدقيق في سجلات البنك، ووضعه بذلك دون سببٍ، في موقع الشكّ والاتهام بالقيام بأعمال مالية مشكوك بنزاهتها.

قامت (عائلة) "بازّي" بإقراض البابا المالَ اللازم لشراء (مدينة) إمولا، وأرسلوا له المبالغ بواسطة "فرانسيسكو سالفياتي"، وكان الحبر الأعظم قد عيّنه بطريركاً على (مدينة) بيسا، وهي الوظيفة التي كان يشغلها دوماً أحدُ المقربين من عائلة ميديتشي.

"سالفياتي هو صديق للغراف رياريو (إبن أخ البابا)، وعنده مشاريع كبيرة، لأنه يرغب الحصول على الطاقية الحمراء (منصب البابا)، ويريد الحصول على مقاطعة فلورينز الغنية، لكن لورينزو كان يقف في طريقه.

لا أحد اليوم يستطيع أن يقول، من كانت لديه أولاً، فكرةُ اغتيال حكام المدينة (الميديتشي) الواقعة على نهر أرنو (فلورينز). الدلائل تشير إلى (تورّط) "جيرولامو روراريو" بالأمر، لأنه كان يخشى على ملكيته في إمولا، طالما أن الميديتشي في فلورينز يتحكمون بخيوطها (سياستها)، ولهذا فإن فرصته الوحيدة هي في تصفية لورينزو وأخيه (جوليانو).

في هذه الأثناء كان (البابا) "سيكْستوس الرابع" قد وصل إلى الكهولة وعمره الآن ستون عاماً. الغراف (إبن أخيه) لا يريد أن ينتَظر البابا الذي سيخلف عمه، والذي لن يخاطر بحرب مفتوحة مع فلورينز، من أجله. لكن من المؤكد أن الاتفاق مع البابا (بهذا الشأن)، قد حرّك مؤامرةً ذات نتائج خطيرة.

في جناح بطريرك بيسا في الفاتيكان، يدعو غراف "جيرولامو رياريو" إلى لقاءٍ تآمريّ، استطاع فيه إقناعَ (عمّه - البابا) "سيكْستوس الرابع" بالانقلاب على (عائلة) ميديتشي، كما يحب كسب (عائلة) "بازّي" (عدوّة الميديتشي) لهذا الانقلاب، وكُلِّفَ بهذه المَهمة غراف مونتيسيكّو.

(الباحث المعاصر) "مارشيللو سيمونيتّا"، كشف منذ ثلاثة أعوام (2005)، عن أن البابا كان من ضمن الفاعلين في هذه المؤامرة، وهو ما اكتشفه هذا العالِم الشهير، الذي يعمل في جامعة كونّيتيكت (الولايات المتحدة الأمريكية) عن طريق المصادفة، عندما كان يبحث في أرشيفٍ خاصّ في (مدينة) أوربينو فعثر على رسالةٍ مشفّرة، كان قد كتبها أقوى قائد مرتزقةٍ في إيطاليا (المدعو)

twitter @baghdad_library

"فيديريكو دي مونتِفلترو ـ F. de Montefeltro" إلى سفيره في الفاتيكان بتاريخ 14 / 2 / 1478، بعد شهرين من حادثة الاغتيال في الكاتدرائية.

(الباحث المعاصر) "مارشيللو سيمونيتّا" كان متأكداً من أهمية الرسالة ـ (وحسب قوله):

وإلاّ لم تك الرسالة مشفّرةً. غير أني أصبتُ بخيبة أمل صغيرة، لأنني لم أتمكن من فكّ رموزها. أما الجزء غير المشفّر فيها، فلم يكن يشير إلى شيءٍ هام مثير، حيث يشكر فيه "فيديريكو" البابا على هديّة كان قد أرسلها له.

"فيديريكو دي مونتِفلترو" كان أنجح قائد مرتزقة في عصره، وأعلاهم أجراً، وكان يضع قواته في خدمة أولئك الذين يؤمّنون له أكبر ربح وسلطة سياسية.

لقد خدم عائلة ميديتشي طويلاً بدعمها عسكرياً ، والآن يستلم النقود من البابا (عدوهم).

عندما يحلّ في روما، يسكن في الفاتيكان، في الطابق الواقع فوق جناح البابا مباشرةً، وهذا امتياز نادر.

لوحة تصوير وجهه جانبياً، ذات العكوفة الشديدة في جذر أنفه، خلّدها الفنان "بييرو ديلا فرانشيسكا"، وكان وجهُه الأكثر تصويراً في عصر النهضة من قِبل الفنانين، وكان يحب ويرعى الفنون.

قال عنه سيمونيتّا:

"فريدريكو يجسّد مثال إنسان عصر النّهضة، وهو سياسي مرهوبٌ، وكذلك رجُل النزعة الإنسانية المثير للإعجاب، وهو يملك قصراً رائعاً ومكتبةً خياليةً. الخير والشّر، الحرب والسّلام، كلها تتوحد في شخصه، على ما يبدو"

مثل البابا سيكْستوس الرابع، يُحقق (القائد) مونتِفلترو نجاحاً مِهْنيّاً باهراً، وهو ابنٌ غير شرعيّ للغراف (الحاكم) في مدينة أوربينو.

"كلاهما جاء من العدم، ووصل الذّروة"

هكذا يقول سيمونيتّا عنه، وعن أسباب العلاقة القوية بين (البابا) "سيكْستوس الرابع" وقائد المرتزقة، يتبع ويقول:

(البابا) "سيكْستوس الرابع" نجح في عام 1474 في ربط قائد المرتزقة به، بعد أن جعل من (بلدة) رجل الحرب المنتصر الجميلة أوربـينو، ذات القلعة الضخمة، إمارة أعلى مرتبة، من نوعِ "Herzogtum"

كطقس أجرائيّ (سيروميني)، ركع القائدُ فريدريكو أمام البابا وقبّل له يديه وقدميه، وأقسم له قسَم الولاءِ.

الزواج بين "جيوفانّا" ابنة القائد وبين "جيوفاني ديلاّ روفيره"، ابن أخي البابا، قوّى من هذا التحالف، وحقق التلاحم بين المال والسلطة، وجلب الربح لهما.

(الآن عودة إلى الرسالة الغامضة المشفّرة):

سيمونيتّا يحاول فكّ الرموز الغامضة بحدسٍ استخباراتي، (ولا سيما) أن له خبرة في مثل هذه الكتابات، ولكن رسالة مونتيفيلترو إلى البابا تشكل له تحدّياً كبيراً، قضى فيه الليالي الطوال، محاولاً فيها فكّ الرموز.

كان عليه أن يعرف أولاً، فيما إذا كانت الرسالة قد كتبت باللغة الإيطالية أو باللاتينية، معتمداً بذلك على مقارنة عدد الأحرف الصائتة بالنسبة للأحرف الصامتة، ففي اللغة الإيطالية يكون عدد

الأحرف الصائتة أكثر.الباحثُ يرقّم ويحصي الأحرف المشفّرة، مما أدى إلى ظهور نسب توحي بأن اللغة (في الرسالة) ليست لاتينية.

الصعوبة الثانية كانت في كتابة الكلمات متّصلة ببعضها بعضاً، من دون وجود فراغات فيما بينها، مما أدى إلى صعوبة معرفة بداية ونهاية الكلمة. الرموز تشير إلى الأسماء، وبعض الأحرف كان مشفّراً مرتين.

استغرق عمل الباحث شهوراً، حتى لفت انتباهه وجود علامات تحتوي على أربعة صوائت، فتمكّن أخيراً من إعادة تشكيل الكلمة المشفّرة: "صاحب القداسة ـ La sua santita"

البابا (إذن) هو المفتاح. الآن يستطيع الباحث فكّ كلمات الرسالة المشفّرة واحدة تلو الأخرى.

twitter @baghdad_library

ولكن ما هو مضمون الرسالة؟

قائد المرتزقة: "فيديريكو دي مونتِفلترو" هو الشخص الذي خطط معه البابا سيكْستوس الرابع، الانقلاب في فلورينز، بكل تفاصيله، وهو الذي غدا اسمه أسودَ عند الميديتشي، (وبخاصةٍ) بعد اعتراف "غراف مونتيسيكّو" (المشارك في الاغتيال)، ولكنهم لم يتجرؤوا على اتهام قائد المرتزقة (الرهيب)، لأنه ليس مجرد حاكمٍ ـ هيرتزوغ ـ على مقاطعة أوربينو، ولا مجرد جنرال كبير فحسب، ولكن لكونه أكثر الأمراء الإيطاليين احتراماً، حتى أنه يُعتَبر رمزاً وطنياً كبيراً، ويأمر قواتٍ عسكريةً شديدة البأس، ولا أحد يريد أن يكون عدواً له.

في رسالته (المشفّرة) إلى البابا سيكْستوس الرابع يلحّ قائد المرتزقة، الذي كان قد طُلب منه أن يهيئ جيشَه للانقلاب، على ضرورة السرعة بالتحرك العسكري، لأن المؤامرة كانت قد خُطّطت منذ زمن طويل، والكثيرون متورطون فيها، وهناك خطرٌ بوصول المعلومات عنها إلى الميديتشي، وهو ما سيثير غضبهم على البابا.

لقد تم الاتفاق بين البابا وقائد المرتزقة فريدريكو، حتى على الأجر (الذي سيُدفع له) وهو ضمانة البابا بأن يمنحه لقب الأمير، القابل للتوريث، وأهدى إليه سِلسِلةً ذهبية، كرمز، ليعطيها لابنه.

يقول (الباحث) سيمونيتّا: "لُغة الرسالة باردة جداً، ومدروسة بدقةٍ"، في نهايتها يُذكّر القائدُ البابا بأن عليه ديوناً يجب الوفاء بها، (ويتابع):

"لقد كانت صفقة تجارية، وأنّ موت البعض خلالها، هو جزءٌ من الصفقة"

عندما علمَ البابا بفشل الانقلاب، أخذ يزبد غضباً.، وأعلنَ الحرب على الميديتشي، ووعد كلّ من يحمل السلاح ضد فلورينز (ضد الميديتشي) "بغفران كامل ذنوبه"

في الساعات والأيام التي تلت عملية الاغتيال في الكنيسة الكبرى (دوم)، كانت المدينةُ الواقعة على نهر أرنو (فلورينز) أشبه بقِدْرٍ للجان (في هرْجٍ ومرْجٍ).

لورينزو (ميديتشي) يجمع قواته ويدعو للثأر. لقدً تمكن عملاؤه من إلقاء القبض على معظم المشاركين في المؤامرة، وبعد اقتحامهم قصر "بلازّو ديلا سينيوره، ـ مقر بطريك بيسا ـ قاموا بإعدام كلّ مساعديه وألقوا بهم من النوافذ.

الحشد الهائج الذي تجمّع في الساحة، نزعَ عن الموتى ثيابهم وقطّعوهم إرْباً إرْباً، وحملوا أطرافهم على الرماح وجابوا بها المدينة كالغنائم.

"استناداً إلى التعاليم المسيحية فيما يتعلّق بالروح، والاعتراف المذهبيّ، والزّيت (المَسح) الأخير (للموتى)، والدفن في أرض مباركة، كانت أعمال التقطيع هذه، تعتَبر فضيحةً ضد النظام العُلويّ"

هذا ما عرَفه (كتَبه) "لاورو مارتينيس"، حيث لا يمكن التفكير بحصول ما جرى بمعزل عن (موافقة) نظام الميديتشي عليه، لأن ما فعله الجناةُ يتطلب عقوبةً أكبر من الموت.

في يوم الاعتداء وحده، تمّ ذبحُ مئة سجين تقريباً، طلباً للثأر.

رجُلا الدين، اللذان حاولا اغتيال لورينزو، وجدا مشنوقين ومشوّهين في أحد الأديرة.

الغراف مونتيسيكّو، الذي اعترفَ بجرمه، قطعَ رأسُه في مساء اليوم نفسه. حتى القاتل المُستأجَر "بانديني" تمّ القبضُ عليه، من قبل المطاردين التابعين للميديتشي، لكنه تمكّن أولاً من الهرب إلى بلاط السلطان في القسطنطينية، غير أنّ دبلوماسيي فلورينز تمكّنوا من الحصول عليه (ونقله إلى فلورينز)، حيث شُنِق هناك على تصالب نافذةٍ بتاريخ 1479/12/29، متأرجحاً، لعاره، وهو يرتدي الثيابَ التركية الفضفاضة (؟!).

بين الحشود (التي كانت تشاهد الشّنقَ)، وقف (الفنانُ) "ليوناردو دي فنشي"، وكان يدخل ويخرج (متى شاء) إلى بلاط الميديتشي، فقام برسمٍ سريعٍ (كروكي) للمشهد، استَعمله لاحقاً، بالحجم الطبيعيّ للقاتل، في إنجازٍ لوحةٍ جداريه ضخمة رسمها في (بناء) محكمة فلورينز.

هذا المشهد، أثار سخطاً شديداً عند البابا سيكْستوس الرابع: هذه الإهانات لم ينج منها بطريرك بيس (الذي شُنق أيضاً).

الرسام "ساندرو بوتشيللي"، الذي يعمل أيضاً عند الميديتشي، كُلِّف برسم لوحةٍ مُهينةٍ (للبطريرك) المقتول على واجهة قصر الحكومة، وكُتِب إلى جانب هذا المشهد المريع، ربما بأحرف كبيرة، اسم المشنوق، وأبيات شعرية ساخرة (عنه).

twitter @baghdad_library

قائد المرتزقة: "فيديريكو دي مونتِفلترو"

twitter @baghdad_library

أنْ يتمَّ شنقُ أحد كبار رجالات الكنيسة بزِيه الرسمي، هو في نظر البابا تدنيسٌ للقدسية وإهانةٌ للكنيسة.

إن قيام البابا سيكْستوس الرابع، بعدها بأعوام، بتكليف الفنان "بوتشيللي بالذات، برسم اللوحات الجدارية في الكنيسة السّيكستينية (التي تحمل اسمه)، يَدلّ على شخصيّته، معقدة التركيب.

بعد مذبحة فلورينز، لا يمكن لأحدٍ أن يتوقع وجود التسامح. ما أثار غضب البابا سيكْستوس الرابع، هو قيام أهل فلورينز باحتجاز ابن أخيه، رفائيل سانسونِي رياريو، كرهينة، تحسّباً لانتقامٍ محتَمل من البابا.

إلى أي حدٍ كان كاردينالُ سان جيورجيو، وعمره سبعةَ عشر عاماً، متورطاً في المؤامرة، فهذا أمرٌ جداليّ. بعد الاغتيال في الكاتدرائية، انهار وأخذ يصلي بحرارة أمام المذبح، إلى أن وجده بعضُ رجال الدين.

بعضُ مرافقيه من الكهنة والفتيان المنشدين، قام الناسُ المتهيجون بقتلهم، وبنزع ثيابهم والتّمثيل بهم بقسوة.

في شهرِ حزيران من عام 1478، دخلَت قواتُ الهيرزوغ (قائدُ المرتزقة إياه، مدينةَ) أوربينو، وتوغلت عميقاً في أراضي مقاطعة فلورينز، برفقة قوة حربية تابعةٍ للبابا.

البابا سيكْستوس الرابع، أعلن الحرمان (الكَنسي) على الميديتشي، ووصف لورنزو بـ "صانع الشّر الرهيب"، وأمر المسيحيين المؤمنين بتحاشي العلاقات الاجتماعية معه ومع مستشاريه، حتى لا ينتشر كفرهُم المهين.

منع البابا الميديتشي من المشاركة في الصلاة وفي الطقوس القدسية، ومنع رجال الدين في فلورينز ـ تحت طائلة العقوبة ـ من تقديم أية خدماتٍ دينية لهم.

في الإعلان البابوي (بولّه) الذي حرم فيه البابا لورنزو كنَسياً، وردت لوائحُ طويلة تتحدث عن نكث بالعهود وعن تجاوزاتٍ من قبل لورنزو (ميديتشي)، جاء فيها ما يلي:

رفضه بشدة تسمية سَلفياتي في منصب بطريرك فلوري نز ـ اعتراضه على عملية بيع (مدينة) إمولا ـ دعم الثائرين على البابا.

الحِرمانُ سيظلّ قائماً إلى أن يتم الإفراجُ عن (إبن عمه الرهينة) البطريرك سانسوني رِياريو، وتحقيق مطالب أخرى.

(بعد أن تم إطلاق سراح البطريك)، ووقف الشاب ذو الرداء الأرجُوانيّ شاحباً في روما، لم يف البابا (عمه) بوعده، وأبقى الحصارَ على "المارق" لورنزو "وأعوانه" قائماً، كما قام بمصادرة (فرعي) بنك الميديتشي في روما ونابولي.

ملك نابولي "فيرّانتي ـ **Ferranti**" وقف إلى جانب البابا، وهدد فلورينز بالحرب والدمار، إذا لم تقم بطردِ لورينزو من المدينة.

إنه نصرٌ للبابا، لأن الميديتشي (لورينزو) أَعلن عن استعداده الذهابَ إلى المنفى، وحتى إلى الموت، من أجل السلام.

لكن سكان فلورينز لا يريدون الخضوع (للتهديد)، ويقومون في اليوم التالي بانتخاب حاميهم (لورينزو)، عضواً في مجلس الحرب المؤلَّف من عشرة أفراد، ويستأجرون لحمايته، إثني عشر حارساً شخصياً.

البندقية وميلانو تحتجّان بغضبٍ على حرمان لورينزو. في فرنسا تجد (عائلةُ) الميديتشي حليفاً قوياً لها.

(الملك الفرنسيّ) "لودفيغ الحادي عشر ـ **Ludwig XI**" يتهم الحبر الأعظم علناً، ويطالب بعقد المجمع حتى يَحدّ من سلطته.

لورينزو دي ميديتشي يردّ بحملة دعائية فريدة ضدّ البابا سيكْستوس الرابع. اكتشاف الطباعة الحديث (على يد الألماني غوتِنْبيرغ)،

جعل انتشار رسائل التحقير (ضد البابا) تنتشر في كل أوروبا، حيث يوصف فيها البابا سيكْستوس الرابع بأنه "عمدة الشيطان" وبأنه "قوّادٌ" يَقود أمَّه الكنيسة إلى البَغاء، ويبيعُ طقوسها ووظائفها حتى يُطعم "للخنازير الكَمْأةَ الذهبيةَ"

أقوى اتهام (للبابا) جاء من قلم "جينتِله بيشّي ـ G.Becchi"، وهو أسقف (مدينة) أريزّو، والمعلم السابق لـ "لورينزو"

twitter @baghdad_library

في رسالته المسماة "المَجمع (الكَنسي) الفلورينتيني - (نسبة إلى فلورينز) -، وهو الاجتماع الذي ضمّ أكابر رجالات الكنيسة، والذي لا يعرف أحدٌ بدقةٍ إنْ كان قد عُقد فعلاً أم لا.

في الرسالة، يوردُ المَحضرُ (كما يُزعم) تحقيراً شديداً للبابا سيكْستوس الرابع، وبكلماتٍ لاذعةٍ ساخرةٍ (تقول):

رسم سريع (كروكي) بريشة الفنان "ليوناردو دي فنشي للقاتل المشنوق "بانديني

لا يوجد على الأرض قاتلٌ أكبر من البابا، الذي هو، في نفس الوقت، رجل لاهوتٍ.

كيف يمكن لَمَن يُحابي الأقرباءَ (سيمونيّ)، ويكون هَرطَقيّاً، أن يجسّدَ الروح القدس؟. الآن يريد هذا الرجلُ الكافرُ أن يَغسلَ حقارتَه بالبراز، وأن يحقق بالكلمات ما عجز عن تحقيقه بالسيف.

مجمع السّينودة المزعوم، يحكم على البابا سيكْستوس الرابع بأن يذهب إلى الجحيم، ويطلبُ من السيد (الله) أن يخلّص المسيحيّةَ من (هذا) الراعي الكاذب.

الحربُ بالكلمات وبالسلاح، تَجلب العَوَز والخرابَ إلى وسط إيطاليا، وتستمرّ عامين.

الطاعونُ يَنتشر في فلورينز. الجنودُ يحرقون المحاصيلَ، والمدينة (المحاصرة) تفقد اثنين من أكبر حصونها. لورينزو يصاب بحُمّى شديدةٍ.

البابا سيكْستوس الرابع، وابن أخيه "جيرولامو رِياريو"، يصرّان على قدوم الميديتشي (لورينزو) إلى روما، لطلب المَغفرة.

في حالةٍ ميئوس منها يتجرأُ لورينزو على القيام بحركة شطرنج جريئة، ويسافر إلى نابولي ليكسب ملكها "فيرّانته — Ferranti" إلى جانبه، من أجل تحقيق السلام.

سفينتان تابعتان لنابولي، تُحضران عائلة الميديتشي وأتباعها (إلى نابولي)، محملتان بكمية ضخمة من الهدايا للملك فيرّانته وبلاطه.

خبرُ ظهور لورينزو (في نابولي)، المُخرج جيداً، فاجأ إيطاليا، وكان سبباً في إثارة تخمينات سياسية، بدا فيها وكأن الملك والميديتشي، يعملان معاً من وراء ظهور الآخرين، وهذا أمر ممكن الحدوث، في زمن تتبدل فيه التّحالفات كثيراً.

لمدة شهرين ونصف، يتمسك الملكُ بـ "لورينزو"، معجباً بثقافته وجاذبيته، ويريد أن يطلب من البابا غضَّ النظر عن ضرورة حضور "المعلّم الكبير" - (لورينزو) - إليه في روما لطلب المغفرة منه.

لا أحد يعرف سببَ رغبة الملك بالتفاوض مع البابا، أهو نابعٌ من احترامه للميديتشي، أم خوفٌ من فرنسا، أم من كونه فقدَ الرغبة في الحرب، وهو الحاكم المعروف عنه الذكاء والمَكر؟.

في نفس اليوم الذي وصل فيه "لورينزو" مدينة بيسا، ونزل من السفينة، بعد رحلة بحرية في جو عاصفٍ، تم التوقيعُ على معاهدة السلام (مع البابا) في نابولي.

(على الرغم من ذلك) تابع البابا المطالبة بحضور "لورينزو" شخصياً (إلى روما)، لطلب المغفرة منه، ولكنه في النهاية تخلّى عن موقفه المتصلّب هذا، واكتفى بحضور اثنتي عشرةَ شخصية مرموقة ممن يُمثلون فلورينز إليه، وأن ينبطحوا أمامه على الأرض، طالبين الغفران عن كل الأخطاء والذّنوب التي قامت بها بلادهم.

بعدها لامس البابا بعصاه البابوية كلاً منهم، وغفر لهم ولكل سكان فلورينز (بمن فيهم لورينزو، المحروم كنَسياً) كاملَ ذنوبهم، وسمح بإعادة استقبالهم في الكنيسة من جديدٍ.

بعدَ يومين، وعند وصول خبر رفع الحصار عن فلورينز، قام السكانُ بالاحتفال بإطلاق الألعاب الناريّة، وقُرعت الأجراسُ تعبيراً عن فرحتهم.

twitter @baghdad_library

تَعادلٌ بين البابا والمِديتشي
(لا غالبٌ ولا مَغلوبٌ)
Patt zwischen Papst und Medici

الحـــرب بـــين البابـــا والميديتشـــي انتهـــت عمليـــاً دون نتيجـــةٍ، لكـــن البابـــا سيكْستوس الرابع لا يستسلم، بل على العكس من ذلك فإنه يخطط لأمر كبير.

البابا يريـد الحصـولَ علـى (مملكـة) نـابولي (ليعطيهـا) لابـن أخيـه "جيرولًامـو رياريو" ـ بائع الخضار السابق ـ الأنانيّ الذي حرّك المؤامرةَ القاتلـة ضـد الميديتشـي، والذي وصفه (المؤرخ) "لودفيغ باستور" بـ "الشوكة التي لا تطاق" وتابع:

"الحبّ القاتل الذي يكنّه له البابـا، أفسـح مجـالاً واسـعاً أمـام نزَواتـه، وصرف النظر عن غبائه، برغم قوة بنيته الجسدية.

لقد أثارت هذه التّصرفات معارضةً شديدةً لدى الكاردينال "جوليانو ديـلاّ روفيره ـ G. della Revere"، الذي أصبح بعد سنوات "البابا يوليوس الثاني ـ **Julius II**"، والذي أراد الحدّ من ظاهرة محاباة الأقرباء.

إنه يَتهم الغراف (ابن أخي البابا) بأنه "يشعل كنيسة الله، وهـو مسـؤولٌ عن تصرفات البابا التي ستقوده للهَلاك" من أجل تحقيق رغبات إبن أخيـه جيرولامو،كان كلّ شيءٍ مسموحاً له القيام به.

حتى يحرّك البابا سيكْستوس الرابع (جمهوريـة) البندقيـة ضـدّ (مملكـة) نابولي، وعد بإعطائهم (مدينـة) "فـيرّارا ـ Ferrara"، دون أن يعـير اهتمامـاً (لعائلة) "إسته ـ **Este**" الحاكمة في هذه المقاطعة من نوع الهيرتزوغتوم.

من جديد يرمي البابا البلادَ في الحرب.

الخطرُ يحدق أيضاً بـــ (قائـد المرتزقـة الشـهير) الهيرتـزوغ "فريـدريكو دا مونتيفيلترو"– حاكم مقاطعة أوربينو، الذي يدين بالولاء لملـك نـابولي وللبابـا أيضاً، والذي وضع أمام الخيار، فاختار نابولي.

لم يستطع البابا تحقيق خططه التوسّعية لصالح إبن أخيه، وكان مرغماً على التفاوض، وفي النهاية لم يربح شيئاً.

في كل الأعوام التي قام فيها البابا سيكْستوس الرابع بالحروب والدّسائس السياسية، ظلّ يتابع البناءَ في روما ليحقق مشروعَه المسمى "كابوت مونـدِه ـ Caput Mundi "– أي السيطرة على العالَم–.

في ذكرى يوم انتخابه الأول، وبتاريخ 9 / 8 / 1483، يحتفل البابا، في الكنيسة السّكْستينية (المسماة باسمه كما ذكرنا)، بالصلاة الأولى فيها (التّدشين).

(المؤرخ) باستور يقول عن ذلك:

"هذا البناءُ الجادّ، متواضع المظهر الخارجيّ، الذي يضم أعظم روائع عصر النّهضة، يُقدّم صورةً غريبةً عن العصر الذي يقعقع فيه السلاحُ في إيطاليا، (وعلى الرغم من ذلك) تزدهر فيه الفنون بشكل رائع، حيث يستبدل فيه الباباواتُ غالباً الزِّيَّ الرسمي للصلاة والأناشيد بالقمصان المسلّحة وبخوذات الحرب"

البابا سيكْستوس الرابع يتوفى في عام 1484، نتيجةً للوَهن العام وللحمّى، وذلك بعد أيامٍ فقط من صمت الأسلحة في إيطاليا.

المعلقون المعاصرون (له) يقولون إنّ قلبه تحطم بسبب السلام.

"لقد خلط (البابا سيكْستوس الرابع) توازنات السلطة في إيطاليا، كما لم يفعل أحدٌ قبله من الباباوات، باسم محاباة الأقرباء -**Nepoten**–، أقربائه طبعاً"

هكذا كتب (الباحث) فولكر راينْهارد وتابع:

"لقد قام (البابا سيكْستوس الرابع) بتنصيب كرادلة من الشباب الطموحين الذين لا خبرة سياسية لديهم، وبذلك رسم علامةً لما يحق للبابا أن يفعله"

(الباحث) باستور كان مصيباً في وصفه لجثمان البابا الضخم في قبره المصنوع من البرونز، وعليه تمثالٌ له بالزِّيِّ الرسميّ، عندما قال: "شكلٌ قصيرٌ يكاد يكون صغيراً، حفنةٌ من العظام والأوتار اليابسة، يغطيها جلدٌ مترهّلٌ، ولكن شرايينه تكاد تنبض حرارةً. خطوطُ تجاعيد عميقة حادة الزوايا، في الوجه الذي تركت عليه الأيامُ بصماتها وكأنها عباراتٌ (تروي حياتَه)"

twitter @baghdad_library

الكسندر (الإسكندر) بورجيا . الأب المقدَّس
Alexander Borgia – der Heilige Vater

بعد مرور 14 عاماً على محاولة اغتيال البابا (بونيفاز ـ بونيفاقيوس ـ الثامن في أفنيون بتاريخ 7 / 9 / 1303)، انعَقدت في روما الخلوة (الانتخابية) ـ (Conclave) ـ الأكثر فضائحية في تاريخ البابَاوية.

في الشوارع تسود الفوضى الشاملة والقتلُ.

(المرشّح) المحبب، هو الكاردينال "جوليانو ديلاّ روفيره – .Rovere G.d" – إبن أخ البابا سيكْستوس الرابع، والمسمى لاحقاً: البابا المحارب–، لكنه لم يكسب السّباقَ الذي فاز به الإسبانيُّ "رودريغو بورجيا – Rodrigo Borgia"، لأنه استطاع، بتلاعبٍ غير مسبوق، أن يكسب لنفسه (أصواتَ لابسي الأُرجُوانيّ (الكاردينالات).

يقال عنه، في الرواية غير المؤكّدة، أنه كان يرسل إلى قصورهم العربات المحمّلة بالذّهب والهدايا، ولكن من المؤكّد أنه كان يبالغ كثيراً في تقديم الوعود لهم، فبينما كان الأقلاءُ من الكاردينالات غير المُرتشين المُنهَكين يغفون في حجراتهم الضيّقة،

كانت تتم الصّفقةُ تلو الأخرى (من وراء ظهورهم).

أحدهم أعطاه (المرشّح) رودريغو قصرَه، وللآخر أعطى القطاعات الكنَسية الغنية التابعة له. لقد كانت (الانتخاباتُ) تمطر وظائف وإقطاعات، بحيث أن لا أحد يَعِده بأن يعطيه صوته، سيكون فارغ اليدين، لأنّ رودريغو بورجيا يعرفُ أنه (بعد فوزه بمنصب البابا) سيستعيد كلَّ ذلك مئات، بل آلاف المرات أكثر.

الرّشوةُ في الخلوة (الانتخابية)، كانت وسيلةً راسخةً في عصر النهضة من أجل الوصول إلى السّلطة.

"كل (بابا) جديد يُرفع إلى رتبة الحبر الأعظم، كان لزاماً عليه التخلي عن كلّ ينابيع الدّخل التي يحصل عليها من جهات ومناصب دينية،حتى يكون صفر اليدين عندما يجلس على عرش بطرس"

هذا ما كتبه البروفيسور فولكر راينْهارد في كتابه عن البابا الكسندر بورجيا، وتابع:

"فصلُ التّخلي الطقسي هذا، كان من الممكن تحويله، بشكل ممتازٍ، إلى هدايا انتخابية: أعطِني صوتكَ وخذ عائداتي الضرائبية الكَنسية"

"نحن الآن بين يدي ذئبٍ"

يُزعم أن هذا ما قاله الكاردينالُ "جيوفاني دي ميديتشي – إبن لورينزو –وعمره 16 عاماً (فقط)، وهو أول فرد في عائلة ميديتشي يَضع القبعةَ الحمراء (قبعة الكرادلة) على رأسه، قاله عند حضوره خلوةَ الانتخابات لأول مرة.

بعد تردده أولاً، أعطى هو أيضاً صوتَه مكرهاً، إلى هذا المرشح الإسباني.

twitter @baghdad_library

البابا ككبير عائلةٍ

Der Papst als Familienoberhaupt

لدى الحاكم الجديد، (الجالس) على عرش البابا خطةٌ، هي أكبر من كلّ ما كان خصومُه والمتشائمون يتوقّعونه منه.

إنـه يريـد لنفسـه ولعائلتـه، باسـم الكنيسـة، أن يـبني إمبراطوريـةً في إيطاليا، ذات سلطة غير متنازَعٍ عليها، ستضع محاباةَ الأقرباء، الـتي كانـت عند سَلفه، في الظلّ.

لقد قام (سلَفه) البابا الكسندر السادس بالتّمهيد لذلك:

إن عنده سبعة أولادٍ، يعرضهم بفخر أمام كل العيون.

يقول الباحث راينْهارد:

"بعد مرور عشرة أعوام من (حكـم) الحـبر الأعظـم ديـلاّ روفـيره، لم يعـد هناك من سبب للخجل. روحُ العصر قد تبدل جذرياً. الكثير من الكاردينالات الشباب لديهم عشيقاتٌ دائمات وأولاد، ولا يهمّ إن كانوا قـد وِلـدوا قبـل أو بعد دخول (آبائهم) سلك الكَهنوت، لأن هذه الفروق الدقيقة تَنمحي في الجـو السائد، استناداً إلى مقولة (ماشي الحال) Laisser- faire.

البابا الكسندر السادس تمادى كثيراً، في عيـون الكـثيرين مـن معاصـريه، عندما قام بتوثيق أبويّته (لأولاده رسمياً) أمام المحامي،

لأن القانون غير المكتوب يقـول: إن أخطـأتَ، فمـن فضـلك بتسـتُّرٍ ودون فضائح.

رسالة تعريفٍ – Zeittafel
ألكْسَندر السادس
Steckbrief: Alexander VI

عندما تُوّجَ رودريغو بورجيا في منصب البابا بتـاريخ 11 / 8 / 1492، كان عمره 61 عاماً.

كان (البابا) يَنظر إلى النجاح كمشيئة ربانية،مع اعتقاده الشديد بأن القدر قد اختاره مع عائلته ليتبوأ أعلى المناصب، وهذا الاعتقاد يبدو وراثياً عنده.

إنه ينتمي إلى (طبقة)النبلاء الإسبان،متوسّطي الحال،لكن تـاريخ (عائلـة) البورجيا مَحوطٌ بالأقاويل التي تريد أن تصل بنسبه إلى بيت آراغون الحاكم.

الشاب رودر يغو متأكد من جذوره الملكية، وثمة تنبّؤات دقيقـة تتنبـأ لـه بعود مثير للدوخة (الدَّهَش)، أخَذت تتكثّف بشكل فعال، عندما أصبح عمـه "ألونسو دي بورجيا – Alonso de Borgia" كاردينالاً، وفي عام1455 أصبح البابا "كاليكسْتوس الثالث – **Calixtus III**"، بعد أن انتُخب كنائب للمسيح.

إبن أخيه رودريغو،الـذي انتسـب إلى سـلك الكهنـوت بـاكراً، كمـا كـان مخططاً له، تبوّأ المكانة العليا (عند عمه) في التفضـيل وحصـل علـى الطاقيـة الحمراء (الكاردينال)، وكان عمره25 عاماً، وتبوأ أعلى المناصب الكَنسية.

حصل أميرُ الكنيسة الشاب على الكثير من العائدات الضرائبية الكَنسـية، التي كان يستثمرها في إضفاء الأبّهة على نفسه، بحيث أصبح قصر بورجيا في روما "بالازّو"، معادلاً لشخصه ومكانته، "وهو يدلّ على طموحـه في الوصـول إلى عرش بطرس"، كما يقول المؤرخ البروفيسور فولكر راينْهارد.

البابا "بيوسٍ الثاني – **Pius II**"، صاح (عندما رأى القصر): "إنه بيتٌ من الذّهب"، مشيراً إلى اسم القصر ألأول، الذي كان قد بناه القيصر نيرون:

twitter @baghdad_library

سجادٌ جداريّ نفيسٌ عليه مشاهد تاريخية، أثاثٌ محفور بمهارة فنية فائقة، آنيةُ الطعام مصنوعة من الذهب والفضة.

هذا البذخ والتّرف المبالغ فيه، يدفع برجال الدين إلى انتقاده، لأن البابا رودريغو بورجيا، يُمجد من خلاله نفسَه.

قصر بلازّو يتنفسُ، بدلاً من التّدين العميق، لذّةً – **Hedonismus**–.

الأسِرَّةِ مغطاة بقماش مخمليّ جُلب من الإسكندرية. سريرٌ فاخر عليه غطاءٌ من قماش السّاتان الفاخر الأحمر، نصف مردودٍ، فمغامرات الكاردينال الجنسية ليست سراً، وتقدّم مادة للفضائح التي اتخذت لاحقاً، شكلاً أسطورياً أسود.

في عام **1460** قامَ البابا بيوس الثاني بتوبيخ لابس الأُرجُواني (الكاردينال رودريغو بورجيا)، بسبب طريقة حياته، باللغة اللاتينية:

في احتفال جرى في حديقة (القصر)، جعل العاشقُ الإسباني، ذو الدّم الحار من نفسه مَضحَكةً، عندما راح يقدم لمعبودته الورودَ والثمارَ والملامسات الحسية.

من خلال هذا التصرف في العَلن، أضرّ رودريغو كثيراً بـ (سُمعة) الكنيسة.

البابا بيوس الثاني نفسه، لم يكن بالملاك الطاهر. لقد ألّف، قبل دخوله في سلك الكهنوت، رواياتٍ جنسية مثيرةً، وأنجَبَ بشكل غير شرعي (أطفالاً)، وكان يحتجّ على فرض عدم الزواج (على الكهنوت، المسمى زيلوبات – البتوليّة). الآنَ بدا عليه تبدّلٌ في أفكاره، يعكسُ مأزِقَ المعايير السائدة في الكنيسة، حول ما هو المسموح به، وما هو الممنوع؟.

لزمن طويل غطى وشاحٌ من الصمت على خَرق رجال الدين للمحرّمات، وهو ما كان يجري غالباً وراء الأبواب المقفلة.

البابا "الكسندر السادس – **Alexander VI**" كان أول بابا، وربما كان الوحيد الذي لم يُخف علاقاته الغرامية التي لا تحصى، ولا حياته المشتركة مع (عشيقته) "فانّوزا دي كاتّاني"، بل على العكس من ذلك، لقد قام بتأسيس عائلة له، وخطط بشكل منهجيّ حازمٍ، كي يظَلّ اسم بورجيا، بعد وفاته، متجذّراً في أعلى رُتب الأرستقراطية الأوروبية.

بخلافِ كل الإشاعات، قام البابا الكسندر السادس بكل شيءٍ لإطالة حياته:

إنه لم يكن يتحفّظ فقط في المأكل والمشرب، وإنما بشأن النساء أيضاً، وكان شعارُه: باعتدال ولكن بانتظام.

أما فيما يتعلّق بالسلطة، فقد كان جشعُ البابا البورجي نحو تأسيس إمبراطوريته الخاصة، لا يعرف حداً. لقد انشأ، من أجل تحقيق هذا نقابةً، هي الفريدة في التاريخ البابوي، ظهر فيها (هذا) الواقعي الجالس على عرش البابا، كمعَلمٍ في التلاعب والكذب والدعاية.

وصَفه معاصروه بالذّكاء وبالدّهاء، وهو الرجل الذي لا يمكن تخمينه (نواياه) إلا من خلال توقّع أي شيءٍ منه.

إنه يقوم بالحروب ويَأمر بالقتل،حتى إن الناس اعتقدوا بأنه أَبرم عقداً مع الشيطان.

بهذه الطريقة قام، بمساعدةٍ من ابنه سيزر، باحتلال (منطقة) روماغنا، الواقعة في الشمال من دولة الكنيسة، لتكون مستقبلاً جزءاً من إمارة بورجيا (عائلته). لهذا قام البابا بالتحالف مع الملك الفرنسي "لودفيغ الثاني عشر- Ludwig XII"، بعد أن سمح له بالطلاق وبالزواج من جديد، مما أمّن له السيطرة على البريتانيّه (المقاطعة الفرنسية).

خلال ذلك نال ابنُه، فيما ناله، مقاطعةً من صنف هيرتزوغتوم، وقوات عسكرية من أجل حملاته الحربية.

في النهاية راحت بورجيا (عائلة البابا) تخطط لخيانة هذا الحليف القوي (الملك الفرنسي) والانتقال إلى الجانب الإسباني، حيث يكون الربح أكثر، لكن الموت عطل هذه المناورة.

البابا الكسندر السادس يتوفى بتاريخ 18 / 8 / 1503، ويترك وراءه خزانات (مال) مليئة، غير أن أعداء عائلته في إيطاليا يطالبون بالثأر.

إمبراطورية البورجيا تتحطم، وتَظل (ذكرى) البابا ماثلةً في كل الأزمان، مثيرة الرعبَ في الذاكرة الجمعية.

لقد تمادى (البابا) في الكثير (من أعماله):

twitter @baghdad_library

البابا يسمم كاردينالاً ليستولي على ثروته.

البابا يُزوج ابنته، التي من لحمه ودمه، ثلاث مرات، ليوسّع من سلطة عائلته.

البابا يبيع منصب الكاردينال لمن يدفع أكثر.

كل هذا لا يخرق الحدودَ العادية فحسب، وإنما يجرح المشاعر الدينية العميقة للمسيحيين كافة.

بهذه الوسيلة أصبح البابا الكسندر السادس، الصورةَ المعاكسةَ، بل المعادية لصورة البابوية، بكلمات أخرى:

كلّ الباباوات كانوا حريصين على الابتعاد عن هذا الحبر الأعظم،

بقدر الإمكان، وبنجاحٍ حتى اليوم.

ما بقي في نطاق الإشاعات عن البابا سيكْستوس الرابع، هو حقيقة بادية للعيان عند البابا الكسندر السادس، الذي أراد أن يشاركه أبناؤه في حكم الكنيسة وحكومتها.

أربعةٌ من أولاده،ولدوا من عشيقته "فانوزّا دي كاتّاني"، وقام (والدهم البابا) جيوفاني بتأمين إمارة لهم في إسبانيا، من نوع هيرتزوغتوم.

ابنه جيفري، وهو أصغر أبنائه، زوّجه إلى أميرة من عائلة آراغون (من البيت المالك الإسباني)، لكن عمود سلطته الإمبراطورية كانت ابنته الجميلة (لوكريزيا)، وكذلك (ابنه) سيزر، الذكيّ عديم الأخلاق، الذي اعتَمد عليه في كل شيء.

حتى عندما كان لا يزال كاردينالاً، رتّب الحبرُ الأعظم الأمور، بشكل لا يكون هناك أي عائق أمام (مستقبل)أبنائه، أيضاً فيما يتعلق بقانون الكنيسة.

من أجل هذا قام (البابا الكسندر السادس) في عام 1480- إي قبل أن يصبح هو نفسه الحبر الأعظم باثني عشر عاماً - بمقابلة البابا سيكْستوس الرابع، الذي كان يرعاه ويكنّ له المودة.

رودريغو (البابا الكسندر السادس) لم يُخفِ وجود أبناء له من عشيقته، وعلى الرغم من أن الوصولَ إلى المراتب الكنسية العليا كان مغلقاً أمام الأبناء غير الشرعيين، ألا أن البورجيا يريد أن يحصل لابنه سيزر على قبعة

الكاردينالية، مع أن عمره (وقتها) كان خمسة أعوام فقط، ولأنه (الوالد) يريد أن يكون صعود ابنه (مستقبلاً) معلوماً (للجميع).

البابا سيكْستوس الرابع يجد الطريقة والوسيلة ليحقق للأب الفخور رغبته، وذلك من خلال إصداره قراراً بابوياً (بولّه)، يُسمح بموجبه للخُلاسيين، لبس الثوب الأُرجواني (ثوب الكرادلة).

الخطوة الأولى اكتَملت:

عندما يصبح رودريغو نفسه بابا، ذات يومٍ، يجب على عائلته أن تضمن لنفسها الحفاظ على السلطة البابوية.

البابا الكسندر السادس لديه خطط كبيرة لكل من أولاده: سيزر يصبح كاردينالاً، أما ابنته لوكريزيا فعليها أن تتزوج ممن يرتئيه والدها لها، لأسباب تكتيكية تتعلق بالسّلالة، والأب المقدس لا يسأل عن موافقتها.

البابا الكسندر السادس، يستوعب البابوية كإرادة إلهية وضَعت "العائلة" إلى جانبه، كأداة (مساعدة له) لحكم المسيحية.

"نحن الكنيسة"، هذا هو اعتقاده التام الراسخ.

هذا المَطلب أربك معاصريه، وكان بحاجة إلى إضفاء شرعية إيديولوجية عليه. حتى البابا الكسندر السادس، كان مرغماً على القيام بسياسة سُلطَوية محسوبة ببرودة (بدقة)، في إيطاليا المبعثرة.

الكثيرون من الأقوياء كانوا يراقبون دولة الكنيسة، منتَظرين ظهور أي فراغ في السلطة ليملؤوه بأنفسهم، دون أي اعتبار لمصالح المعتَقد، ولهذا كان البابا بحاجة إلى حلفاء يؤيدونه بالمطلق، في وسط الجهاز الحكومي الكنسي، المعادي له في الغالب.

(الباحث) راينْهارد له، بشأن هذه الحُجة، التي ترى بأن الأقرباء المحابين هم الأكثر أهلية للعب هذا الدور (دور الحلفاء)، رأي آخر يقول: إنه "جهاز دعائيّ مصمم ببراعة"، لأن البابا كان يُكلّف، في حالة وجود مهام دبلوماسية إشكاليّة، خبراءَ أكفّاء من ذوي الرتب الكنسية (الوسطى)، الطامحين إلى الصعود (الوظيفي)، ممن لا تربطه بهم صلات قُربى، ولهذا لا توجد لديهم مطالب مزعجة.

twitter @baghdad_library

الحَبرُ الأعظمُ يحبّ النّساءَ والتّرفَ

Der Pontifex liebt die Frauen u.den Luxus

ابتدأ بناءُ الإمبراطورية البابوية، بسياسة تزويج مدروسة ببرودة.

لوكريزيا (ابنة البابا الكسندر السادس)، كان عمرها 13 عاماً، عندما زوجها من "جيوفاني سفورْزا - G .Sforza"، وهو ترتيب سلطويّ يوثّق للتحالف بين البابا والبيت الحاكم في ميلانو.

هذا الزواجُ (بل التّزويج) يعكسُ،أكثر من أي حدَث آخر،الطقوس التي كان البابا الكسندر السادس يفضل أن يُظهر نفسَه من خلالها.

كما أحاطَ تلامذةُ المسيح الإثني عشر بهِ،كذلك أحاط البابا نفسه باثني عشر كاردينالاً.

البابا شخصياً وهب البركةَ للزوجين. الحفلُ الذي تلا (الزواجَ) لا علاقة له بالعشاء الأخير الديني، حيث خرج فيه البابا عن (وقاره) الطقسي، السيروميني، ليتجه سريعاً نحو سعادته الحسية الماجنة.

انقضى المساءُ بالرقص وبالتمثيليات الهزلية، وبتقديم أفخر (أنواع) الأطعمة والنبيذ، وبحضور أجمل نساء المدينة.

"إن جاذبيته للنساء، تشبه جاذبية المِغنطيس لبرادة الحديد"

هذا ما قاله عنه أحد علماء روما.

الحبر الأعظم يحبّ النساءَ، وبخاصة الشّقراوات منهن. كل روما

تعرفُ عن علاقته الملتهبة مع جوليا فارنيزه، 44 عاماً، الملقبة بالجميلة، التي قام البابا، في عرس ابنته لأول مرة علناً، وبدون خجلٍ، باللهو معها.

استمرّ الاحتفال حتى الصباح،وفي اليوم التالي تحدّث أهلُ روما عن مجون لا يُصدّق.

مئة وخمسون امرأة، من أعلى الطبقات الاجتماعية، قام المحتفلون بسكب النبيذ في الفتحات الوسيعة لملابسهن، بين النهود، من مئة وخمسين قدحاً من الفضة، كانت عبارة عن هدية زواج من البابا لابنته، من أجل متعة الحضور، بينما كان أزواجهنّ المؤدَّبون ينتظرون وراء الأبواب (المغلقة).

منذ البدء، كانت الأقاويل والفضائح تحيط بسلطة "البورجيا" ــ عائلة البابا الإسبانيّة ـ التي شكّل طراز حياتها مادةً للمزاعم والثرثرة، وليس في روما وحدها فحسب.

في كل أوروبا تنتشر الأخبار عن فضائح البابا كالنّار، حيث يبدو الفاتيكان كبيتٍ للمجانين تقام فيه الحفلات الجنسيّة الباذخة، حتى في جناح البابا الخاص، مما يصدم سكّان روما، يضاف إليه أنّ مجموعةً من حوادث الموت الغامضة جرت إبّان حكم البورجيا.

البابا الكسندر السادس وابنه "سيزر" يقعان تحت الظّن بأنّهما يأمران بإبادة أعدائهما السياسيين بدمٍ باردٍ، مما يثير الغضب والخوف ويجعل الأقاويل حولهما تنمو.

هذا البابا ونسله لا يصدّقهم المرء، ويصدّق عنهم كلَّ شيء، ولكن ما هو الصحيح، وما هو المختلَق؟

"حتى الشّهود المعاصرين لهما، جمح بهم الخيال، استناداً إلى ما كان يجري في الفاتيكان، لأن للبابا الكسندر 6، أعداءً كثيرين، يريدون أن يتّهموه بأعمال شريرة، ولهذا فعلى (الباحث) أن يجري لهم اختباراً بواسطة جهاز الكشف عن الكذب"

هذا ما قاله (الباحث) راينهارد، الذي تحرّى بإحساس مُخابراتي، كلَّ أرشيفات إيطاليا من زمن البابا الكسندر 6، ووجد العديد من الوثائق مزوراً.

"حتى الوثائق التي تحمل اسم الحبر الأعظم وخاتَمه ليست خالية من الشك بأن تكون مزوّرة"، وحتّى ما كتب عن مجرى حياة البابا، كان منذ البدء (موظفاً) إما للّعنة عليه وبالتّالي على الكنيسة، أو لتبرئتهما من التّهم.

twitter @baghdad_library

يقول راينهارد:

"الحبر الأعظم الذي يعيش حياة جنسيّة صاخبة، ويكذب في إعلاناته – (بولهْ) وهذا أمرٌ مثبتٌ – لا يستطيع ادّعاء العصمة البابوية في قراراته الفعلية المتعلّقة بالمعتَقد والأخلاق، كما يقول خصوم الكنيسة في حججهم"

في الجانب الآخر هناك من يحاول حتى اليوم، إعادة الاعتبار للبابا الكسندر6، ووسم كل أخطائه بأنها مختَلقة.

مثل عملية تنظيف (السّمعة) هذه، لا يمكن لها أن تتحقق، دون مناوراتٍ من التزوير والتحوير.

المؤرخ الشهير راينهارد،لا يريد من وراء هذا (أبحاثه) أن يصدر حكماً على البابا الكسندر 6، وإنما يريد أن يظهر الحقيقة "القاسية" إلى ضوء النهار، وينشّط الرؤيةَ لمعرفة الأسباب الكامنة وراء تجاوز الحدود هذا، وهو ما أدهش معاصريه.

أكثر التفصيلات المعروفة عن حياة البابا اسكندر6، كتبها رئيسُ التشريفات الاحتفالية "يوهانّس بوركا رد" في المخطوط المسمى Liber notrum" أي "دفتر الملاحظات" الخاص به. توجد فيه مواضع غامضة، تَمت فيها، على ما يبدو، لاحقاً إضافة مقاطع إليها بخط غريب (عن الأصل).

حتى بوركاردت نفسه، أضاف إلى الأحداث الواقعية لقصص الفضائح التي كان يتم تداولها بالخفاء، بعض التفاصيل، مثلاً حول المجون المفرط في الفاتيكان.

(المؤرخ) راينهارت يصف تقرير رئيس البروتوكول عند البابا حول ما يسمى بـ"احتفال الكستناء (الراقص)" بأنه مواد متفجرة في تسعة أسطر ويتابع:

"في الجناح الخاص بالهيرتزوغ في قصر الفاتيكان، (أمير)مناطق فالينس – Valence، تناول الحضور العشاءَ بوجود خمسين من المومِسات، من ذوات

المستوى الرفيع اللواتي يطلق عليهنّ اسم: (كورتيسانه ـ kurtisane)، حيث رقصن بعد العشاء، مع الخدم ومع الآخرين وهنّ لابساتٍ ثيابهن أولاً، ثم وهنّ عارياتٍ، بعدها قام الحضور بوضع الشمعدانات المشعلة على الأرض، وألقوا بالكستناء حولها، وكان على المومِسات العاريات جمعها وهن يزحفن على أربع.

كان البابا، والهيرزوغ، وكذلك أخته لوكريزيا، من بين الحضور. ثم حددوا جوائز (عينية) من قماش حريري، وأحذية ونقود تعطى كمكافأةٍ لمن يقوم بأكبر عدد من الجماع مع المومسات.

قام الحضور بتحديد الفائزين وبتوزيع الجوائز عليهم، وهذا ما حصل علناً.

هذا المشهد الفضائحي الذي ورد في ملاحظات بوركا رت، تلاه وصف معقد لاحتفالات كنيسة طقسيه، مخالفة لذلك تماماً، ويتابع الباحث راينهارد حكمة على الأمر قائلاً:

"من خلال هذا العرض المقتَضب، يراد الإيحاء بأن مثل هذا هو أمر عادي، يحدث كثيراً (في الفاتيكان)، وكأنه يريد القول أن مثل هذا هو نوع من فهم البورجيا (عائلة البابا) للخدمة الإلهية – **Liturgie**"

الدلائل تشير إلى أنَّ قصة احتفال الكستناء ليست إلا تصورات لخيال مفرط في التّهيؤات. "ومع ذلك هناك ربط نفساني ذكي، فيه مزج الواقعي بالمتخَيل في هذه اللوحة الصاخبة"

البابا الكسندر السادس يعرب صراحة، في وسط المقربين منه، عن رغبته في النظر إلى النساء الشابّات الجميلات وهنّ يسرّحن شعورهنّ، وبذلك تكون الخطوة التالية، النظر إلى العاهرات في مشهد الكستناء، ليست بعيدة عن رجل البورجيا هذا (البابا) الذي يشعر باللّذة في الرّؤية، وهو ما يسمّى في الطب فيوريسموس – voyeurismus

twitter @baghdad_library

(رئيس التشريفات البابوية) يوهانس بوركارت، المنوط به تنظيم الاستقبالات الكبرى والاحتفالات الدينية، والزواج، والزمن،كان يرغب في معرفة ما كان يجري وراء أبواب مخدع البابا، عندما كانت تغلق أمام وجهه، وكان لديه تصورات خيالية عن الجنس والجريمة.

المعلومات كان يستمدها من الكاردينالات والسفراء، المشاركين في تلك الاحتفالات، وكان لقاء ذلك يقدم له خدمات من نوع، أماكن ممتازة لهم في الاحتفالات القادمة. يقول (الباحث) راينهارد:

"النتيجة: كلما كتب بوركارت معلومات، وصلته عن طريق شخص ثالث، يجب أخذ الحذر حيال مصداقيتها"

حتى الشائعات يوجد وراءها شيءٌ ما، فهي تعكس بدقة ما كان المرء يتصوره على (نهر) التّيبر (أي في روما) حول دغدغة المشاعر المفرطة في المجون، التي كانت تجري هناك.

في النهاية يتهمون البابا بإقامة علاقة مع ابنته لوكريزيا، وهي إشاعة لا يمكن استئصالها من العالم، والتي يجد لها (الباحث) الخبير بالبورجيا شرحاً معقولاً: الإشاعة هذه، انتشرت بعد طلاق لوكريزيا من زوجها الأول جيوفانّي سفورزا.

لأن توازنات السلطة كانت قد تغيرت، ولم يعد أمير ميلانو، الذي ظلّ زواجه دون أطفال، مناسباً، فقد قام البابا بتمهيد الطريق أمام ترتيب زواج جديد لابنته.

(لهذا) أعلن البابا أن جيوفانّي عِنَينٌ، وزعَم بأنه لم يقم أبداً بالزواج الفعلي (فض البكارة) من لوكريزيا [17]

---

(17) تعقيبٌ من المترجم:
(أشير هنا إلى أن عمه الذي أصبح لاحقاً البابا "كاليكسْتوس الثالث- **Calixtus III**" - (1 / 1 / 1430 - 1503)، كان اسمه السابق ألونزو دي بورجيا، وأن إبن عمه جيان غاليزو سْفورْسا كان يحكم ميلانو رسمياً حتى عام1494، أما الحُكم الفعلي فكان بيد إبن عمه أيضاً لودفيكو.

هذه (المزاعم) تثير عند الزوج، هجوماً معاكساً لاستعادة ألق شرفه، حيث يقوم زوجها السابق بالاتهام الخطير للبابا الكسندر، بأنه قام بتطليقها منه لأنه لم يتحمل الفراق عنها جسدياً.

الزواج تم بتاريخ 1493/2/2، وألغاه البابا بتاريخ 1497/12/20 بسبب اتهامه الزوج بالعنانة وعدم قدرته على الدخول بها، وكانت الدوافع وراء ذلك سياسية ومصلحية).

- رئيس التشريفات الباباوية (يوهانّس بورشارد) (1481- 1513) يزعم في ملاحظاته المسماة (diarium)- التي وصلنا منها 26 صفحة أصلية فقط، والباقي وصل عن طريق الكتب المنسوخة عن الأصل، كما يزعم آخرون – بأن البابا أمر ابنه سيزر بفض بكارة أخته لوكريزيا (x) وهو ينظر إلى الفعل الشنيع المزعوم، وأنها حملت منه، ولهذا، ودرءاً للفضيحة قام بتطليقها من جيوفاني سفورزا، متهماً إياه بالعَنانة، كما ذكرنا، ليزوجها من جديد بـ ألفونسو الأول حاكم فيرّارا.

(x) **لوكريزيا بورجيا**: (1480-1513)، ولدت في روما وكان لها ثلاث إخوة، وعلى الأقل ثلاث نصف إخوة غير شرعيين من والدها.

زواجها الأول، كان من الأسباني دون كاسبارو ديل بروسيدا وأنفيرزا، وعمرها 11 عاماً. بعد سنة ألغى والدها (البابا) الزواج لأسباب عائلية سياسية. ثم زوجها لقريب حاكم ميلانو جيوفاني سفورزا بتاريخ 2 /2/ 1493.

بعد ثلاثة أعوام طلب والدها الطلاق من زوجها، وأرسلها إلى أحد الأديرة، حتى تم الطلاق بتاريخ 20 / 1497/12.

للمرة الثالثة يزوجها والدها (البابا)في شهر آب من عام 1498 من هيرتزوغ – (حاكم) مقاطعة بيسكيغلنا، الذي ولدت منه ابناً في روما، توفي عن عمر 13 عاماً.

بعد أن جُرح زوجها في هجوم عليه،ورعَته حتى الشتاء، أطلق السهام على أخيها سيزر، الذي اتهمه بمحاولة اغتياله، ولم يصِبه فقام أخوها بإعطاء الأمر بخنقه حتى الموت.

بتاريخ 1501/12/30، وكان عمرها21 عاماً، زوّجها والدها من جديد إلى حاكم فيرّارا (هيرتزوغ)، وتوفت قربها بتاريخ 24 / 1519/6.

كاتب فرنسي معروف قدّم العمل الأدبي عن حياتها للمسرحية المسماة باسمها والتي عرضت في باريس بتاريخ 2 /1833/2. - عن الشبكة ومراجع أخرى – المترجم

twitter @baghdad_library

الحرب مع فرنسا

Der Krieg mit Frankreich

ابتدأ حكم البابا (الكسندر 6) سياسياً بالحرب:

ملك فرنسا كارل – شارل – الثامن، دخل بجيشه إيطاليا، حتى يستعيد حكم (عائلة) أنجو Anjou الموروث.

البابا ينظر بهلَعٍ إلى هذا الغزو، لأن ألدّ أعدائه يجلسون في البلاط الفرنسي، ولم تبق همساتهم في أذن الملك دون مفعول.

كارل الثامن يهدد البابا الكسندر 6 بعقد المجمع وعزله.

نابولي هي حليف قوي للبابا، (ومع ذلك) فهو يناور بين كل الأطراف.

جيش كارل الثامن يجتاح البلاد دون مقاومة.

في الأول من كانون الثاني / يناير من عام 1494 يدخل الفرنسيون المدينة الخالدة (روما). بدا الأمر في البدء وكأن البابا فقد السيطرة تماماً، فهرب إلى "برج الملائكة" (الحصين)، لأن ثمانية من الكرادلة انتقلوا إلى جانب كارل الثامن، وهم يطالبون بعزل أمير الكنيسة (البابا).

"جوليا فرنسيهْ"، عشيقة البابا، وقعَت مع كل حاشيتها في يد الفرنسيين، وبدت أيام نائب يسوع معدودةً.

منطلِقاً من شعوره بالنصر الكامل، يعيد الملك الفرنسي النساءَ إلى البابا لقاء (فدية) ثلاثة آلاف غولدِن ذهبي.

حصار روما أكتمل، ولكن ما جرى بعده، لا يستطيع العالم فهمه. البابا يستقبل الملك الفرنسي المعادي ويسمح له بالسيطرة على بوابات روما. إنه يعِده بالأمان ويرسل ابنه سيزر ليركب معه كرهينة نحو نابولي، الملك كارل الثامن يقول (للبابا):

"بقي أمرٌ، يا صاحب القداسة، وبكل تواضع. حتى ننفي سوء فهم مستقبلي أنصح قداستكم أن تجعلَ من أسقف سان- مان و(أسقف) لا مان، كردينالين"

البابا يوافق ويمنح مرشحيْ الملك، كهدية، القبعةَ الحمراء.

يعلق على ذلك (المؤرخ) راينهارد قائلاً:

"كارل 8 كان يفكر لفترة بأن يعزل البابا ويقدمه للمحاكمة، لكن الاعتبارات السياسية انتصرت في النهاية على أفكاره. ماذا سيجني من انتخاب بابا جديد، حتى لو كان أخلاقياً، نظيفاً تماماً؟. بابا قذر اليدين، مثل الكسندر السادس، كان قابلاً للابتزاز، وهذه كانت الفكرة الحاسمة (في الموضوع). لكن البابا في النهاية يستطيع بدهائه أن يقلب ظهر المِجَنّ، وهذا ما نراه خلال (مشهد) الوداع: كابن وفي للكنيسة، كان على الملك كارل الثامن أن يمسك بركاب جواد البابا ويساعده على اعتلاء الحصان.

الكاردينال سيزر بورجيا رافق حقاً جيش (الملك) كارل كرهينة نفيسة، ولم تكد فرصة الهروب تلوح له، إلا واستغلها هارباً على حصانه بسرعة شديدةٍ نحو روما.

هروب سيزر يبدو مرتّباً له مسبقاً.ثلاثون ألف جندي فرنسي لم يستطيعوا العثور عليه.

(البابا) الكسندر الرابع، يحوك من وراء ظهر الجيش الملكي (الفرنسي) مؤامرةً، بالتحالف مع قيصر الإمبراطورية الرومانية المقدسة، لبناء عصبة ضدّ الغازين القادمين من الشمال.

لقد تمكن (البابا) من خداع الملك (الفرنسي)، وكادت مبارزة السلطة السياسية بينهما من أن تسلبه تاجه البابوي.

بعد هذا تقسِمُ (عائلة) البورجيا، بدءاً من الآن فصاعداً على تأمين السلطة (بيدها) بكل الوسائل، وعدم إفلاتها أبداً.

twitter @baghdad_library

بابا يبكي على ابنه (القتيل)

Ein Papst weint um seinen Sohn

آخر التّحفظات (في تصرفاته) يفقدها البابا الكسندر السادس من خلال فقدان شخصي أليم.

ابنه جيوفاني، عمره 21 عاماً، الذي يحبه فوق كل شيءٍ يختفي صباحاً، بعد حفل مثير، (أقامه في قصر) على جبل كرمةٍ يخص والدته.

ازداد قلق البابا (عليه) عندما سمع عن قيام مجهولين ليلاً، بإلقاء جثةٍ في النهر، وقد تم فعلاً بعدها بقليل،إنتشال جثة (ابنه) جيوفاني من (نهر) التّيبَر مذبوحاً، وفي جسده العديد من طعنات خنجر (خناجر؟).

الأمر بدا واضحاً على الفور:هذا من عمل قاتل مليء بالكراهية. المتهمون كثيرون، لأن البورجيا ليس لديهم تقريباً، إلا الأعداء.

بعد (مرور) بعض الوقت، تأتي أكثر الإشاعات رهبةً (ابنه الأكبر) سيزر هو القاتل، ولديه سبب لذلك: الكاردينال الجشع يريد أن يلقي عنه الرداء الأرجواني (منصب الكاردينال) ليصبح أميراً، لكن (آخاه) جيوفاني الذي ارتأى له أبوه، البابا الكسندر السادس، دوراً ارضياً (مدنياً)، وكان المفضل لديه، وقف (عثرةً) في طريقه.

لكن اليوم لا يوجد هناك دليل على قصة قابيل وهابيل على (نهر) التّيبَر، لأن هناك ما يَسمح بالظن بأن يكون قتله قد تمّ على يد روماني غيور مخدوع، بعد قيام جيوفاني المرح، بمغامرة عاطفية (مع امرأة تخص ذلك المواطن الروماني).

البابا الكسندر السادس، مبعثر ومكسور، إنه يحبس نفسه لليالي عديدة — كما ورد في بروتوكول رئيس التشريفات بوركارت —.

إنه على استعداد للتخلي عن سبعة مناصب الحبر الأعظم من اجل ابنه الحبيب، ويعِدُ بتحسين نفسه ليتصالح مع السماء.

حقاً لقد حرك البابا بعض الإصلاحات (الكنسية)، ووعظ، لأجل نشر تواضع جديد، لكن موظفيه في المناصب الكنسية الرفيعة ـ (الأحبار الأساقفة) (**Praelat**) يفعلون المستحيل من أجل الحيلولة دون انهيار (مستوى) أوضاعهم الحياتية (وامتيازاتهم).

بعد أيام قليلة فقط (من قتل ابنه وانهياره) يتحول اليأس عند البابا الكسندر السادس إلى عدوانية: كل من يقف في طريق البورجيا سيتم تدميره.

راينهارد يقول:

"موت جيوفاني هو نقطة التحول في حياة البابا الكسندر السادس. انه يرى أن عائلته مقدسة، لا يجوز المساس بها. أما أن يتجرأ أحد ما على قتل لحمه ودمه (ابنه)، فهذا يشكل صدمة للبابا. من الآن فصاعداً تسقط كلّ التحفظات، وكل شيء مباح.

أن يفكر ويتصرف بابا بهذه الطريقة، ليس ممكناً إلا في عصر النهضة.

الأقوياء يضعون أنفسهم في مركز العالم. فكرة الدولة العقلانية تبرر كل ما يخدم السلطة، دون اعتبار للأخلاق المسيحية الموروثة"

بعد وفاة جيوفاني، يبدّل (أخوه) الكاردينال سيزر بورجيا الرداءَ الأرجواني، بدروع ومعدات قائد حرب، وهو عمل يعتبر في نظر معاصريه، خطيئة كبيرة تثير الاستنكار لديهم. (لأن) "اللون الأرجواني لا يمكن للمرء غسله، فمَن أصبح كاردينالاً يظل كاردينالاً دوماً.

هذا ما يقوله راينهارد حول قواعد العصر الثابتة. برغم ذلك تكسر (عائلة) بورجيا هذا المحرم **tabu**– حتى يتفرغ سيزر لتحقيق ما يرغب به فعلاً: الحرب والسلطة. باسم الأب المقدس يريد الاستيلاء على إمارة في منطقة رومانا (الإيطالية)، تمنح عائلة البورجيا عظمة دائمة.

twitter @baghdad_library

سيزر هو أكثر أسلحة البابا خطورة. إن له هوَساً بارتداء الثياب السوداء، ويخفي ندوب وجهه الناجمة عن مرض السّيفيليس (الجنسي) من الناس وراء قناع.

كل إهانة ضد شخصه، متوهَّمة كانت أو حقيقية، عقابُها الموت بعد أن يتم قطع لسان من أهانه وتكلم عنه سوءاً.

"فليكرهوني، طالما أنهم يخافون مني" هذا هو شعار سيزر.

يقول راينهارد:

"إن تصرفاتهم تدفع إلى النظر العميق (التأمل فيها). ابن (البابا) الكسندر السادس يشعر أنه أمير حقيقي، ولكن عليه أن يستمع إلى الكثير من الشتائم، مثل: ابن غيرُ شرعي (bastard) وإهانة لله والبشر.

الشرف عنده ليس ملكية ثابتة، وإنما يجب الدفاع عنه كل مرة من جديد. الثأر الدموي، عند هذا الصاعد (إلى السلطة) يبدو وسيلة مجرّبة"

خداع، تآمر، قتل، حرب

List, Intrige, Mord, Krieg

من أجل الحروب التي يريد البابا خوضها، يجب أن تكون خزينة الحرب في الفاتيكان ممتلئة.

في عام اليوبيل 1500 يأتي إلى روما مائتا ألف حاج. هناك صكوك غفران للبيع، صكوك رحمةٍ، وصلوات دينية احتفالية، فالبورجيا يحتاجون إلى المال.

من يشكّل عبئاً (عليهم) يأمر سيزر، عديم الأخلاق، باغتياله.

إنْ توفي أحد الكرادلة، تستولي عائلة البورجيا على أملاكه.

خوفاً على حياتهم،يهرب العديد ممن يرتدون الزِّي الأرجواني (الكرادلة) من روما.

تتزايد الأنباء عن تصاعد حالات الموت الغامضة، بين الميسورين من الكهنوت. حالة قتلٍ واحدة على الأقل موثقة من خلال إضبارات المحاكمة وشهودها:

"البابا الكسندر وابنه سيزر بورجيا، كلفاني بهذه المهمة"

هذا ما ردده مراراً أثناء المحاكمة القاتل المأجور، الذي تقاضى عن عمله ألفاً من الدّوكاتات. (اعترف بأنه) تسلَّم مرتين سُمّاً سلّمه إلى طباخ الكاردينال الفينيسياني الثري جيوفاني ميشيل من أجل قتله.

بعد تناوله الطعامَ المسمّمَ أصيب (الكاردينال) ميشيل بآلام معِدية رهيبة وأخذ بالإقياء المستمر.

حول ما جرى بعد الاغتيال، كتب مبعوث البندقية، ذات الأقنية، رسالة مستعجلة إلى بلده (ورد فيها):

twitter @baghdad_library

قبل أن يلفظَ الكاردينالُ ميشيل أنفاسَه الأخيرةَ، أحاط عملاءُ البابا بقصره ونقلوا أملاكه إلى قصر الفاتيكان، قبل أن تبرد جثته، حيث كان البابا (وابنه) سيزر ينتظران ليعدّوا نقودَه المسروقة، لكن أمير الكنيسة (الكاردينال القتيل) كان قد اتخذ احتياطاته مسبقاً، وأرسل الجزءَ الأعظم من ثروته الهائلة إلى (بلده) البندقية.

فيما ترك وراءه، لم يجد البابا الكسندر السادس وابنه سيزر إلا أقل مما كانا يتوقعانه، بحيث أنّ القتل لم يكن مجدياً حقاً (مالياً).

البورجيا خلقوا الأرضية التي نمت عليها الأقاويل الخيالية. حتى اليوم لا يزال يدور ادعاءٌ، بأن البورجيا كانوا يمتلكون مسحوقاً غامضاً أبيض اللون ذكي الرّائحة، وكانوا يستعملونه لقتل (لتسميم) أعدائهم بطريقة محكمة وذكية، وكان يؤدي إلى الموت بعد ثلاثة أشهر من تناوله.

هكذا يمكن فهم حالات القتل أيضاً، التي لم يكن للبورجيا (ظاهرياً) علاقة لهم بها، بحيث كانت مجريات الأمور هذه مجهولة لمعاصريهم، الذين لم يكونوا من رجال الأمن، على الرغم من معرفتهم جميعاً بوجود أنموذج قتلٍ تستعمله العائلة (بورجيا) لتصفية أعدائها.

لم يكن على الأعداء أن يموتوا فحسب، وإنما يجب أن يكون الموت مثيراً للذعر (ورادعاً) أيضاً.

"بشكل منتظم يتم الآن انتشال جثث المعارضين للبورجيا من (نهر التّيبر، مثل جيوفاني بورجيا (ابن العائلة القتيل)، حيث لا نسيان هناك ولا غفران" هكذا كتب راينهارد:

البورجيا يطمحون بكل قوة إلى (تأسيس) إمارة كبيرة، يمكن بواسطتها السيطرة على البابوية. إنهم يحتاجون إلى قوى عسكرية وإلى حلفاء أقوياء.

مناسبة فريدة عرضت لهم في نيسان من عام 1498، عندما توفي الملك الفرنسي كارل الثامن بعد إصابة بسيطة في رأسه بالجلطة الدماغية عن عمر ناهز 28 عاماً (فقط).

المؤرخون الموالون للبابا، رأوْا في هذا قوةً عليا:

الرب نفسه قام بعقاب الملك، بسبب عدم إطاعته لنائب المسيح.

البابا الكسندر السادس يشتَمُّ رائحة صفقة تجارية تبادلية، عندما توج الملك لودفيغ ـ لويس ـ الثاني عشر على عرش فرنسا.

الحاكم الجديد يبدي بوضوح رغبته في الحصول على ميلانو، ولكن لديه مشكلة ـ جاءت في وقتها بالنسبة للبابا ـ ذلك أنه يريد الطلاق من زوجته العاقر جين دي فرانس، للزواج من أرملة سلفه التي ورثت مقاطعة الهيرزوغ في البريتانيه، ليضمها للتاج الفرنسي.

إلغاء الزواج هو من اختصاص البابا، وفي هذه الحالة يطلب لذلك ثمناً باهظاً.

البابا الكسندر السادس يطالب (الملك الفرنسي) بإمارة فرنسية مربحة من أجل (ابنه سيزر) وبدعم عسكري يساعده على امتلاك مقاطعة رومانا (في إيطاليا)، وكذلك بزوجةٍ لابنه من أرقى طبقة النبلاء الفرنسيين.

تلَتْ ذلك مناوراتٌ سلطوية سياسية، كشفتْ، بشكل غير مسبوق، عن طبيعة البابا وتفكيره وأحاسيسه وأهدافه ودوافعه. الأب المقدس يُلمّ بكل زوايا الدبلوماسية:

"من الصعب معرفة أهدافه، مخادعٌ متعدد الوجوه"

هكذا جاء في تقرير أحد معاصريه. أنه يعرف بمهارة كيف يتظاهر بالودِّ، لكن لا يمكن حسبان تصرفاته الانفعالية، ما عدا أن كل شيء عنده موجهٌ نحو عظَمة ابنه.

في رسالة وجهها إلى (ملك فرنسا) لودفيغ الثاني عشر يصف (ابنه) سيزر بأنه "أغلى من كل ما يملكه في الدنيا"

الحلفُ المخطط له مع فرنسا يخدم فقط إقامة دولة البورجيا:

يعلن البابا الكسندر 6 بصراحة محرّضة (جارحة) عن ذلك عندما يقول عبارة فرنسية تعني: (منطلَقاً) من حبنا إلى الهيرتزوغ سيزر (يتم هذا).

twitter @baghdad_library

الجانبان يقابل أحدُهما الآخر بالشكوك، فكلٌّ منهما يريد أن يخدع الطرف الأخر:

البابا تسبقه سمعته التي لا تفي بالوعود. الملك سمعته هي: مدمن على البخل. البابا يقامر عالياً في لعبة البوكر هذه، وهو لا يملك، على ما يبدو، إلا ورقة رابحة في يده هي (ورقة) الطلاق.

لودفيغ 12 بخلاف ذلك، يملك أوراقاً عديدة يستعملها لتلبية طلبات البابا العديدة منه، لذا يضع البابا إشارة حاسمة:

لن يكون هناك قرار سريع بشأن الطلاق، فالزواج مقدس وهو موضوع جدي جداً، حتى إن القيام بإلغائه يعتبره مسألة ضمير. حتى يبعد البابا أية شبهةٍ عن نفسه بالرشوة، قام بتكليف لجنة من الخبراء للبت بالأمر وإصدار الحكم بشأنه.

الملك لودفيغ 12 يرى في هذا محاولة ابتزاز أخرى، لأن كل المقربين يعرفون أن إلغاء الزواج هو صفقة سياسية، والحاكم يستطيع فهم الرسالة ومابين السطور. كل التقارب الأبوي الذي يبديه البابا باتجاه الحاكم والذي سيبديه له في المستقبل يعود الفضل فيه إلى ابنه سيزر بورجيا، هكذا كتب البابا الكسندر 6 في

رسالة موجه إلى الملك لودفيغ 12 (وتابع فيها):

"إذا كان ذلك (طلاق الملك) يعني الصعود لابنه سيزر، فيمكن عندها فعل شيء ما"

لودفيغ 12يَمنح إبن البابا مقاطعةً فخمة للسيادة (تدعى): "فالانتينويس"، ولم يتوانِ الأب المقدس عن القيام بحركة الشطرنج التالية: لقد منح الملك إجازةَ الجواز مجدداً، ولكن طالما أن الزواج الأول لم يلغَ بعد، فلا يستطيع (الملك) الفرنسي الاستفادة من الإجازة بشيءٍ.

هكذا تستمر المناورات (بينهما) إلى أن يحصل (ابنه) سيزر (من الملك) على لقب هيرتزوغ ويدخل في مجمع (ducavalentino). خلال ذلك كان والده قد أرسله إلى البلاط الفرنسي، حيث يجب عليه هناك أن يجتاز تجربة الجدارة.

سيزر دخله (البلاط) كملك، برفقة حاشية كبيرة، مرتدياً بأبهةٍ ثياباً من المخمَل شديد السواد، ومعه خيول نبيلة، وأسلحة لامعة.

"البابا يبقى في روما ينتظر الأخبار من فرنسا" بلهَفٍ شديد يكاد يكون شوقاً جنونياً"، هكذا كتب أحد معاصريه، وكان يعاني من وقت الانتظار الطويل، في زمن طول طريق (وصول) الأخبار. لأشهر عديدة كان يتقلب بين نوبات الإغماء، وانفلات الغضب وبين الكثير من الاعترافات الذاتية شديدة الصراحة.

راينهارد يحكم (على الموضوع كالتالي):

"الكسندر صياد بشر من نوع خاص، أنه يصطاد بشبكة المظاهر (الوهم)" ولكن أين تقع الحدود بين الواقع والظاهر (المتخيّل)؟

المصادر التي كتبت حول المقايضة مع فرنسا تشير إلى أن (البابا) الكسندر هو نفسه (مَنْ) يعاني عند ما يكون مستقبل حبيبه (ابنه) في خطر.

"عندها تأتي النهاية فجأة للدُّعابة والمَلهاة الساخرة."

ـ هكذا يقول راينهارد ـ والبابا المعروف عنه حدة ذكائه، يبدو في بعض الأحيان ذا طبيعة ساذَجة لا يمكن فهمها، ويتابع:

"لا بريد من فرنسا، يعني (للبابا) مزاجاً عكِراً ونفادَ صبر. أخبارٌ سيئة تثير تشاؤماً عميقاً (عنده) يصل إلى حد الهوَس والجنون. كل خبرٍ جيد يثير الأُلفة فجأة والشكر العارم. كلُّ نصر يتسبب في نشوء جشع جديد.

إن ردة أفعاله الإنسانية العميقة، تلقي الضوء على ما يجعل الحبر الأعظم متماسكاً في الداخل. (إنها) العائلة.

عندما جرّ (ابنه) الفخور سيزر على نفسه، في فرنسا، إهانةً حارقة، سقط (والده) البابا الكسندر 6 في مزاج عُصابيٍ سوداوي (ميلانخوليا). لقد أراد ابن

twitter @baghdad_library

البابا غير الشرعي، أن يتزوج من ابنة ملك نابولي، وتمسّك بقوة برغبته هذه، إلى أنْ قال له مبعوث والد الفتاة بشكل واضح وقاس جداً، بأن سيده (ملك نابولي) لا يرمي بابنته الحبيبة، ولا لأي شيء في العالم، إلى (حِضن) ابنِ غير شرعي للبابا.

سيزر يشعر بنفسه مخدوعاً، (وأبوه) البابا الكسندر السادس يشعر بالإهانة ويريد تغيير المواقع، وذلك بعقد حلف مع ميلانو ضد فرنسا، ولكن الفُرقاء يتفقون في النهاية:

سيزر، (يصبح) هيرتزوغ على فالينس، ويرضى (بزواج) ابنة ملك نافارا (الإسباني) ذات الستة عشرة عاماً، وكترضية له يحصل على قوات فرنسية من أجل احتلال مقاطعة رومانا.

تحت وطأة الهجوم تسقط مدن الإمارة المشتهاة، ويبدو هدف بورجيا قريب الوصول: (إنشاء) إمبراطورية خاصة بهم.

كمهندسٍ حربيٍ كان ليوناردو دافنشي (1452- 1519)، أكبر عبقرية عالمية في كلِ زمان، في خدمة سيزر.

لقد تعلم فن الحرب في بلاط ميلانو، وصمم أسلحة مستقبلية: مدافع هاونِ تطلِق قذائف تنفجر في وسط القوات المعادية، منجنيقات تقذف ثماني كراتٍ حجرية في آن واحد معاً.

أقواس نبال مثبتة على دولاب خشبي تُبعد برمياتها المتتالية المحاصرينَ عن المكان.

لكن دافنشي لم يقم أبداً بتنفيذ مخططاته (العسكرية) وبنائها واستعمالها (على أرض المعركة).

في حملة سيزر كان هذا الفنان الملهم يعمل كتقني حربي في بناء الحصون. خلال حروبه التوسعية، قابل (سيزر) بورجيا، المثير للخوف، ثاني عبقرية عقلية في المرحلة: **نيكولو ميكيافيلّي**، سياسي وفيلسوف، مؤرخ وشاعر.

سيزر يجسّد بشكل مثالي شخصيةَ السياسي الجشع نحو السلطة، كما كان قد نشرها في عمله "الأمير"، الذي كان قد كتبه في رسالته القصيرة (كتابه) الموسومة بـ"IL Principe"

في قصر الهيرتزوغ (سيزر) في (مدينة) أوربينو يقابل ميكيافيلّي أمير الحرب المرهوب لأول مرة، في مهمة حساسة:

على ميكيافيلّي، كمبعوثٍ من قبل الميديتشي في عاصمتهم فلورينز، أن يعمل على استعادة أقمشة نفيسة تمت مصادرتها على أراضي تابعة لسيزَر، والعمل على استصدار رسائل حماية لصناعة النسيج.

البورجيا يبدأ قائلاً:

"أنا أعرف تماماً أن مدينتكم لا تكِنّ لي الودَّ. هذه الحكومة لا تعجبني، ولا يمكن لي أن أثق بها، عليكم بتغييرها"

ميكيافيلّي يستسلم أمام الرفض المرير لهذا الفاتح.

"هذا السيد سيزر رائع ومرموق حقاً" هكذا يقول عنه أمام آباء مدينة فلورينز ويطلب إعفاءه من مهمته الدبلوماسية ويعلمهم بتهديد سيزر الوقح لهم: "إن لم ترغبوا بي صديقاً، سأكون عدواً لكم"

عندها لم يبق أمام ميكيافيلّي إلا التراجع، وبنفس الوقت فإن المفكر هذا يبدو معجباً بطريقة حكم الأمير البورجيّ الشنيعة:

"عثر اليوم في ساحة البلدة على جثة" مِسّر روميرو "مشطورةً إلى نصفين" هذا يخبر عن مقتل الحاكم العسكري الذي ولاه سيزر على مقاطعة رومانيا ويتابع:

"لأنه يعجب الأمير (فعل هذا) ويدلّ على أنه يجزي الرجال حسب أعمالهم، برفعهم أو بإبادتهم"

تماماً كما كان يفعل سيزر، كان ميكيافيلّي يدعو له في كتاباته: القتل المحدد، عندما يخدم هذا تقوية الدولة.

twitter @baghdad_library

لأن الإنسان سيء، يجب عليه الزوال إذا كان من أتباع الأخلاق الموروثة. هكذا تقول فرضيته القاتمة.

"سيزر بورجيا كان معروفاً بالفظائع، وبرغم ذلك فرض السلام والاستسلام على رومانا، ولأنه دون سمعة رهيبة لم يتمكن أحدٌ من توحيد جيش والمحافظة على قوته الضاربة"

هكذا يقول ميكيافيلّي، وعنه وصلنا التقريرُ الأكثر شهرةً عن الأحداث التي جرت في منطقة سينيغاليا.

في الفصل السابع من عمله (الأمير) يتحدث عن الكيفية التي قاد فيها سيزر بورجيا زعماءَ المرتزقة لديه، إلى الكمين.

ابن البابا تصرّف كثعلب وكأسد أيضاً، بمكر وبمذابح محددة. هذا هو ما يُعتَبر في أعين ميكيافلّي الصورة المثلى لرجل الدولة.

ولكن ما الذي حصل في سينيغالّيا؟.

سيزر كان مضطراً إلى الاعتماد على جنرالات خبراء موالين له، إبان غزوه لروما، وكان أجرهم هو غنائم الحرب، ولكن عندما احتفظت (عائلة) بورجيا بكل شيء لنفسها، ابتدأ القادة بالتمرد.

البابا وعَدهم بأجر أفضل وبمسامحتهم، والجنرالات صدقوا كلمة الشرف التي أعطاها لهم الأب المقدس.

لقد وافقوا على المشاركة في حفل مصالحة كبير دعاهم إليه سيزر في سينيغالّيا، ووقّعوا بذلك على قرار موتهم.

بتاريخ 31 / 12 / 1502 استقبل الأمير (سيزر) جنرالاته أمام بوابات المدينة، وعانقهم بحرارة وركب معهم وهم يتحاورون باتجاه المدينة. كلٌّ من قادة قواته كانت ترافقه مجموعةٌ من (حرس الشرف) الجنود المدججين بالسلاح (التابعين لسيزَر)، ولكن لا أحد ساوره الشك في الأمر.

مغزى حرس الشرف هذا توضّح عندما دعاهم سيزر إلى دخول مقرّه، حيث كانت هناك جماعات انقضّت على سادة الحرب، الذين لا حول لهم، بسرعة

البرق وتغلبت عليهم وقادتهم مكبّلين. وهو العمل الذي وصفه ميكيافلّي "بالمثير للإعجاب"

في نفس الليلة يتمّ خنق اثنين منهم بدم بارد.

"قُبلة يهوذا، أمْ خيانة مشروعة على الخائنين؟ - حول هذا الأمر اشتعل النقاش في كل إيطاليا" هكذا يقول راينهارد.

سيزر يبرر فعلته بالدّفاع عن النفس، لأن القادة كانوا يخططون لقتله، واستطاع أن ينجو في الدقيقة الأخيرة.

(البابا) الكسندر السادس على علم بكل ما جرى، ويقدّم نفس التبرير ليستعمله في التخلّص من لابسي الأرجوان (الكاردينالات) غير المحببين عنده.

بينما كان البابا بانتظار وصول الأخبار من سينيغالّيا، كان يلعب بالورق مع الكاردينال أورسيني ـ Orsini، وهو من أقرباء الجنرال فرانشيسكو أورسيني، الذي وقع في قبضة سيزر.

البابا يتهم رجل الدين بمعرفته بالأمر، وعندما وصل الخبر عن "لقاء المصالحة" انتهى اللعب بالورق.

الكاردينال أورسيني يُعتقل في اليوم التالي ويسجن. بعد سبعة أسابيع يموت.

حسب قول البابا الكسندر السادس، بسبب الحزن، وحسب أهل روما بالسُّم.

كل (أهل) روما ينحنون أمام إرهاب بورجيا، والفاتيكان يتوسع البناء فيه، حتى يصبح حصناً فائق التحصين.

البابا الكسندر السادس، يدعّم "برج الملائكة" بأربعة قلاع يحرسها ستمئة جندي مسلح، يقومون بالدوريات على مدار الساعة، لحماية البابا وجماعته من أي هجوم محتَمل، لأنٍ عدد الحاسدين والضحايا والمستنكِرين يتزايد على الدوام.

نائب المسيح ومعلِّم التظاهر، تُنسب إليه قوى غير طبيعية.

twitter @baghdad_library

في آب من عام 1503 لا يعرف أحد فعلاً ماذا يكمن وراء مرضه المفاجئ، كان حركةَ شطرنج أم كان حقيقيّاً.

أخذت الإشاعات تنتشر بالتدريج عن أن "تفاحة عينه" (البابا) سيزر أيضاً، بعد عشاء مشترك مع والده، يصارع الموتَ، والإشاعات تدور حول السُّم.

"البابا المريع" يتوفى بتاريخ 18 / 8 / 1503، وحسب معلوماتنا اليوم، بسبب إصابته بالملاريا. جثة الحبر الأعظم انتفخت فور وفاته بشكل غير عادي، وتلوّنت بالأسود وخرج منها سائل قيحيٍّ، أما روحه فقد أخذها الشيطان.

جثته التي أَخذت تتفسخ سريعاً في حرارة آب، تصبح مرآةً لأعمال البورجيا المريعة(18).

لم يكد رودريغو بورجيا (البابا) يلفظ أنفاسَه الأخيرة، إلا وبدأ البحثُ عن وثائق سرية في حجرة وفاته وعن مخزون الذهب.

بعد أن تم نقل الصناديق، توارى الجميع، تاركين وراءهم البابا المتوفى وحيداً في قصر الفاتيكان.

حتى حرس المتوفى (التقليدي) لم يظهر، خوفاً من قدوم الشيطان ـ حسب زعمهم ـ لأخذ جثة البابا المتوفى.

بعد موت البابا تنهار سلطة بورجيا كبيتٍ من ورق. سيزر ينسحب، دون سلطة، عن خشبة المسرح السياسي. راينهارد يستنتج من هذا:

"أنه البرهان الأخير، على أن سيزر لم يكن إلا المنفّذ لإرادة والده البابا. مَن لا يستطيع أن يستعمل هيبته الوظيفية لا مكان له في روما.

البابا الكسندر 6، كان العنكبوت في وسط الشبكة، من دونها لا وزن لشيءٍ.

بالنسبة للباحث راينهارد تُشكل قصة سيطرة بورجيا، مادةً تعليمية تُقرأ، فهي "تصرفاتٌ من الإغراءات والعَماء بواسطة سلطة غير محدودة"

---

(18) (الأعراض الموصوفة أعلاه، وبخاصة ما يتعلّق بتلون الجثة بالسواد والتفسخ تشير ـ حسب رأيي كطبيب، قدم رسالة الدكتوراه في "الفارماكولوجيا ـ علم الأدوية" في جامعة هامبورغ بألمانيا (غ) ـ إلى احتمالية وجود حالة من التسمّم بالزرنيخ القاتل). المترجم

(البابا) يوليوس الثاني

قيصرٌ على عرش البابويةِ

Julius II

Caeser auf dem papstthron

بعد (وفاة البابا) الكسندر السادس، تولى رجـلٌ القيـادةَ، ليـدخل التـاريخ تحت (لقب): "منقذ البابوية"

إنـه الكاردينـال "جوليـانو ديـلاّ روفـيرهْ G. d. rovere" الـذي وصـل إلى منصبه الكَنسيّ الرفيعِ بفضل (مساعدة)عمه البابا "سيكْستوس الرابعٍ ـ Sixtus IV الذي منحه القبعةَ الحمراء (قبعة الكاردينالية) وعمره 28 عاماً.

على الرغم من كونه المرشح الأكثر محبّة في خَلوة عام 1492 ـ (لانتخاب البابا الجديد) ـ إلا أنه كان دون حظ بالفوز، أمام ممارسات الفساد والرشـوة التي استعملتها (عائلة)البورجيا.

الآن، وبعد القضاء على سلالة (بورجيا)، دَقّت ساعته، ليصـل إلى عـرش البابا تحت اسم "يوليوس الثاني"، بعد انتظار دام أحد عشـر عامـاً، وبـنفس طريقتهم: لقد اشترى لنفسه المنصبَ بتقديم هدايا ضخمة إلى الكاردينالات.

لا حدّ لكرهه على "البورجيا"، وهدفه هو وَشْمهم بالمسؤولية عـن محابـاة الأقرباء، الذي لم يعد له من ضابط، والحدّ منـه مـا أمكـن، هـذا إلى جانـب تثبيت (أركان) دولة الكنيسة.

twitter @baghdad_library

نهاية البورجيا

لم يكد (البابا يوليوس الثاني) يتسلّم منصبه، وهو القادم إلى النَّعماء والسلطة عن طريق محاباة الأقرباء، إلا وأمر بإلقاء القبض على "سيزَر" (ابن البابا الراحل)، واعداً باستعادة كل ما وقع تحت قبضة البورجيا من مناطق، وبالقوة.

(سيزَر) أُحضِر إلى روما، حيث قام (البابا) يوليوس الثاني بتهديده بالسجن مدى الحياة. بعد مفاوضات شاقة يوافق سيزَر على التخلي عن مملكته في رومانا (إيطاليا)، ولكنه يقوم بلعبة مزدَوجة، بمعاونة قادته (العسكريين).

بتاريخ 20 / 8 / 1504 يأمر "يوليوس الثاني بنقله (سيزَر) إلى اسبانيا (وطن البورجيا الأصل)، حيث يقوم الملك هناك بسجنه في برج قصر مدينة ديل كامبو –medina del campo" (الباحث) لودفيغ باستور يكتب:

"لا أحد يدخل إليه. في عذابات هذه الحياة، وبعد أن فشلت كلُّ خططه ونزواته ومقرراته ذات الرائحة الكريهة، واغتيالاته التي كانت دون جدوى، بعدها أخَذ سيزَر بالاهتمام بتطيير صقوره، حيث كان يشعر بالفرح عندما تقتل عصفوراً بريئاً"

على الرغم من الحراسة الشديدة تمكّن، من الهرب، ليموت سيّدُ الحرب الموهوب، بعد عام من هروبه، وعمره 31 عاماً، في مشاجرة لا أهمية لها حدثت له في (جبال) البيرينيه.

البابا الجديد (يوليوس الثاني) لم يعد عليه بعد الآن أن يخشى البورجيا، ولكن عليه أن يخشى أنصارهم في الفاتيكان.

بما أن حياته هناك (في الفاتيكان) لم تكن آمنة، فقد قام باستدعاء حرس شخصي جديد، يمكن الاعتماد عليه: الحرس السويسري، الذي لا يزال يقوم بمهمة حراسة البابا حتى اليوم.

رسالة تعريف: يوليوس الثاني
Steckbrief: Julius II

ولـد "جوليـانو ديـلا روفـيرهْ" بتـاريخ 5 / 12 / 1442 بـالقرب مـن (مدينة) سافونا (الإيطالية)، ونشأ في عائلة متواضعة الثراء.

دخل إلى تنظيم "الفرنسيسكان" (الديني) في شبابه، وأصبح كمحبَّـب مـن قبل عمه (البابا) "سيكْستوس الرابع" كاردينالاً، وكان يثق به ويعـرف متانـة أخلاقه، وتربيته شديدة التقشف التي تعلمها كراهبٍ شحّاذ (فرنسيسـكان)، وهو ما عاشه هو بنفسه أيضاً.

كان جوليانو يتميز مـن أقرانـه المحبـبين مـن البابـا والجشِعين، وكـان ينتقد، دون جدوى، تصرفاتهم.

لكـن هـذا لم يمنـع الكاردينـال، من أن يطـوّر نفسـه إلى سياسـي سـلطة وبشـكل كـبير، وهـو الـذي لم يكـن مـن النـادر لـه أن يلعـب لعبـة "فابانـك – vabanque" (التي تشبه لعبة البوكر بالورق، يُقامَر فيها بوضع كل شيءٍ على ورقة واحدة).

تحت حكم الحَبر الأعظم (البابا) الكسـندر السـادس، الـذي حـاول عـدة مرات الاعتداء علىٍ حياته، كان "جوليانو ديلاّ روفيرهْ" يجول مع حاشيته في أوروبا، باحثاً دوماً عن حلفاء ضد عدوه اللدود المتوج بالتيارا (طاقية البابا).

تحت تأثيره، قرر الملك كارل الثامن تنفيذ خططه القديمة بمهاجمة نابولي وإنهاء عزلة إيطاليا المحببة.

بعد زوال حكم البورجيا، الذين اسـتغلوا مناصبهم كـثيراً، وانتخابـه لوكالـة المسيح عام 1503، كان أقربـاؤه يحيـون حيـاة رغيـدة، وبخاصـة منـهم ورثـةُ (مقاطعة) "هيرتزوغ أوربينو"، لهذا كان بإمكانه أن يتفرغ لتحقيق أهداف عليا.

كبابا، كان من أهم كبار الداعمين للنهضة، الذي حاول من خلالها تحقيق رؤى عمه عن نشوء رأسٍ (قائدٍ) روماني جديد للعالم.

twitter @baghdad_library

وضَع حجر الأساس لبناء كنيسة بطرس (في روما) وكلّف الفنان ميكائيل أنجلو بإكمال الأعمال في الكنيسة السكْستينية، وترك (الفنان) **رفائيل (اسمه رافائيلّو سانتي ـ Raffaello Santi**،
(1483- 1520) يُنجز برنامجاً من اللوحات التي تمجد البابابوية، كبؤرةٍ لعلوم العالم جميعها.

رفائيل رسمَ للبابا يوليوس الثاني لوحةً، تعتَبر الأكثر خصوصية بين كل ما رُسم للباباوات من لوحات:

إنها صوره رجل تقدّم به العمر يتمسك بكرسيّه بقوة وهو غارق في أفكاره. عينان ممتلئتان عميقتان مع نظرة نحو الداخل (تأمّليةٍ)، شفتان مغلقتان بشدة، لحيةٌ طويلة بيضاء، تجسد الحكمة وتشهد على وجود شخصية رفيعة، وحياة غير اعتيادية.

رفائيل رسم يوليوس الثاني كحاكم يدير العالم.

لكن كيف كان هو في الواقع، نائب المسيح، الذي حمل، كحالة فريدة، السيف والرُّمحَ؟. "البابا المحارب"، هكذا لقبه معاصروه، هذا البابا قوي السلطة هو الذي كان يقود قواته إلى المعارك بنفسه.

الناس الذين عاش معهم يرسمون صورة شديدة التأثير عن طباعه، حيث تبهرهم قوة إرادته الشديدة وشجاعته التي لا تقهر. إنه ذكيٌ جداً وغَضوب جداً. ولهذا لا يمكن تخمين تصرفاته، حيث كان يغير قراراته بين ساعة وأخرى.

كتب (المؤرخ) لودفيغ باستور:

كان على كل شيءٍ أن يخضع َلطاقة إرادته، حتى جسده الذي حلَّ به (مرض) النقرس: (هو مرض يصيب المفاصل وينجم عن زيادة حمض البول في الدم). كلّ شيءٍ عنده يفوق المقياس العادي (ولَهُه)، كذلك مخططاته، تصرفاته الفظة كانت تثير عند المحيطين به الرُّعبَ، ولا توقظ عندهم الكُره، لأنه لم يكن هناك شعور بأن هذا الذي يجري كان يصدر عن دوافع ذاتيَّة (أنانية).

إذا أمسك بفكرةٍ فإنّها تَستحوذ عليه بالكامل، ويمكن للمرء رؤية ذلك على ملامحه، حيث يتمتم بها بين أسنانه.

لقد اعترف بأن عليه أن يرتكب جنحةً فيما لو لم يقم بالتحدث عنها (الفكرة). ما كان يضعه في الرأس، كان يعلن عنه بقوة البركان، ويصل به إلى نهايته، حتى لو كلّفه ذلك حياته. إنه رجل الأفعال، مع موهبة استراتيجية غير عادية .في طبيعته العملاقة توجد المادة التي يُصنع منها الملوك وقادة الحروب، أكثر مما يُصنع منها الكهَنوت.

هذا ما يورده لودفيغ باستور عن مصادر معاصريه (البابا).

في الزمن الحالي المعاصر، لا توجد دراسات تحليلية معمقة كافيةٌ عن زمن حكم (البابا) يوليوس الثاني، عن تفكيره ومشاعره، عن إيمانه ودوافعه السياسية.

لودفيغ باستور، يعطي عنه، أواخر القرن التاسع عشر، حكماً نهائيّاً عندما قال:

كوكيل للمسيح، لم يكن من الجائز له أبداً أن يقوم بالحروب. هذه النظرة لم تأخذْ بالحِسبان الدّور الذي كان على البابا أن يلعبه كحاكم أرضي وروحي. الدفاع عن دولة الكنيسة وحمايتها بقوة السلاح. عالَمُ النهضة الإيطالي كان يرى في هذا: "عملاً يستحقُّ الثناء ويمكن اعتباره دينياً" ـ باستور ـ

دون السلطة الأرضيّة،كان من الممكن للسلطة الرّوحية أن تدمَّرَ، وهذا هو التكليف يومها لإعطاء الشرعية إلى حملات البابا العسكرية.

مثل هذه (الأفكار) كانت تجد معارضة قويَة لها، وبخاصّة في شمال (جبال الألب، حيث الشعور بهيمنة البابا الطاغيةِ والمتزايدة كقوةٍ لا يمكن تجاهلها.

بعد أن تمكن "البابا المحارب – **il papa terrible**–" من درءِ خطر القوة العسكرية الفرنسية المتفوقة على إيطاليا.

كتب ميكيافيلّي التالي:

"ذات يومٍ كان يظُن حتى أصغر البارونات، أنّ بإمكانه تجاهل القوة البابَاوية. الآن تثير (هذه القوة) الاحترام حتى عند ملك فرنسا"

دون شك قام (البابا) يوليوس الثاني بتقوية سلطة الباباوات الأرضيّة، ولكن ليس على الدّوام.

twitter @baghdad_library

تحت (حكم) الخلَف الثالث الذي جاء بعده (بعد البابا يوليوس الثاني) ـ (وهو البابا) **كليمِـنس ـ إقليمِنْضُـس ـ السـابع (1523– 1534)**، فقدَت (البابَاوية) هذه المقامة المحترمة.

الفرنسيون "المطرودون"، عادوا عام 1515 لاحتلال ميلانو من جديد.

الإصلاح الكنَسي عند يوليوس الثاني، لم يكن بأكثر من وسيلة للسلطة، وحتى القرارات التي اتخذها مجمع لاتيران، الذي دعا لانعقاده لأسباب سياسيّة محضة، بقيت دون قيمةٍ.

هكذا كان حكمُ العالَم اللاحق (على للبابا) حُكْماً مزدوجاً، كما كان عليه الحال عند معاصريه، فبينما كانت القوى الداعمة للإصلاح ترغب في وجود بابا يرعى الأرواح، معبرة عن حالة التديّن الشديدة واحتياجاتها في ذلك الوقت، كانت القوى الروحانيّة (الأخرى) ذات النزعة الإنسانيّة، تمجّد "(القيصر يوليوس سيزر الثاني ـ (البابا) ـ الذي سيوحّد العالم في إمبراطوريته.

بعد انتهاء (حكم عائلة) البورجيا، يريد يوليوس الثاني أن يتوجه نحو أهدافٍ أسمي. إنه يريد تحقيق الخطوة الكبرى التي ابتدأها عمُّه وداعمُهْ 371

البابا سيكْستوس الرابع بجعل روما "رأس (عاصمة) العالم ـ **caput mundi**"

يوليوس الثاني وظّف كبار الفنانين في عصره، من أجل القيام بحملة دعائيّةٍ ضخمة تهدف إلى إضفاءِ ألق جديدٍ على البابَاوية.

المشروع الأول كان بناء ضريحٍ هائل الضخامة، يريد من خلاله أن يضع لنفسه تمثالاً تذكارياً.

(الفنان) ميخائيل أنجلو، يدفعه طموحٌ حارقٌ، فيقوم بتجهيز مشغَل لنفسه في ساحة القديس بطرس.

مخططاته لها البناء التذكاري العملاق (القبر) لا تجد مكاناً لتحقيقها داخل كنيسة بطرس القديمة. هذا الأمر يقود البابا إلى فكرة توسيع بناء بيت الله، وإعطاء حكمه (بذلك) إطاراً أكثر مجداً. فكرة ابتدأت بتجربة قوةٍ بينه وبين فنانه العبقري (م. أنجلو).

فنانون متصلِّبو الرَّأي وغَضوبونَ

Eigenwillige u.Zornige Kuenstler

أمضى ميخائيل أنجلو شتاءَ عام 1505 / 1506 في مقالع الرُّخام بمنطقة كَرّارا، ليختار لعمله الضخم (بناء ضريح البابا) أجود الأنواع منها. تأخر وصول كتل الصخر المرمرية (إلى روما) التي يصل وزنها إلى ألفي طن. البابا أخذ يوجه اهتمامه (الآن) أكثر فأكثر نحو توسيع كنيسة بطرس، وقرر في نيسان من عام 1506 أن يوقف ضخّ الأموال في مشروع بناء ضريحه وحجب عن الفنان النحّات الغَضوب (أنجلو) مقابلته الشخصية.

عوضاً عن أنجلو، صعد المهندس (والفنان) دوناتو "برامانته – Donato Bramante" (1444 – 1515) سُلّم المفَضَّلين عند البابا، وبدأ العمل في تصميم خطط بناء الكاتدرائية الجديدة.

إنها إهانةٌ لميخائيل أنجلو، الذي تَقرر له أن يعمل على تنفيذ رسومات قبّة الكنيسة السّكستينيّة المرهقة.

ميخائيل أنجلو يغادر روما غاضباً، ويُقال أنه نادى، وهو عازمٌ على المغادرة وعدم العودة إليها:

" قولوا للبابا، إنْ احتاجني مستقبلاً، فعليه أن يبحث عنّي حيث أكون.

لحق به رُسلُ البابا، ولكنّ العبقريّ ظلَّ متصلباً (متشبثاً برأيه): إنه لم يكن يستحقّ أن يعامل كرجل سيئٍ ويُصرف من القصر، ولا رغبة لديه بتحمُّلِ مسؤولياتٍ جديدةٍ، (ولاسيما) بعدَ أن عزف البابا عن مشروع بناء ضريحه.

"المتصلِّب الأعظم" – (أنجلو) – في عصر النهضة هرب إلى فلورينز، وتتالت الرسائل إلى هناك، ذهاباً وإياباً: البابا يوليوس الثاني يريد استعادته بكلِّ قواه.

رئيسُ (جمهورية) مدينة أرنو صرخ به قائلاً:

twitter @baghdad_library

"لقد تعاملتَ مع البابا بطريقةٍ لم يكن حتى ملك فرنسا يجرؤ على معاملته بها. الآن جاءت نهاية التّرجي،فنحن لا نرغب أن نبتدئ حرباً (مع البابا) لأجلك "، ولكن هذا بقي دون فائدة.

في رحلةٍ قام بها البابا إلى مدينة بولونا بتاريخ 27 / 11/ (1506) تمّ لقاءُ المصالحة بين العملاقين. ميخائيل أنجلو ركع أمام يوليوس، طالباً منه، بصوتٍ عالٍ الغفرانَ، فهو لم يغادر (روما) تلبيةً لرغبةٍ شريرةٍ وإنما كان في (حالة غضب). بملامح مضطربةٍ أطرقَ البابا برأسه، فقام أحد كبار الكهنوت (برتبة بريلات) بالقول: "صاحب القداسة، لن يعطي لغلطة ميخائيل أنجلو أهميةً، لأنه مثل كلّ الفنانين إنسانٌ دون تربيةٍ"

(البابا) يوليوس الثاني صرخ به قائلاً:

"أنت تجرؤ أن تقول لهذا الرجل أشياءَ لم أكن لأتفوّه بها. أنت هو الرجل الذي لا تربية لديه، أيها الحقير، وليس هو"

لودفيغ باستور كتب:

"البابا يُسامح النحات متصلبّ الرأي، بلطفٍ واحترامٍ و "يُحرج اليدين اللتين ترغبان بالعمل على الرخام (النحت) فقط بتسلّم الفرشاة (لينفذ رسومات قبّة الكنيسة)"

بدأ ميخائيل أنجلو بعمله الفريد المميَّز برسم اللوحات الجدارية على قبة الكنيسة السكستينية.انقضت ستة أعوامٍ وهو يرسم مشاهد عن قصة الخلق من العهد القديم.

بجهدٍ يكاد يفوق طاقة الإنسان، أنجزَ "عجيبة الدنيا التاسعة"، وهو في الستين من عمره. يوماً تلو يومٍ كان يستلقي على ظهره فوق سقيلةٍ خشبيةٍ معلقة تحت القبة، وكانت الألوان تتساقط على وجهه.

عندما أُنجز العمل أخيراً في عام 1512، وكشف النقاب عنه، أثار عاصفةً من الإعجاب. في أثناء ذلك كان المهندس برامانته قد أقنع البابا بإزالة

كنيسة القديس بطرس القديمة، أكبر مقدسات المسيحية، والاستعاضة عنها ببناء بيت فخم لله.

في أعماق برامانته كانت تشتعل نارُ مهووس، يريد إزاحة ضريح صياد السمك الفقير على بحيرة طبرية (بطرس) والاستعاضة عنه

ببناء قصر كنَسي يعكس سلطة البابا ـ الملك.

فكرة البابوية تتطلب وجود بناء مركزي ذي قبة فوق قبر أمير الرسل بطرس، ولكن في مركز الكنيسة الجديدة سيكون ضريح البابا، وهكذا ستصبح كنيسة أمير الرسل ضريحاً شخصياً تماماً له.

منذ البدء كان كلُّ شيءٍ يتمحور حول القبة الضخمة جداً، التي ستكون أكبر مما قد تمّ بناؤه سابقاً، بحيث ستصبح قلب الكنيسة الجديدة والرؤيا الأكبر التي يجب تحقيقها.

لو تم تنفيذ الكاتدرائية فعلاً استناداً إلى مخططات (المهندس) برامانته، لكانت قد غطت مساحة 24 ألف متر مربع أي لكانت أكبر بثلث مساحة البناء الموجود حتى اليوم.

بتاريخ 18 / 4 / 1506 تم وضع حجر الأساس لبناء الكاتدرائية، بعد أن قام المنجّمون بتحديد الوقت لذلك بعنايةٍ فائقةٍ، كما يزعمون.

في موكب احتفالي تقدّمه البابا يوليوس الثاني، يرافقه الكاردينالات و"البريلاتُ" ـ رتبة كنَسية عليا ـ، نحو حفرة القاعدة بعمق ستة أمتار، حيث نزل إليها البابا شخصياً ليبارك حجر التأسيس، من المرمر الأبيض، المنقوش عليه:

"في العام الثالث من حكمه، قام البابا يوليوس الثاني بإعادة بناء هذه "البازيليكا" (كنيسة بطرس)، المخربة جداً"

من وسط هذه الحفرة سيرتفع لاحقاً أحدُ الأعمدة الأربعة التي ستحمل القبّة، الذي يطلق عليه اسم القديسة فيرونيكا.

2500 من العمال سيعملون لاحقاً على تنفيذ خطط البناء الطموحة.

twitter @baghdad_library

هضبةُ الفاتيكان، بما تحتوي عليه من عدّة ومواد بناء: حبالٌ رافعةٌ — سقالاتُ بناء — (ورشاتُ) حدادة وجبالٌ من الحجر وألواح الخشب، تصبحُ أكبر ورشة بناء في أوروبا.

لكن من أجل بناء الجديد لابد من إزالة القديم. البابوية التي بدت بعيدة عن كلِّ التّبدلات التي يجلبها معه الزمان، والراسخة على قواعد ثابتة لا تتغير، بدا وكأنها تقدِم على خطوة ذات دلالة رمزية خطرة، وهي تهدم البازيليكا القديمة الموقّرة، وهكذا وقع البابا، بهدمه لمركز العالم المقدس (كنيسة بطرس) في بؤرة الاحتجاجات، ولكن البابا يوليوس الثاني يتمسك بقراره، برغم وجود مالا يعجبه (في الأمر)، ويرى فيه تجاوزاً بعيداً:

(المهندس) برامانته يريد نقل القبر (قبر الرسول بطرس)، ليضع مكانه المسلة الفاتيكانية (الفرعونية) في مدخل الدّوم الجديد، حيث ستؤدي رؤية هذا العمل الهائل إلى رفع وتيرة الشعور الديني عند المؤمنين، قبل دخولهم الكنيسة.

هذه كانت حُجة المهندس، ولكن البابا منعه من لمس قبر البابا الأول (بطرس).

خلال ذلك كان برامانته يقوم بأعمال الهدم على كنيسة بطرس القديمة كالمهووس، حتى أنهم أطلقوا عليه لقب "معلّم الخرائب"

أعمدةٌ أثرية، كان من الممكن الحفاظ عليها بالمعاملة المتأنية، أمر بهدمها وتحطيمها دون رأفة. في البازيليكا المحطمة المليئة بالأنقاض والأقذار، كان البابا يتابع القيام بالصلوات المقدسة الاحتفالية. فوق المذبح مباشرة، حيث يوجد تاجٍ البابا، كان ثمة فجوة يدخل منها المطر والريح، مما يؤدي إلى انطفاء الشموع مراراٍ.

خرائب البازيليكا القديمة وبعض أجزاء البناء الجديد، كانت تشكل تضاداً دراميا، مما حدا إلى تشكيك المعاصرين له في إمكانية انتهاء البناء، ومع ذلك كان من الممكن، خلال حكم يوليوس الثاني، أن ينتهي بناءُ الأعمدة الأربعة، التي ستحمل القبة بعد أعوام عديدة.

بنشاط كبير يقوم البابا بإنشاء عاصمة المسيحية الجديدة،حتى قبل أن تنتصر حروبه بوقت طويل.بعد طرد البورجيا ـ (عائلة البابا السابقة) ـ رأى

البابا أن المهمة السياسية الكبيرة القادمة التي تقع أمامه، تكمن في إعادة تثبيت سيطرة البابوية على إيطاليا، وفي تحريرها من السيطرة الفرنسية.

يوليوس الثاني، الحبر الأعظم، كما يطلق هو على نفسه في إحدى الميداليات، يريد أن يستعيد الجلالة البابوية التي فقدتها تحت حكم البورجيا.

إنه يجلس كملكٍ مزوَداً بالسلطة السياسية، وبالقوى العسكرية الضاربة، والأبنية التي تجاوزت كل الأبعاد المعروفة (سابقاً).

عظَمَة البابوية ليست من هذا العالم، وكما كتب أميرُ ذوي النزعة الإنسانية "إراسموس من روتردام ـ E.v.Rotterdam"، في عمله الساخر حول يوليوس الثاني، فهي تكمنُ في الصلاة وقيام الليل والتضحية بالذات من أجل المسيحية.

كلّ هذا كان في تراجع، بل وعلى العكس منه، فقد فهم البابا نفسه كقيصر ثان مهيمن على العالم يتسلم إرثَ الإمبراطورية الرومانية، حتى إن (هذا البابا) لم يتورع عن تجريب موهبته العسكرية. إنه يريد بنفسه كبابا، أن يدير السيفَ في المعركة ضد الفرنسيين.

لودفيغ 12 (الملك الفرنسي)، الذي وقف طويلاً إلى جانب البورجيا لديه خطط جريئة:

نيقولا ميكافيلّي (1496 – 1527) يقول عنه إنه يريد أن يخلق فوق إيطاليا: "سماء جديدة فوق أرض جديدة" الملك يريد أن يقود بنفسه الجيش ضد روما ويعزل البابا.

البابا يوليوس الثاني، يتمكن من تكوين حلفٍ قوي ضد عدوّه الفرنسي: مَكسِيميليان ـ (القيصر الروماني الألماني / النمساوي)–، هاينريش الثامن – ملك إنكلترا –، وفرديناند الإسباني، يستطيع البابا كسبهم لمصالحه السياسية، كما أنه يستطيع أن يجد لنفسه دعماً عسكرياً عند التحالف السويسري، الذي يقوم بحماية الكنيسة والكرسي المقدس (الحرس السويسري الموجود حتى اليوم)، والذي يُلزم نفسه بتقديم ستة آلاف محاربٍ ضاربٍ.

twitter @baghdad_library

بابا كقائد قواتٍ ناريٍّ

Ein Papst als feuiriger Truppenfuehrer

البابا يوليوس الثاني هو رجل إرادة قوية جداً وشجاعة كبيرةٍ. خطّته هي مهاجمة الفرنسيين في كل مناطق وجودهم (في إيطاليا)، دفعة واحدة.

تعتبر المعركة بالنسبة "للشيخ الناري"، كما يطلقون عليه، أشدَّ امتحان له في حياته. البابا ينطلق بحملته العسكرية تحت هطل أمطار شديد، ويصاب بنوبات ارتفاع حرارة قويّة، دفعت به إلى التقلب دون نوم، في فراشه ليلاً، وإلى هذَيان حَروري، دفعه للقول بأنه يفضل الأسر الفرنسي على الموت الطوعي.

مؤرخ حياة البابا "لودفيغ باستور" يكتب:

"عندما سمع، بأن الشعب المسلح يردد اسمه دوماً، قفز من سرير مرضه، وأمر بحملِه إلى الشرفة "، حيث منح بركتَه إلى الجنود (قائلاً): الآن انتصرنا على الفرنسيين "، تحت عاصفة من تصفيق الحضور.

يتابع باستور: "بتاريخ 2 / 1 / 1511 عاش العالمُ مسرحيةً، غير معتادة، عندما قاد البابا جيشه ليحاصر (الفرنسيين)، دون اكتراث لعمره (67)عاماً، ولهيبته البابوية وبرغم برد الشتاء القارس"

قال عنه مبعوثُ فينيسيا:

"يوليوس الثاني يكره الفرنسيين الآنَ، أكثر من أي وقت سابق. إنه يتفقد قواته اليوم وسط الثلوج على الحقول. إن له طبيعةً عملاقةً"

أثناء حصاره لقلعة فيرّارا يسكن وكيل المسيح، في مطبخ دير، وينجو بشجاعة من كرات المدافع المتساقطة (قربه). إنه يهدد باستباحة المدينة ونهبها، ويتوصل إلى استسلام القلعة بعد ثلاثة أسابيع (من الحصار)"

يقول أحد تقارير (عصره):

"كان عدم صبره كبيراً، (يتوق) لدخول المكان المحتل"، حتى إنه لم ينتظر إزالة الأنقاض من وراء البوابة المفتوحة (للقلعة)، وإنما دخل المكانَ عن طريق سلم خشبي.

في اليوم التالي تحدث عن رغبته شخصياً بقيادة الجيش إلى مدينة فيرّارا. البابا الذي يذهب إلى الحرب ويقود الجيش شخصيّاً، والذي (يدعَهم) يصورونه حاملاً السيف بدل الكتاب، يثير الاستنكار في كل أوروبا، ويقدم لملك فرنسا ذخيرةً للقيام بحرب دينية.

لودفيغ الثاني عشر، الذي لا يستطيع قهر الحبر الأعظم عسكرياً، يهدده بالدعوة إلى عقد مجمع الكرادلة، ويتوصّلُ بذلك إلى انقسام المجمع. من خلال الإعلانات التي يصدرها الملك، يحاول تحريك المشاعر ضد البابا، وفيها يرِدُ الحديث ُعن رأس الكنيسة الذي:

"يرتدي الدّروع كالعسكر تماماً، ولا يستطيع بشَرَهِ أن يترك الحرب، وإنْ كان من الأفضل له أن يرتدي جزمةَ الرقص"

الصور المهينةُ (على الإعلانات) تُري الحبر الأعظم، وإلى جانبه رايةٌ ملقاة بين الجثث، وعلى مقربة من عرش البابا الفارغ، يقف لودفيغ الثاني عشر (الملك الفرنسي)، في زِيّ محارب، يقوم بحراسة العرش (البابويّ).

في تموز / يونيو من عام 1511، بدا كل شيءٍ خاسراً (للبابا).

بولونا، إحدى أجمل مدن دولة الكنيسة وأكثرها ثراء، يتمّ تدميرها، بما فيها تمثال الشرف التذكاري البرونزي الذي نفّذه للبابا يوليوس الثاني (الفنانُ) ميخائيل أنجلو، والذي أُسقِط عن قاعدته.

القيصر (الألماني ـ النمساوي) ماكسيميليان تحوَّل إلى الجانب الفرنسي، وقام بدعم الكرادلة المنشقين.

عاد البابا، دون قوة ومريضاً، إلى روما ويائساً من تحقيق أمله، الذي كان عنده قبل تسعة أشهر، بطرد الغزاة (الفرنسيين) من كل إيطاليا. قواته الآن مشتتةٌ، ويمكن للعدو الآن السيطرة على دولة الكنيسة بكاملها. على القيصر (الجالس) على عرش البابوية، أن يحسب حساب إسقاطه. حمايته الوحيدة هي جلالةُ المنصب الرفيعة.

(المؤرخ) لودفيغ باستور يتساءل:

twitter @baghdad_library

"هل كانت الرهبة الدينية، أم الخوف من إثارة مشاعر العالم كله ضده، هي التي دفعت الملك الفرنسي، إلى عدم اتخاذ أقصى الإجراءات (ضد البابا)؟"

يوليوس الثاني يفاوض ويرد بجرة شطرنج مفاجئة:

إنه يصرّ على واجبه في الوقوف بوجه اتجاهات الاتقسام الكنَسي الخطيرة، ويعتبر إعلان الكرادلة المنشقين عنه لاغياً.

البابا يدعو بنفسه إلى انعقاد المجمع الكنَسي (كونزيل) في (قصر) لاتيران، ليفتتح أعماله في 19 / 4 / 1512، ويبدو أنه تمكن من ضرب أعدائه بنفس أسلحتهم، غير أن القوة الفرنسية الفائقة في إيطاليا تبقى تشكل تهديداً للباباوية، (لذا) يخطط يوليوس الثاني إلى التحالف مع إسبانيا.

كانت المفاوضات (مع الإسبان) في ذروتها عندما أصابتْ نوباتُ من الحمّى الشديدة الحبر الأعظم، ذا الطبيعة العملاقة، حتى إن الأطباء قالوا بموته القريب.

الخبرُ الذي انتشر كالنار وتسبّبَ في قيام الفوضى في روما.

مبعوث فالينسيا يكتب:

"لم يسبق أن سيطرت، عند موت أحد الباباوات، مثل قعقعةِ السلاح هذه، ولم يكن الخطر يوماً ما أشدّ مما هو عليه الآن، فليكن الله إلى جانبنا"

النبلاءُ يرفضون السيطرة الروحانية (للكنيسة)، ويطالبون بحرية الجمهورية.

مجمعُ الكرادلة ينعقد للتحضير لمراسم الدفن، وللتخطيط للخَلوة (الانتخابية).

مرة جديدة تقوم الرهانات حول (اسم لابس) التيارا (الزِّي الباباوي) الجديد.

لأربعة أيام متتالية رفض البابا المريض تَناول الطعام، حتى سَمح له أحد الأطباء بتناول ما يشاؤه من الطعام.

ما جرى بعد ذلك، يصفه رئيس التشريفات الباباوية "بارس دي غراسّي

"اشتهى المريض الدّراق، الجوز، الخوخ، وغير ذلَك من الفواكه، لم يأكلها وإنما قام بمضغها فقط. بعدها سألَ بنَهمٍ عن بصل صغير، وعن فريز (فراوِلة)، وقام بالمضغ فقط. أخيراً أكل عدداً منً ثمار الدّراق والخوخ وشرب أيضاً، وسقط في نومٍ خفيفٍ. استمرت هذه الحالة مدة يومين"

استمر التأرجح بينٍ الأمل واليأس إلى أن صحا البابا، الذي كان من المنتظر موته، من غيبوبته كما لو أنها كانت معجزة.

بعدها بقليل أتمَّ (البابا) "الحلف المقدس" من أجل وحدة الكنيسة وحماية دولة الكنيسة، بعد أن استطاع أن يكسب إليه، إلى جانب إسبانيا، البندقيةَ، ميلانو، وإنكلترا في الحلف ضد فرنسا.

الكرادلة المنشقون، هدّدهم بالطرد الكنسي (الحِرمان)، وبإقصائهم عن مناصبهم، إن هم لم يعودوا إلى طاعة الكنيسة الشرعية.

المجمع المنعقد ضد بابا الحرب في تشرين الثاني / نوفمبر من عام 1511 في الدوم ـ الكنيسة الكبرى ـ في (مدينة بيزا)، بحضور أربعة من الكرادلة وما يقارب العشرين أسقفاً ورئيس دير، فشل فشلاً ذريعاً.

خمسون من البريلات (رتبة كنسية رفيعة) فقط حضروا، وبعد أيام جرى عراكٌ دمويٌّ بين الجنود الفرنسيين وخدم الكاردينالات، شارك فيه جيش فلورينس وبيزا.

ورد في أحد المراجع: "الشعب اقتحم ساحة مسكن رئيس المَجمع، حيث كان المنشقون مجتمعين، وهم يصرخون: اضربوهم حتى الموت"، وهذا ما يعتبرُ انتصاراً بالنسبة ليوليوس الثاني، لكن فرنسا لا يمكن قهرها عسكرياً، وستستمر الحرب حتى نهاية حكمه.

في مجمع لاتيران (نسبة إلى القصر في روما)، المنعقد بتاريخ 12 / 5 / 1512، لخّص الرئيس العام لجماعة الدّومينيكان (المدعو) كايتان، في خطابه موقف البابا، من حيث المعتَقد:

"على البابا أن يقلّدَ سلطةَ الله، (في) الكمال والحكمة. السلطةُ (موجودةٌ) حيث يوجد سيفه في حزامه، لأنه يمتلك سيفين: أحدهما يجمعه مع الأمراء الأرضيين، والآخر يخصه وحده فقط. إنه سيف الكنيسة ضد الأخطاء والانقسام"

مما لاشك فيه، أن البابا تمكن، من خلال منعه حدوث أعمال لا أخلاقية مفرطة، ومن الحد من (ظاهرة) محاباة الأقرباء، وقبل كل شيء تركيزه على مهام وظيفته، من استعادة احترام الباباوية في إيطاليا، التي كانت بأمسّ الحاجة إليه، بعد ما خرّبته البورجيا من خرقها لكل المعايير العادية وفقدانها لرأسمال الثقة (بالباباوية).

twitter @baghdad_library

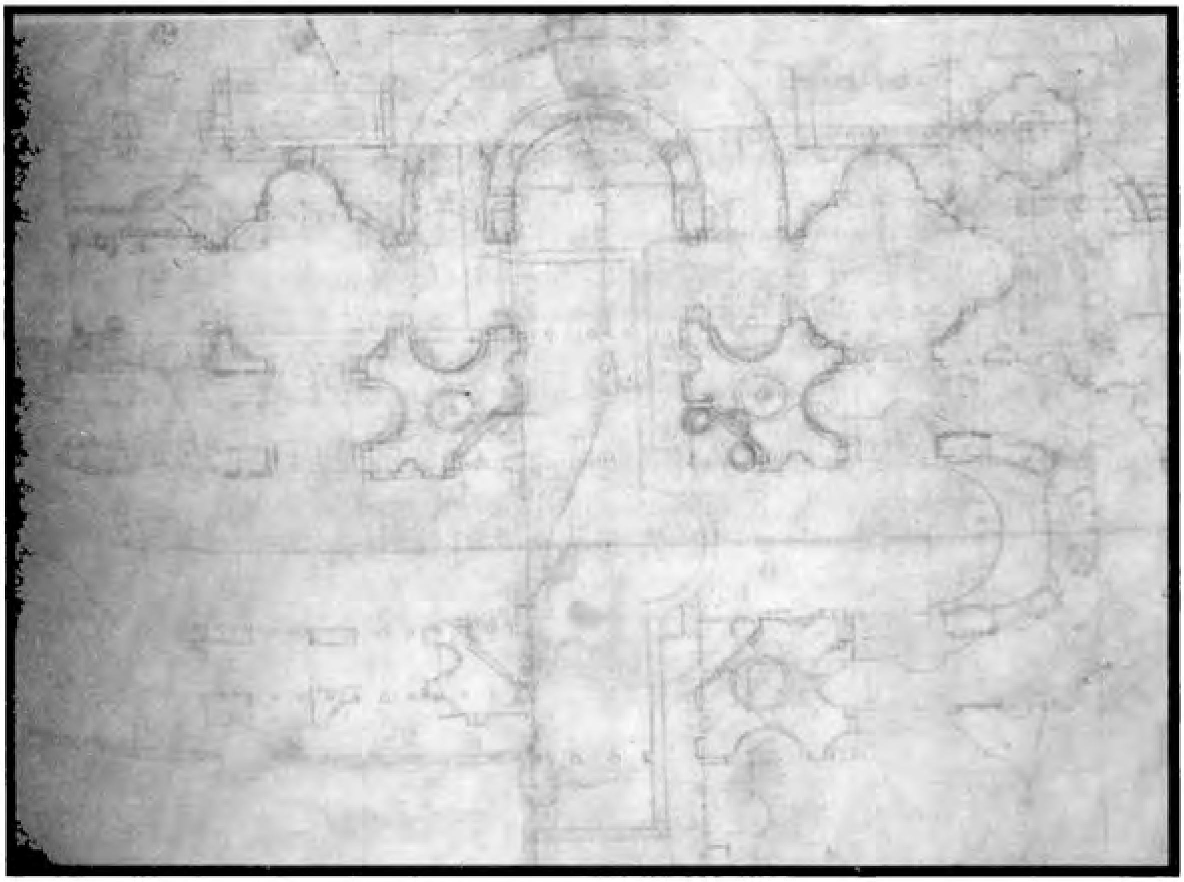

مخططات المهندس برامانته لبناء كنيسة بطرس الجديدة.

twitter @baghdad_library

في الجانب الآخر، فإن فهمه لوظائفه وواجباته، كحَبر أعظم، كان سياسياً إلى حد بعيد، ولم يخل ذلك من عبادة الفرد.

هذا الفهم للوظيفة يمكن له أن يلقى قَبولاً عند ذوي النزعة الإنسانية الإيطاليين، الذين يرون في عظمة البابوية الخارجية، وسلطتها فوق التاريخية واستعلائها الروحاني، انعكاساً لهذه الوظيفة.

بالنسبة للعديد من المثقفين الأوروبيين، فإن يوليوس الثاني، البابا المحارب، يشكِّل غرابةً، بل خطأً مريعاً في شَغل هذا المنصب، ويغذي الظنّ بأن من يحكم في روما، هو مضاد للمسيح.

لكن يوليوس الثاني الحبر الأعظم، لم يدخل التاريخ كإنسان خاطئٍ، وإنما كـ"منقذ للبابوية"

لقد تمكّن من تثبيت سلطة دولة الكنيسة، ووضع حجر الأساس لروما الجديدة. إنه لم يكن يعرف أنه ببنائه كنيسةَ بطرس الفخمة، قد غامر بانقسام المسيحية.

لوحٌ زمنيٌّ: حكمُ الباباوات الملوك

Zeittafel: Die Herrschaft der Papstkoenige

9 / 8 / 1471 انتخاب الراهب الفرانسيسكاني فرانسيسكو ديلاّ فيرهْ ليصبح البابا سيكْستوس الرابع.

1475 تأسيس مكتبة الفاتيكان.

1477 لأول مرة يتم توثيق المراجع لبناء الكنيسة السيكستينية "المقدّس الجديد"

26 / 4 / 1478 الاعتداء على حياة (الأخوين)جوليانو ولورينزو دي ميديتشي في كاتدرائية فلورينز. لورينزو نجا من الموت.

1478 – 1480 / 1481 الحرب بين البابا والميديتشي.

1481 بدأ تنفيذ اللوحات الجدارية في الكنيسة السيكستينية من قبل (الفنانَين) بوتّيشلّي وغيرلاندايو.

12 / 8 / 1484 وفاة (البابا) سيكْستوس الرابع.

29 / 8 / 1484 انتخاب جيوفانّي ياتيسنا سيبوس ليصبح (البابا) **إنّوسينْس الثامن (إنيوقيطيوس) ـ Innozenz VIII.**

في ليلة **25 – 26 / 7 / 1492** وفاة (البابا) إنّوسينْس الثامن ــ **Innozenz VIII.**

11 / 8 / 1492 انتخاب رودريغو بورجيا (الإسباني)، ليصبح (البابا) ألكْسندر السادس بعد رشوة الخَلوة (الانتخابية).

1492 اكتشاف أميركا من قبل كولومبوس.

مع تشكل (جماعات) المبشرين الأوائل، بدأت نهضةُ الكنيسة الكاثوليكية لتصبح كنيسةَ العالم.

twitter @baghdad_library

1493 سيزَر بورجيا يصبح كاردينالاً. تمّ بيعُ (منصب الكاردينالية) لأحدى عشر كاردينالاً آخر.

1494 من أجل تثبيت حقه الوراثي في نابولي، يهاجم (الملك الفرنسي) كارل الثامن إيطاليا، ويهدد دولةَ الكنيسة.

31 / 3 / 1495 "الحلف المقدس"، الذي شكله البابا ضد كارل الثامن (يؤدي) إلى انسحابه، بعد وقت قصير، من نابولي.

1495 سافونا رولا يخطب في فلورينز ضد (البابا) ألكسندر السادس.

23 / 5 / 1498 إعدام سافونا رولا في فلورينز.

17 / 8 / 1498 سيزَر بورجيا، يبدل الأرجوانيَّ (لباس الكرادلة) بدروع قادة الحرب.

1499 - 1502 سيزَر بورجيا يحتل، بمساعدة قوات الملك لودفيغ الثاني عشر رومانا (الإيطالية) ويؤسس (فيها) "دولة البورجيا"

18 / 8 / 1503 وفاة (البابا) ألكسندر (إسكندر) السادس.

22 / 9 / 1503 انتخاب "فرانسيسكو توديشيني بوكّو لومينيس"، ليصبح البابا **بيوس الثالث ـ Pius III**.

31 / 10 / 1503 انتخاب جوليانو ديلاّ روفيريس، ابن أخ البابا سيكْستوس الرابع ليصبح البابا **يوليوس الثاني ـ Julius II**.

1506 في حجرة مخفية تحت كرم عنب جبلي، على مقربة من الـ "كولوسّيوم" ـ (الملعب الشهير في روما) – يتم العثور على (مجموعة التماثيل المعروفة المسماة) "لاؤوكون ـ **Laokoon**" يوليوس الثاني يؤسس في (قصر بيلْفيديره الفاتيكاني مجموعة للتماثيل.

18 / 4 / 1506 وضع حجر الأساس لبناء كنيسة بطرس الجديدة في روما.

11 / 3 / 1507 مقتل سيزر بورجيا في شجار في جبال البيرينيه (إسبانيا).

1508 (الفنان) ميخائيل أنجلو بونارّوتي يبدأ العمل الهام في رسم جداريات الكنيسة السيكْستينية.

1510 مرتزقة من (الجنود) السويسريين يتولون حراسة الكنيسة والكرسي المقدس، وبهذا تشكّل الحرس السويسري الخاص الذي يحرس البابا حتى اليوم. (إنهم يتدربون اليوم على مختلف أنواع القتال وحتى على الكاراتيه ويخفون تحت ثيابهم المزخرفة التقليدية أحدث الأسلحة). البابا يوليوس الثاني يقود جيشاً لطرد الفرنسيين من إيطاليا.

27 / 6 / 1512 إزاحة الستار عن جداريات (الفنان) ميخائيل أنجلو بونارّوتي، في الكنيسة السيكْستينية.

31 / 10 / 1512 روما تحتفل بانتهاء حكم الغرباء الفرنسيين لإيطاليا.

12 / 1512 مع انعقاد المجمع من قبل البابا يوليوس الثاني، ينتهي الانقسام (الكنسي) الذي طمح إليه الكاردينالاتُ المنشقون، والملكُ الفرنسي.

20 / 2 / 1513 وفاة (البابا) يوليوس الثاني.

twitter @baghdad_library

قرنُ القراراتِ الحاسمةِ
Das Jahrhundert der Entscheidung

بقلم: ميشائيل (ميخائيل) غريغور
Michael Gregor

(البابا) ليو العاشر (ليون)
Leo X.

القرنُ السادس عشر، ابتدأ في روما بمظاهر عظَمةٍ لم يسبق لها مثيل. على ما يبدو أن عصراً ذهبياً قد انطلقَ عندما كلّف البابا يوليوس الثاني، أهمّ فناني عصره ببناء الكاتدرائية وبتزيين الفاتيكان.

لكن الباباوية عاشت، بعد سنوات قليلة، أكبر تحدياتها.

على الرغم من أن الباباوات كانوا في حضيض قوتهم،وكان عدد كبير متزايد من الناس قد فقد ثقته بهم، إلا أنهم لم يتنبّهوا للخطر (القادم).

في عام السيد المسيح، سنة 1517م. حصلَ في ألمانيا أمرٌ خطير، من وجهة نظر روما. أحد الرهبان واسمه (مارتن) لوثر يزعم بأن الباباوية، ليست بأية حال، ذات أصل سماوي.

بعد أن تجاهل البابا ليو العشر، الرسائلَ (القضايا اللاهوتية) التي نشرها أستاذُ اللاهوت من (مدينة) "فيتّينبرغ – **Wittenberg**" الريفية، بدأ ببطءٍ يأخذ عِلماً بها، وبالموجة ضدّه وضدّ سلطة الكنيسة الرسمية. (الموجة) المنطلقة من ألمانيا وسويسرا تطال بلاداً (عديدة) أكثر فأكثر.

حتى القيصر (الألماني) كارل الخامس أخذ يزداد قلقاً، لأنه يعرف بأن الفوضى الدينية يمكن لها أن تُزعزع، بسهولة، أركانَ حكمه الرّاسخة، ولكنه لا يستطيع أن ينهي الموضوع بمحاكمة قصيرة، لأن بعض كبار أقوياء الإمبراطورية يتعاطفون مع (الحركة) المضادة للباباوية. بعضهم يتذمر من تدخّل الفاتيكان المستمر في المسائل الخاصة بحكوماتهم، بينما البعض الآخر تغريه أملاك الكنيسة.

برغم ذلك يعتقد الإمبراطور، غير المجرَّب، من (عائلة) هابسْبورغ الحاكمة، أنّ باستطاعته السيطرةَ على الأمر بسهولة، حيث تكفي، عند الضرورة، كلمةُ سلطةٍ حازمةٍ، لتوقف الراهبَ الأوْغوستيني (المتمرد لوثر) عند حدّه، ولاسيما أن هناك وسائط "استثنائية" للقضاء على التّمرد.

لكن القيصر لا يملك سيطرةً على البوليس (القوى الأمنية) الألماني، وبخاصةٍ أنه نفسه ليس ألمانياً. على الرغم من أن البابا علّقَ الحرمانَ الكنَسي على قائد الحركة الاحتجاجية مارتن لوثر، إلا أن تطبيقه يحتاج إلى أنْ يتلوه حكمٌ إمبراطوريٌّ عليه، وهذا يحتاج بدوره إلى موافقة الكنيسة والمؤسسات الإمبراطورية المدَنية.

القيصر (الألماني)، الذي هو في نفس الوقت ملك إسبانيا، يعطي لقائد المتمردين (لوثر) الأمانَ، ولكن لا أحد من الأمراء المجتمعين في المجلس الإمبراطوري (البرلمان) في فورمْس، يثقُ بأن يقوم بتحقيق وعده، ولاسيما أن مثل هذا الوعد (الذي أُعطي) لأحد المشهورين من منتقدي الباباوية سابقاً، قد قاده إلى المحرقة.

لوثر لا يكترث لهذا ويقول:

"لقد أُحرقَ "هوس – Hus"، ولكن الحقيقة لم تُحرق معه. إنني أريد الدخول، ولو استهدفني عددٌ كبيرٌ من الشياطين كعدد القِرمَد على السطوح"

twitter @baghdad_library

رأسُ التّمرد يرتفع على (نهر) الراين، كرأس الفاتحين، حيث يمجده الشعب صارخاً في العلَن، ومن خلال نشر صورته (لوثر) المَحوطة بهالة القديسين وتوزيعها كمناشير علنية.

استناداً إلى رغبة البابا والقيصر يجب عليه (لوثر) المثول أمام محكمةِ تَجمُّع الأمراء، ليتنصّلَ من فرضياته الهرطقية[19]

حياة المُصلح (الديني لوثر)، الذي ينتمي إلى مقاطعة ساكسِن، أصبحت الآن في خطر، ودون أية قيمة، إنْ هو لم يتخلّ عن تعاليمه (فرضياته – قضاياه) ويندم على نقده للبابا.

لوثر لم يكن خالياً من الخوف أمام تجمّع جبهة أعدائه عندما مثُل، بتاريخ 17 / 4 / 1521، أمام عظماء الإمبراطورية ومبعوثي الفاتيكان، ووجهاً لوجه أمام أقوى شخصية في الغرب يومها،

كتب لوثر حوالي عشرين ألف صفحة في الشؤون والقضايا الدينية، وحقَ الإنسان في اختيار معتَقده، دون تدخل من الكنيسة. كما ترجم وألّف العديد من التراتيل الدينية).

القيصر كارل الخامس، الذي كان قد بلغ من العمر عشرين عاماً، وكان شاباً شاحباً شبه خجول، لا يترك أحداً يشعر فيما إذا كان يريد أن يشكّل لنفسه بنفسه (صورة) حكماً على الأمر، أم أنه يصغي فقط إلى همسات مستشاريه ومترجميه.

على الرغم من أن القيصر يحكم الألمانَ والأسبان والإيطاليينَ والهولنديينَ، فهو يتكلم الفرنسية أولاً، لغة خصمه الملك الفرنسي الذي سيقود ضده، قريباً

---

(19) ملاحظة من المترجم:
(هذه الفرضيات (القضايا) وعددها 95 فرضية، كان مارتن لوثر قد علّقها على بوابة الكنيسة الكبرى - الدّوم - في فيتّينبرغ، ودعا فيها إلى تحقيق "الإصلاح الديني-**Reformation**".
قام لوثر لاحقاً بترجمة الإنجيل - العهد الجديد - إلى اللغة الألمانية أثناء اختبائه عام 1521 في قصر الأمير (كورفورست) الحاكم لساكسن، في بلدة فارتبورغ لمدة ثلاثمئة يوم.
صدرت الطبعة الأولى من الإنجيل بالألمانية عام 1534.

على ما يبدو، حملةً عسكرية بسبب خلافهما على إيطاليا. من أجل هذه الحملة فهو (كارل الخامس) يحتاج إلى دعم البابا له، وكذلك إلى أموال الأمراء الألمان.

(القيصر) كارل يعرف أن عليه المناورة بحذر حتى لا يثير أحداً ضده.

ابتدأ الاستجواب، وعليه أن يعترف بانتماء كتاباته (فرضياته) إليه، هكذا طلبَ المدعي العام من لوثر.

عندما طالب (لوثر) بإعطائه مهلةً للجواب، تحت دهَش من الجمع، سخِر القيصرُ (قائلاً كما يُزعم): مثل هذا (الراهب) لن يستطيع أن يجعلَ مني هَرْطَقياً.

لكن في اليوم التالي، لم يكن من الممكن الحدّ من اندفاع لوثر، الذي اعترف بشدةٍ بانتماء الأفكار المحرِّضة إليه: إلغاء الاعتراف (الشخصي للمؤمِن) في الأذن (الكاهن)، إلغاء منع الزواج (للكهنوت)، قسم الأديرة، تبجيل القديسين، الحجّ، وقبل كل شيءٍ (إلغاء بيع) صكوك الغفران.

هذه ليست مجرد مطالب لإعادة بناء الكنيسة الرومانية - الكاثوليكية الرسمية، وإنما هدفها الثورة التي ترمي إلى إلغائها.

"هنا أقف. أنا لا أستطيع غير ذلك" يقال بأن هذا ما قاله لوثر للمجتمعين المضطربين.

لاحقاً راح الناس يحتفلون به في أزقة فورمْس، والأقلية منهم فقط كانوا يرغبون برؤيته فوق المحرقة.

حتى (القيصر) أقوى رجل في الإمبراطورية لم يكن ليجرؤ على مس شعرة منه، خوفاً من حدوث اضطرابات جديدة لا حدود لها في الإمبراطورية، فيما لو استعملَ القوة المباشرة ضد من يُزعم بأنه هرطَقي.

كان موقف لوثر الصامد أمام القيصر وأمام برلمان الإمبراطورية، هو الإشارة النهائية للانطلاق نحو الإصلاح الكنَسي.

لقد نجح بذلك، لأن للعديد من الأمراء المجتمعين في برلمان الإمبراطورية مصالحهم الخاصة في تمرّد لوثر.

twitter @baghdad_library

بنيةُ السلطة في أوروبا سوف تتغير جذرياً خلال العقود القادمة، ولأن الأب المقدس في روما، لم يكن يعطي قادة (الحركة) البروتستانتية الأهمية الكافية.خوفه الوحيد كان في احتمالية انتقال القيصر الشاب المتمرد إلى جانب خصومه، ولكن لم يكن بالإمكان كسْبُ كارل إلى هذا (الانتقال)، فقد بقي طوال حياته عميق الإيمان، ومن أتباع الكنيسة الرومانية ـ الكاثوليكية. بالنسبة إليه كان لوثر مجرد "شيطان في جبّة راهب"

برغم ذلك، فقد خاب ظن (البابا) ليو العاشر، في نتيجة محاكمة فورمْس. علّق القيصر الاحتقارَ الإمبراطوري على المُصلح وأصدر قراراً يلعن فيه فرضيات (لوثر)، وأمر بحرق مؤلفاته. لكن رأي الشعب لم يكن يرى هناك إلا خاسراً واحداً هو البابا، الذي كان عليه أن يرى، من روما البعيدة، دون إمكانه فعل أي شيءٍ، كيف استطاع أخطر أعدائه (لوثر) أن يفلتَ، مما كان يظنها، الشبكةَ المُحكَمة ضيقة الفتحات.

في فورمْس بدا الأمر واضحاً تماماً، بحيث أن ما يقارب نصف نخبة السلطة يتعاطفون في مجالسهم مع أفكار لوثر، أو أنهم لا يعارضونها على الأقل.

حتى اليوم لا يزال المؤرخون يتخاصمون حول الكيفية التي كان على البابا أن يتعامل بها مع هذا التطور الكارثيٍّ وعن كيفية إيقافه.

لقد أدى "النقاش الخصومي ـ Disput" (بين الأطراف في ذلك العصر) إلى تصفية الحساب مع الميديتشي، إحدى أقوى وأغنى العائلات في إيطاليا (فلورينز)، التي ينتمي إليها البابا ليو العاشر.

بعد وفاة البابا يوليوس الثاني في عام 1513، والدعوة إلى انعقاد الخَلْوة لانتخاب خلف له، بدا (المرشح) جيوفاني دي ميديتشي، الذي بلغ لتوه السابعة والثلاثين من العمر، دون حظ بالفوز بسبب (صغر) سنه.

حتى اليوم ـ بحسب العارفين ـ لا يوجد هناك حظ بالفوز لكاردينال شاب، لأن من المنتَظر لزمن حكمه أن يمتد طويلاً، وهذا غير مريح لأعضاء

المجمع الانتخابي، لأن أملَ الكاردينالات (المسنين) بالوصول إلى أعلى رتبة شرف (البابوية) سيتضاءل.

بعد أن بدا، في البدء، حظُّ جيوفاني بالفوز منعَدماً، إلا أن فرصته تحسنت كثيراً بعد أن كان عليه الخضوع لعمل جراحي بسبب ناسورٍ أصابه، وبالتالي فقد اعتُبرت صحته مصابةً.

لقد انتخبه (مجمع الخَلوة) كأول بابا ينتمي إلى عائلة ميديتشي ومن فلورينز، أملاً في موته القريب، كما قيل.

حقاً إن حكم الحبر الأعظم لم يدم أكثر من عشرة أعوام، لكنه استفاد من هذا الوقت لجعل البلاط (البابويّ) متألقاً.

قام البابا، كما كان متوقّعاً، بدعم بيت ميديتشي حيثما أمكن له ذلك.لقد نصّب ابن عمه جوليو كاردينالاً، ولم يكن الوحيد المستفيد (من انتمائه لعائلة البابا).

الكاردينال "إينّوسينزو" هو ابن أخت البابا "مادّالينا - المجدلية - لم يصل إلى شهرته بسبب معرفته اللاهوتية، وإنما بشكلٍ أكبر لكونه أباً لأربعة أطفال غير شرعيين.

twitter @baghdad_library

رسالة تعريف: ليو . ليون . العاشر
Steckbrief: Leo X.

ولِد البابا ليو العاشر، وكان اسمه (المدني) جيوفانّي دي ميديتشي، في فلورينز عام 1475.

كان والده لورينزو (الملقب بـ) الرائع يحكم المدينة الثرية على (نهر) أرنو بمساعدة أعوان راضخين له، كما لو كان مستبداً، على الرغم من أنها (فلورينز) لا تزال رسمياً جمهوريةً.

كبير العائلة نجا، في آخر لحظةٍ، من محاولة اغتِيال، تعرّض لها في كنيسة فلورينز الكبرى ـ الدّوم ـ من قبَل جماعة صغيرة منظمة جيداً، استهدفَت الشخصيات القائدة في عائلة ميديتشي.

لكن لورينزو تمكن بمهارته الكبيرة، المقترنة بالقسوة المعروفة عن العائلة، أن يَخرج من الوضع شبه الميؤوس منه، ويحوّله لصالحه وينقذ مستقبل الميديتشي.

بعد هذا العمل الإجرامي بوقت قصير انتشرت الشائعات بأن البابا سيكْستوس الرابعِ كان على علم به، إنْ لم يكن هو المحرض على محاولة الاغتيال. "وحيداً ضد البابا" كابوسُ (وصراع) القوة السياسية هذا، لا يريد أحدٌ من الميديتشي أن يعيشه بعد الآن. أفضل طريقة ضد هذا، أن تصبح بنفسك بابا، هذا هو ما أمسى، من الآن فصاعداً، شعارَ لورينزو ووَرثته.

مصالح سلالته، كانت تحتلّ المرتبة الأولى منذ أن تم انتخاب جيوفاني دي ميديتشي، ليصبح البابا ليو العاشر، وحتى يعطي مدفنَ العائلة ما يليق به من فخامةٍ، قام بتكليف (الفنان) ميخائيل أنجلو بتصميم مصلّى المدفن:

"هناك تمثالان ضخمان للقبر يمثلان محارباً ومفكراً، وهو ما يرمز إلى الأنموذج الأوليِّ لإنسان عصر النهضة، كما تريد الميديتشي أن تمثِّله.

البابا ليو العاشر يرى نفسه كرأس كنيسة تريد، من خلال الألَقِ الخارجي، أن تقود المؤمنين إلى القيَم، غير المرئية، للمعتَقد.

لكن (طريقة) تمثيله شخصياً اعتُبرت من قبلٍ مفكري العصر الناقدين الرافضين لها، كعبادة فرد مجسَّدة على طراز وثني.

قبل كل شيءٍ يجب على العاصمة روما أن تصبح مركزَ العالم، لتجسد وتعكس هيبةَ البابا، من حيث كونه نائباً للمسيح.

حتى يحقق حلمه هذا قام البابا، دون حياء، ببيع الألقاب والوظائف (الكَنسية)، المهم أن يجلبَ ذلك النقود.

"بما أن الله منحنا البابَاوية، دعونا (إذن) نستمتع بها"

هذا ما أعلنه البابا، دون عذاب ضمير، كما يقال.

هذا البابا لا يعرف الشّك بنفسه. إنه ينتمي إلى أغنى عائلة إيطالية. بناؤه الجديد لدوم بطرس، عليه أن يكون أبهى كنيسة في الغرب، وهو وحده نائب الله على الأرض.

بتاريخ 31 / 3 / 1515 يعلن (البابا) بيع صكوك الغفران، ليموّل من دخْلها بناء دوم بطرس الجديد. هذا القرار (الصك) الذي يشتري فيه الخاطئُ الغفرانَ لينجو من "العقوبة الإلهية"، يُسهم بشكل كبير في تخريب وحدة الكنيسة الرومانية ـ الكاثوليكية، لكنه أسهم (أيضاً) في تمويل أروع الأعمال الفنية.

هكذا استطاع الفنان رفائيل، من خلال تزيين غرف الفاتيكان بلوحاته الجدارية، التي ابتدأ العملُ فيها منذ (زمن البابا) يوليوس الثاني، أن يجعل منها بياناتٍ باللون تعبّر عن مطالب البابَاوية بالسلطة:

في الحجرة المسماة "ستانزا ديلاّ أنسينديو"، تمثل الجداريّةُ فيها الحريقَ الهائل الذي نشأ في حي بورغو، المجاور للفاتيكان، والعجيبة التي حصلت أثناء ذلك، عندما قام البابا ليو الرابع، الذي أعطاه الفنانُ ملامح البابا ليو العاشر، بإطفاء النار من خلال رسمه لعلامة صليب بسيطة.

لو كان لمشاكل الحبر الأعظم أن تُحلّ بهذه العلامة البسيطة (شارة الصليب)، لكن الوقت قد تغير.

twitter @baghdad_library

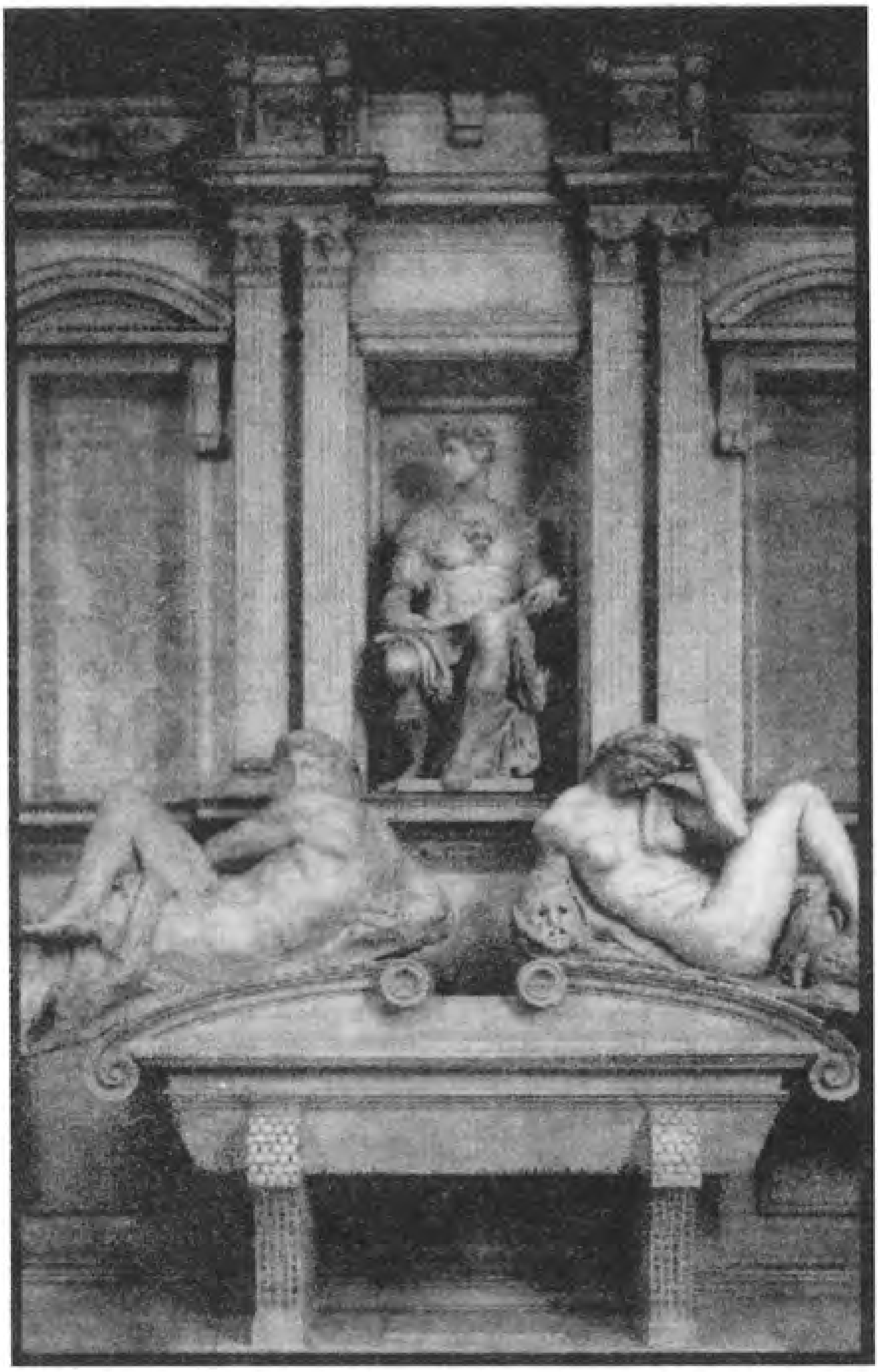

مصلّى المدفن من تصميم ميخائيل أنجلو.

twitter @baghdad_library

(هناك) وراء جبال الأب، وبخاصةٍ في ألمانيا وسويسرا، يشكك المنتَقدون بـ (جدوى) الباباوية بشكل عام.

الراهبُ الأوْغوسطيني واللاهوتي الأكاديمي مارتن لوثر يعلنُ بتاريخ 31 / 10 / 1517 في البلدة الريفية الألمانية فيتّنبيرغ عن فرضيّاته – قضاياه الـ 95 لإصلاح الكنيسة الرسمية جذرياً: ضد لا أخلاقيات الكهنوت، وبيع صكوك الغفران والوظائف الكنَسية.

لكن قائد المسيحية يتجاهل الأحداثَ في الشمال البعيد. إنه لا يريد، من حيث المبدأ، أن يعرف عن أيّ تشكيك في وظيفته أو في شخصه. "بهذا كان (البابا) مذنباً أيضاً في انقسام الكنيسة الرومانية"

هذا هو حكم المؤرخين القاسي عليه. لودفيغ باستور يُسقط عليه أخيراً حكماً مدمّراً:

"بمزاج خفيف مرح، دون هموم، اتجه (البابا) نحو ملذاته الأرضية.حتى عندما انطلقت العاصفةُ الهائلةُ التي رمتْ إلى فصل ثلث أوروبا عن المقعد الروماني (الكنيسة الكاثوليكية). لقد جهز بلاطه ببذخٍ فائق لأجل أشياء دنيَوية: اللعب، المسرح والصيد، وهو ما يشكل تعارضاً حاداً مع وظيفة حامل هيبةٍ كنَسيةٍ"

(البابا) ليو العاشر، قاد، بتبذيره المَرَضي، الكنيسةَ إلى حافة الهاوية. إنه يتصرف بالدرجة الأولى كأحد أمراء عصر النهضة المَرحين، وفي الدرجة الثانية يتصرفّ كرأس كنيسة الغرب.

لذةُ الحياة والكرَم هما من أهم صفات شخصيته، ولا تكاد تشعر عنده بالخوف من الله. عدا عن ذلك فإنه يدير حرباً، من المشكوك جداً بأخلاقيّاتها، من أجل الاستيلاء على إمارةٍ ـ هيرتزوغتوم ـ في أوربينو، بسبب مُحاباة الأقرباء.

في الأسبوع الأولِ السابق لعيد ميلاد عام 1521 توفي البابا ليو العاشر، بعد أن فشل بالتخلّص نهائياً من مارتن لوثر وفرضياته – قضاياه، خلال محاكمته أمام برلمان الإمبراطورية في فورمز.

أول ميديتشي جلس على الكرسيّ المقدس، لم يدفن في مدينته الحبيبة فلورينز، وإنما دفنَ في كنيسة "سانتا ماريا سوبرا مينيرفا" في روما.

الميديتشي هم البابا

Die Medici sind Papst

منذ العام 1400 تقريباً، صعدت (عائلة) ميديتشي لتصبح أهمَّ بيت بنوك وتجارة في فلورينز. لقد شيّدوا في المدينة على (نهر) أرنو، العديدَ من الأبنية الفخمة، التي لا يزال الكثيرُ منها موجوداً، يثير الإعجاب حتى اليوم. لكن ثرائهم وسلطتهم يثيران الحسدَ أيضاً، حتى أنّ الإفراط في إظهار العظَمة يقود إلى التّمرد، هذا التّمرد الذي قاده الراهبُ (سافونا رولا) أدّى في عام 1494 إلى طرد الميديتشي إلى المَهجر، لسنوات مريرة عديدة، لم يُسمحْ لهم خلالها بدخول مدينتهم (فلورينز).

لقد نُهبتْ قصورهم، وتبعثرتْ مجموعاتهم الفنية الفريدة في كل أرجاء العالم.

(البابا) ليو العاشر، يضع كلّ جهوده حتى لا يتكرر مثل هذا العار أبداً. إنه نفسه داعم لا يَكَلُّ لدعم (لاقتناءِ) المجموعات الفنية.

جيوفانيِ دي ميديتشي، هذا هو اسمه عند العمادة، ابتدأ بصعود سلم الوظائف الكَنسي بعمر صغير. والده لورينزو دي ميديتشي (الملقب بـ) البَهي، يضعُ كل ثقَله الماليّ وعلاقاته، ليوصلَ أحد أفراد العائلة إلى الكرسيّ المقدس.

كان عمر جيوفاني سبعة أعوام عندما رُسِم قسيساً، وقام البابا على الفور بمنحه رتبة "بروتونوتار ـ protonotar"، وهي مرتبة وظيفية كنَسية تشكل المدخلَ للوصول إلى المناصب العليا فيها.

في عامِ 1489، ومن خلال زواج مصلحةٍ بين أخته، وكان لها من العمر 14 عاماً، وبين ابن البابا "إينوزينز الثامن"– إينوقُنْطيوس – وكان ابناً سيئ السمعة، قام البابا بمنحه رتبة الكاردينالية المرغوب بها.

عندما تبوّء جيوفاني الكرسيَّ المقدس، كان طموحه كبيراً لكسب الناس إلى جانبه. كنائس فاخرة كان عليها أن تسيطر على الحواس وتقود إلى الإيمان:

twitter @baghdad_library

لوحات باهرة، أدوات ثمينة معروضة بأبهة، كان عليها أن تقوم بمهمة تَربوية، لأنه ـ حسب رأي البابا لا يمكن لأحد أن يكسب في القرن السادس عشر أيّةَ روح (مؤمن) من خلال الكنيسة المتواضعة (الشكل).

العديد من المؤمنين يجدون في طراز عيش البابا الباذخ والمختَلفِ عليه، خيانةً، ولاسيما بعد أن أصبح بإمكانهم أن يقرؤوا بأنفسهم الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ـ من خلال ترجمة مارتن لوثر له إلى اللغة الألمانية، ورأوا فشلَ كبار الكهنوت بالالتزام بقواعده.

ألانطباعُ المَرئيُّ، عن (طريقة حياة البابا ليو العاشر) جسّدته قبل كل شيء اللوحة التي رسمها له رفائيل، في جناحه الخاص في الفاتيكان، وهو أمر ليس من الصعب اكتشافه:

(في اللوحة) يرى المرءُ البابا جالساً على مقعد خشبي ثقيل حاملاً بيمناه عدسةً مكبرةً للقراءة، واضعاً يده الأخرى على إنجيلٍ فاخر، لا يزال محفوظاً حتى اليوم في متحف الحَفر على النحاس في برلين (بسببٍ الغلاف المعدِنيّ). كلّ تفاصيل الأشياء (المرسومة في اللوحة) تحمل معنى عميقاً: إنجيل يوحنا يدلّ على رفعه مكانةَ البابا ليو العاشر كما يقال. الكرَة الذهبية على الجانب العلوي لظهر الكرسي، هي رمز يدل على الفخَار، لأن شعارَ عائلة الميديتشي محفورٌ عليها، كما أنّه يرتسم عليها، من خلال ضوء النهار المتساقط، خيالُ النافذة التي يشير تقاطع عوارضها إلى رمز الله المبسط (الصليب). وراء ليو العاشر، يقف (في اللوحة) اثنان من الكرادلة، يهتم أحدُهما، وهو رجلٌ شاب، بشكل ملفت، بالبابا. إنه ابن عمه جوليو الذي اختاره ليو العاشر ليكون خلفاً له، بالرغم من كونه، كابن غير شرعي، يحمل عيباً لتسلّم هذه الوظيفة، ولكن هذا غير مهمّ بالنسبة للبابا ليو العاشر طالما أن دم الميديتشي يسري فيه. هذا المشهد المرسوم على القماش، الذي يشع ثقةً كاملة بالنفس، لا يعكس واقع الكنيسة، في العام 1517، المصيري بالنسبة إليها.

خصام الرّهبان

Moench gezaenk

"بين الله والبشر، لا يوجد مكانٌ للبابا"

فرضية – قضيّةُ لوثر هذه، (من أصل الـ 95 فرضية)، تنتشر شمال (جبال) الألب كالنار.

ليو العاشر يعلن منتقَده الرئيس كـ: "إبن الشر، محتَقر للّه"، فيما عداه لم يأخذ (البابا) علماً بالفرضيات – القضايا المحرِّضة التي يعتبرها (مجرد) "خصام رهبان

في هذا الوقت، لا يمكن الحسمُ بوجود احتمالية للتفاهم بين الفاتيكان (الكاثوليك) والبروتستانت. برغم ذلك يكتب لوثر رسالةً إلى (البابا) ليو العاشر في شهر أكتوبر / ت1 من عام1517، أي بعد مرور نصف عام من إعلانه لفرضياته – قضاياه في فيتّنْبرغ، بلهجةٍ تنمُّ عن الخضوع:

"اِقبلْ بعملي أو ارفضه، كما تشاء. سأعترف بصوتك، كصوت المسيح الذي يسيطر عليك ويتكلّم (بلسانك)"

لا يزال من غير الواضح، فيما إذا كانت هذه السطور صادرة من القلب، أم أنها مجرد مناورة تكتيكية. لوثر لم يتسلم رداً من روما، كما كان يأمل في السر، ربما.لو قام الحبر الأعظم بالبحث عن الحوار وبطلب تحقيق شروط الخضوع (له) على أرض الواقع، لكان المُصلح (لوثر)، الذي لم يكن لديه بعد دعماً كبيراً، قد أصبح في مأزق، و لربّما كان التخلّصُ منه قد شكل فقدان ثقة نهائيٍ به، عند أتباعه من البروتستانت.

البابا ليو العاشر، يدَعُ الفرصة الأخيرة، وإن كانت قليلة، لمنع الشرخ علناً مع القوى الأصولية الناقدة (له) من وجهة نظر لوثر،تضيع لحسن الحظ. ربما

twitter @baghdad_library

لم يدرك المتمردون النُّشَطاء، في البَدء، الخطرَ الكبير الذي يمكن أن يأتي من برج المقعد المقدس العالي.

لقد قامت الكثير من الحركات المضادة للبابا، والتي انتهت من تلقاء نفسها، فلماذا يجب أن يكون الأمر الآن مختَلِفاً؟.

لكن موجةَ الغضب العارمة هذه المرة، لا يمكن إيقافها، والمطالبةُ الغاضبة بتغييرات جذرية، يتعالى صوتها باستمرار: "نظّفْ حظيرةَ الخنازير الرومانية من القاذورات، يصبح العالم أجمعه نظيفاً أيضاً":

"Purga Romam, purgakur mundus".

منتقدو الفاتيكان يرون في طموحه نحو السلطة الأرضية، السببَ في كل السلبيات السيئة. حقاً إن وضعية الأسقف الروماني (البابا) فيما يتعلق بمسألة المَصالح، إشكاليةٌ: فمن جانب عليه، كزعيم ديني مسيحي، أن يترفّع عن كل الأمور الدُّنيَوية، ومن الجانب الآخر فإنه حاكم لدولة خاصة.

دولةُ الكنيسةِ

Der Kirchenstaat

روما، هي مجال سلطته (البابا)، التي تمتد على مساحات واسعة من إيطاليا.

في الشمال تحدّ دولةَ الكنيسة جمهوريةُ فلورينز، التي يعتبرها (البابا) ليو العاشر قطاعاً خاصاً به، لأن المدينة على (نهر) التّيبر هي جمهورية بالاسم فقط، ومن يحكمها فعلاً هي عائلة الميديتشي.

الجار الشمالي هي إمارة ميلانو، التي يحكمها شكلياً أميرٌ (بمرتبة هيرتزوغ من عائلة سْفورزا، بينما يحكمها فعلياً السويسريون، الذين طرَدوا الفرنسيين من المدينة عام 1512، ثم دحروهم بشكل كامل عام 1513، دون أن يُحسم التجاذبُ على عاصمة (منطقة) اللومباردي بشكل نهائي.

في الشمال الشرقي من روما، يمتد مجالُ سلطة جمهورية البندقية، التي كان (طران) حكمها المتألق، مصمَّماً للأبدية، على ما يبدو، ولكن النخبة الحاكمة الفخورة تعرضت عام 1508 إلى هزيمة عسكرية قوية، أفقدَتها، بضربة واحدة، كلَّ شيءٍ تقريباً، وهي تكافح منذئذ لاستعادة ما فقدته.

القوة، التي كانت سابقاً الأقوى في إيطاليا، تظل ضعيفةً بشكل دائم، وبصعوبة تستطيع الدفاع عن ممتلكاتها في البلقان، أمام تقدّم العثمانيين.

في جنوب روما، تقع مملكة نابولي المستقلة تماماً التي أصبحت الآن مثل صقليّة، مستعمرةً إسبانية يحكمها الملك الإسباني (كارل الخامس)، الذي يحكم أيضاً،كقيصر منذ العام 1519، ألمانيا، إلى جانب حكمه المناطق التي تشكل الآن بلجيكا وهولندا والنمسا وهنغاريا، وإلى جانب حكمه أيضاً للقسم الأعظم من أميركا الوسطى والجنوبية.

twitter @baghdad_library

لا فرنسا ولا البندقية، ولا حتى البابا يدعمون القيصر كارل (الخامس) في حملاته الصليبية ضد المسلمين في منطقة البحر (الأبيض) المتوسط. كذلك هو الحال عند البروتستانت في ألمانيا، لأنهم جميعاً يخافون من تزايد أية قوة لهذا (الحاكم) القوي من (عائلة) هابسبورغ. كذلك هو الحال بخاصة عِند التاج الفرنسي الذي يقف ضده بشدة، لأنهم يشعرون بخنقِهم من قبَل المقاطعات القيصرية (لكارل) التي تحيط بهم.

بينما كان الجميع منشغلين بالنزاعات فيما بينهم، استطاع البابا بنجاح أن يحقق زيادة في دخل دولة الكنيسة.

بتاريخ 31 / 3 / 1515 أصدر البابا إعلاناً رسمياً، يُعفى بموجبه الخطاةَ، لقاء دفع مبلغ من المال (صكوك الغفران)، من "العقوبة الربانية"، ليتم تمويل بناء كنيسة بطرس الجديدة من هذه العائدات.

لكن البابا، إنْ صدقَت تقاريرُ معاصريه، يموّل بهذا التيار النقدي المتجه نحو روما، (مشاريعَ) غير مقدسة تثير العجب.

مريعةٌ سمعةُ السيرك العجيب الخاص بـ (البابا) ليو العاشر:

رجالٌ مدرّبون تدريباً خاصاً، يجب عليهم إبّان المآدب، التهام كميات هائلة من البيض ولحم الفازان (طائر يشبه الديك) تباعاً، حتى ينفجروا، وكأنها نوع من مبارزات المتصارعين، (القاتلة في ملعب كولوسّيوم الشهير)، تجري في قاعات الطعام.

مضحكة أيضاً تلك (الألعاب) المسماة بمسابقات الشعراء، التي يقوم الضيوف الثملون فيها بركوب فيل مزين بقطع من الذهب، أُحضر خصيصاً من حديقة حيوان الفاتيكان، كي يضحك ويسخر منهم ضيوفُ المأدبة.

اليوم لا يمكن التفريق بوضوح دوماً، إن أتى هذا التقرير من الدعاية المضادة للبابا أم أتى من حقائق تاريخية.

لكن هناك تقارير موثوقة دون شك، (لأنها) وصلت عن طريق المهرّجين المحترفين، الذين يطلق عليهم اسم "بوفّوني ـ Buffoni"، المَنوط بهم تسلية ضيوف مأدبة البابا.

من أشهر هؤلاء كان الراهب الدّومينيكانيّ "فراماريونا"، الذي أصاب نجاحاً كبيراً من خلال نكاته، وبخاصةٍ معارضاته الساخرة لمواعظ كبار الكهنوت.

(البابا) يقوم بمكافأته بأن يجعله في مرتبةِ "بيومباتور ـ **Piombator**"، وهي وظيفة خَتْم الإعلانات البابوية الرسمية (بولّهْ) بالرصاص، لقاء رسوم يحصل عليها، وربما حصل أحياناً على رشوات من طرف ثالث لقاء إجراء تغييرات لاحقة على محتوى الإعلان الباباوي.

في الفاتيكان يرأس الباباوات عدداً لا يحصى من الموظفين، وبخاصة إبّان عصر النهضة، وتعتبر مراكزهم الوظيفية مغرية جداً، ولهذا نجد تزاحماً في حمل الألقاب مثل: بريلات ـ بروتونوتار، موظف الأرشيف، وغير ذلك من المناصب الخيالية التي تحمل ألقاباً غريبة عجائبية.

هكذا كانت للأب الأقدسِ في ذلك الزمان، إمكاناتٌ لا تحصى، في جمع الأصدقاء والأقرباء حوله، والعناية بهم وربطهم بشخصه،.

ما أثار معارضة المؤمنين، لم تكن مظاهرُ العظَمة المَرَضيّة والتبذير فقط، وإنما المُثلُ العليا التي كان (من المفتَرض) أن يَحتذي بها حاملو الرتب العليا في الفاتيكان، هذا في الوقت الذي كان على طراز حياتهم أن يشكّل "قدوة للإنسان المسيحي"، وهو ما كان يطالب به الراهب الألماني الأوغستيني مارتن لوثر وغيره.

مع بَدء التحضير للاحتفالات الباهرة الباذخة بفوزه الانتخابي بمنصب البابا، ابتدأت الانتقادات الحادة (على ليو العاشر):

قوس نصر خشبي يَظهر على أحد جانبيه القديسُ بطرس وعلى الجانب الآخر منه الإلهُ الإغريقي أبولّو.

twitter @baghdad_library

هذه المساواة بينهما (في المَقام) يجب أن تثير (مشاعر) كل إنسان مسيحي تقليدي التفكير، وتُعتبر مخالفةً شديدةً لقواعد الإيمان.

إلى جانب هذا (قوس النصر) هناك العديد من الأشياء الثمينة، ومن التماثيل (مجموعة تماثيل) الـ "لاكوؤون"، وهي المجموعة الرائعة من المرمر، التي تم الكشف عنها في عام 1506، بحضور الفنان ميخائيل أنجلو، والتي أثّرت فيه في وقت لاحق، وكان فنانُ العصر القديم (الأنتيكي) قد تمكّن فيها أن ينحت بمهارة الجسدَ البشري بشكل ديناميكي رائع.

(تمثال) أبولّو من بلفيديرة، أو فينوس (ربة الجمال) من ميلو، هما من بين الكنوز المعروضة بفَخار.

حتى لمن يشاهد هذه الأعمال اليوم، يجد أنها ترمز إلى أعمال رائعة تجسّد "الجمال الخالد"، ومع ذلك فهي تثير، عند العديد من المثقفين من غير الإيطاليين، عيباً حاسماً، لأنها تُظهر آلهةً وثنيةً، وأشكالاً عاريةً مرحةً، ولكن هذا لا يشكل، بالنسبة لذوي النزعة الإنسانية من الإيطاليين، أيَّ مساس بالقُدسية.

إنهم يرون في الديانات الوثنية، مقدِّمةً للمسيحية، حيث تتجلّى الحقيقة الإلهية كاملة، و(لكن) بالتدريج.

من وجهة النظر هذه، فإن الآلهة الإغريقية والرومانية تُعتَبر مقدمة ورموزاً، للمعتَقد المسيحي المُلزم وحده فقط.

في روما عصر النهضة، هناك امتزاجٌ ظاهر الحضور في كل مكان، بين رموز المعَتقد المسيحي، وعناصر وثنية يثير الشكوك عند الطالبين بالإصلاح وأتباعهم.

مارتن لوثر، يصرخ في محاضراته الجامعية:

"اليوم عادت روما إلى الحالة القديمة. لقد أطلقوا للّحم - (للجسد) الحريةَ، غير المحدودة"

حتى بين أوساط الموالين للبابا، يثير عرْضُ (التماثيل) الرومانية وما يشابهها من أعمال فنية أخرى، المناقشات الحادة: كم من (العناصر) الوثنية يمكن للكنيسة المسيحية أن تتحمّل؟.

في عمله الموسوم بـ"ديسكورسي ـ Discorsi"، يقدم ميكافيلّي مقارنة تبدو هرْطقية:

"المسيحية تعِظ، كنتيجة عظمى، بالتّواضع والحِرمان، وباحتقار الأرضي. الدين الوثني القديم يطالب بالشجاعة، بقوة الجسد وبكل ما يجعل الإنسان قوياً"

إضافة إلى هذا فإن البابا وية، من خلال ما تعيشه، وهو مخالف لما تعظ به، أدّت إلى خنق أي شعور ديني في إيطاليا، وهذا لا يخدم وجود دولة قادرة على الفعل.

بعد عدة عقود لاحقة،صار المرءُ يُقاد لمثل هذا، إلى المحرقة.

لكن في عرس عصر النهضة تُوافق مثل هذه الصياغات، روح العصر عند ذوي النزعة الإنسانية.

يمكن الافتراض بان مثل هذا (الموقف) قد أدى عند بيوتات الأمراء، وكذلك عند الميديتشي، إلى التقليل من الرَّهبة أمام الباباوية. لا يمكن الإثبات فيما إذا كان أحفاد الميديتشي الذين جلسوا على الكرسي المقدس يرون وجهة النظر هذه.

twitter @baghdad_library

الكنيسةُ والفنُّ

Kirche und Kunst

الأفكار (التي وردت سابقاً) هي غريبة تماماً بالنسبة للبابا ليو العاشر، لأنه قام بتكليف الفنان المفضل لديه،الرسام رفائيل،بتزيين مخادع الطابق الثاني في الفاتيكان. بعدها بوقت قصير كانت تماثيلُ الملائكة الجصيّة تزيّن قببَ السقوف، بالتناوب مع شعار الميديتشي، و(صورة) نَيْر ثور تحتها مقولة: **Sauve est**" التي تشير إلى طريقة حكم البابا الرؤوفة للكنيسة ـ كما يُزعم.

أعطى الأب المقدس، لفنانه المحبب رفائيل، وأصله من (مدينة) أوربينو، المزيدَ فالمزيدَ من الصلاحيات الواسعة. لقد نصّبه مراقباً عاماً على الفنون، وحامياً للإرث الثقافي أيضاً.

على روما، بناءً على رغبة (البابا) ليو العاشر، أن تعترف بماضيها الكبير المتألق، المخفيّ تحت ركام القرون والآلاف من السنين. بإعجابٍ ولهفة انقضَّ الفنان الشاب (رفائيل) على البحث عن روما القديمة، وقدم بذلك عملاً آثارياً رائداً.

مقرّ القيصر نيرون، المسمى بـ "القصر الذهبي ـ **Domus Aurea**" ـ الذي يشبه الكهوف المائية، والذي كان قد سُمح بزيارته حديثاً ـ يثير في رفائيل إعجاباً (مفرطاً) لا يمكن له مقاومته.

في هذا المكان، وجد كبيرُ فناني البابا، وسط الركام القديم، الإلهامَ لموضوعاتِ تزيين جدران الفاتيكان:

"وعلى ما يبدو أن القدماء حققوا تصوراتهم (الفنية) بجهد لا محدود، وتغلبوا على كل المصاعب، إبان ذلك، بالإرادة وحدها"

رسائل رفائيل إلى رب عمله (البابا) تفصح بشكل واضح عن مدى إعجاب الفنان بالأعمال الفنية المكتَشفة (ويتابع في رسائله):

"إنني أرغب في إحياء الأشكال الجميلة للأبنية القديمة، ولكنني لا أدري فيما إذا كان هذا (مشابهاً) لطيران "إيكاروس ـ Ikarus" [20]

اللوحات الجدارية الموجودة على أسقُف "فيلاّ فارنيزينا"، التي يملكها رجل البنوك الثري "أغوستينو شيغي"، تشكّل الإطارَ الفاخر لولائمه الشهيرة.

فوق رؤوس الضيوف المحتفلين المرحين، رسم الفنان مجلس آلهةٍ، وكان معظمهم عراةً، يطلّون بتأمل (إلى المشهد تحتهم؟).

في مطلع القرن السادس عشر، انتشرت كثيراً الاحتفالات المقامة على نمط احتفالات الأقدمين، سواء كانت الاحتفالات دينية أو احتفالات فرح، تثير رؤيتها الدَّهَش عند المشاهدين.

في روما، حيث كان الأغنياءُ يحتفلون على طريقة احتفالات "باخوس"- (إله الخَمرة عند الرومان، حيث تقام له طقوساً ماجنةً)، لم يكن يتغيب عنها ذوي الثياب الأُرجوانية (الكاردينالات) من الفاتيكان.

(في مثل هذه الاحتفالات كان من المقبول أن) يَجري المرءُ فيها محادثات (غزل) صريحة، حتى عند رجال اللاهوت.

في ذروة الاحتفال، كما يقال،كان يحق للضيوف أن يلقوا بآنية الطعام النفيسة في (نهر) التّيبر القريب.

في اليوم التالي كان يتم إخراجٍ الصحون والكؤوس المذهبة بالخفاء من النهر،حيث كانوا قد وضعوا سابقاً في الماء شباكاً لالتقاطها. وراء هذا التظاهر بالتبذير، كانت تكمن روحُ البخل (عند صاحب الدعوة).

في الفاتيكان قام رفائيل بتزيين الجناح الخاص بالكاردينال "بيبّينا – اسمه الحقيقي كاردينال برناردو دوفيزي– Kardinal Bibbiena Dovizi"، بمثل هذه المشاهد المستَمدة من الميثولوجيا القديمة، التي كان لها صلة بموضوعات الحب المرحة، وهو ما يؤكد (أحقية) الأحكام المُسبقة عند المنتَقِدين البروتستانت.

---

(20) (مشيراً بذلك إلى أسطورة إيكاروس الذي صنع لنفسه جناحين من الريش لصقهما بالشمع على جسده، ولما اقترب من الشمس، وبسبب ذوبان الشمع، سقط ومات).

twitter @baghdad_library

إحدى اللوحات التي تزيّن جدران الفاتيكان المسماة "ستانزا ديلاّ زيناتورا"، من عمل رفائيل، وهي قمة الإبداع في عصر النهضة، تثير مع غيرها، انتقاد خصوم البابا، لاحتوائهم على مشاهد وثنية.

twitter @baghdad_library

الكاردينال بيبيّنا يُعتبر شوكةً في أعين الكثيرين ومن داخل الكنيسة (أيضاً). إنه مؤلِّف مَلهاةٍ، وردت في بعض مقاطعها أمورٌ إباحية تماماً، قام بعرضها في قصره أمام (البابا) ليو العاشر.

الكاردينال بيبيّنا، الذي قام رفائيل برسمه وكأنه أحد أمراء عصر النهضة، وجد تقديراً عند نجم الأدب المعاصر له، "بالديساره كاستيغليوني في عمله الرئيس الموسوم بـ"**Il Libro del Cortigiano**"، حيث وصفه برجل البلاط (البابوي) المثالي، الذي يمثل طريقة العيش العالمية (المنفتحة).

هذا المديح يحمل أيضاً جانباً آخر، لأنه يتعلق بإحدى شخصيات الكنيسة الرفيعة.

وفاة فنانه المحبب (رفائيل)، لم يكن بالنسبة للبابا وحده خسارة مؤلمة. من المحتمل أن الإعجاب المفرط لهذا الفنان المُلهم بالفن الروماني القديم، هو الذي وضع حداً لحياته، لكن من المحتمل أن تكون الحفريات الآثاريّة في الخرائب الواقعة في المستنقعات - حيث يكثر فيها وجود بعوض "الأنوفيليس"، "وما كان يتبخر من الأرض من غازات سامة"، أنه قد أصيب بالملاريا.

لقد توفي (الفنان رفائيل) في يوم الجمعة الحزينة بتاريخ 6 / 4 / 1520، عن 37 عاماً، ويقال بأن تصدّعاتٍ أصابت (جدران) الفاتيكان يوم وفاته، وأن البابا بكاه بمرارة.

دُفن رفائيل في "البانثِيون - **Pantheon**"، الذي كان سابقاً معبداً مباركاً للآلهة (الرومانية). نُقشت على قبر ه عبارةٌ تدل على إعجاب أحدهم المفرط به:

"هذا رفائيل، الذي كانت حتى أمُّنا الطبيعة، تَهابُ أن يقهرها. عندما مات، شعرتْ (الطبيعة) بأن عليها أن تموت أيضاً"

كائنٌ من الجحيم يَبتلعُ الكَهنوت الشَّرهين

Ein Hoellenwesen verschlingt

أصاب المنتقدون للفاتيكـانَ نجاحـاً، قبـل كـلَ شـيءٍ، بمطـالبتهم بإلغـاء (تجارة صكوك) الغفران. هل يمكن شراء مملكة السماء؟.

بالنسبة لمارتن لوثر يعتبر هذا أسوأ الخطايا جميعاً، وقـام بسـرعة بتنظـيم المقاومة. قريباً أخذ المصلحُ يشدّد من لهجـة مواعظـه مـن علـى منـبر كنيسـة القصر في فيتّنبيرغ، بأن:

"عدوّ الله، المعادي بحق للمسيحية، يجلـس ويحكـم في رومـا" و"الـبلاط الروماني (البابـاوي) هو مدرسة الشيطان"، بهذا كان يصل إلى مشاعر الشعب. (ويتابع نقده) في إحدى فرضياته قائلاً:

"البابا يملك الآن ثروة أمراء، هي أكبر من ثروة أغنى أمراء المال، فلماذا لا يبني (إذن)، هذه الكنيسة ـ البازيليكا للقديس بطرس مـن أموالـه الخاصـة، بدلاً من أموال الخطاة الفقراء؟"

دون أي ارتباك من هذا النقد الحـاد، ينتشـر بـائعو صـكوك الغفـران في بـلاد الغرب وفي طليعتهم ألمانيا، حيث يجنُون أكثرَ وأثمن الأرباح، بينمـا دولٌ أخـرى تُحجم عن مثل هذا "الخداع المالي"، الذي سيحجب الأموالَ عن عُلية القوم.

البندقيةُ تمنع في نيسان مــن عام 1515، فــور صدور الإعــلان البابـاوي (بولـّهْ) بيـع الصـكوك، وتمنـع المبعـوثينَ البـابويين مـن القيـام بمهمتهم هذه.

نظام التمويل الخبيث هذا يعتمد على قاعـدة أسـاس في (طريقـة) ممارسـة الكنيسة لسلطتها، حيث تقـوم الكنيسـة بتعليـق عقوبـات، مثـل الطـرد مـن المعتَقَـد، أو النفـي مـن المجتمـع المسـيحي، لفـترة قصـيرة (مـن أجـل شـراء الصكوك) ثم العفو عنهـا.

twitter @baghdad_library

منذ القرن الحادي عشر، كان بإمكان أي أسقف، لاحقاً حصر الأمر بالبابا فقط، أن يقوم بتقصير أمَد هذه العقوبات إذا قام النادم المؤمن بتقديم عمل ديني، حتى لو كان التبرع بالمال.

أخيراً يعلن اللاهوتيّون أن مثل هذا العمل يمكن له أن يقصّر من فترة إقامة (الخاطئ) في الجحيم سواء بالنسبة للأحياء أو للأموات.

هكذا كان (لزاماً) على الأبناء والبنات الطيبين أن يدفعوا (المال) ليحصلوا لوالديهم المتوفيان على خلاص من عذاب النار.

هذه النظرية تعمل، وتستطيع سحب النقود من جيوب الناس.

لا يجد هذا المنطق توافقاً عاماً في أوساط رجال اللاهوت النزيهين، حتى في روما ولكن هذا لا يؤثر في الموضوع شيئاً.

حتى وإنْ بدَت ممارساتُ تجار الصكوك، من وجهةُ النظر اللاهوتية غير نزيهة، إلا أنها تؤدي هدفها المالي.

خلال ذلك تقوم البنوك،التي تعمل عالمياً، بإدارة الدولاب الكبير لإعادة خلطِ أوراق القروض والاستثمار من جديد.

عندما قام رئيس الأساقفة الألماني ألبريشت، بمحاولة اقتراض مبالغ كبيرة من أجل شراء الألقاب والوظائف الكنسية، ودفَعها إلى البابا ليو العشر ثمناً لذلك، قدّم له بنك الـ "فوغّر– Fugger" (بنك التجار) في مدينة أوْسبورغ المالَ اللازم لذلك.

كضمان لإعادة هذه الأموال كان لزاماً على ألبريشت أن يضع (رهناً) عائدات بيع صكوك الغفران، التي هي في الواقع تخص البابا وحده.

كانت الصفقة تتضمن فِقرة، هي نوع من الضمان أيضاً، من أجل أن تعود المبالغ إلى صاحبها (البابا).

لأن الكرسي المقدس حصل على مبالغ نقدية كبيرة ودفعة واحدة، نتيجة للقرض الذي أخذه ألبريشت (لدفع ثمن المناصب الكنسية). البابا يعبَر (له) في المقابل عن امتنانه، ويأمر بأن تعود نصف عائدات صكوك الغفران المباعة في ألمانيا، والتي هي في الأساس مخصصة لبناء دوم بطرس (في روما)، إلى كبير الأساقفة ألبريشت، الذي يتمكن الآن من تسديد ديونه لبنك الفوغّر.

إنها تجارة هائلة تلك التي تجري من وراء الأخلاق المسيحية التي لا توافق على شَرْعَنَة مثل هذا الاستعمال (للأموال) بشكل مخالف لما يجب عليه استعمالها، ولكنه يتماشى مع ذروة الصفقات المالية في العصر الوسيط الساحر.

السبب المحرض على دوران العجلة المالية هذه، كانت حاجة ألبريشت فون براندينْبورغ (الماليةُ)، وكان قد بلغ الثالثة والعشرين من العمر، وينتمي إلى عائلة الـ "هوهِنْزولَرْن ـ Hohenzollern" (المالكة)، وكان يحمل لقبَ "مارك غراف"، ثم تركهم ينتخبونه أولاً إلى منصب كبير أساقفة مقاطعة مَغديبورغ، ثم إلى منصب أسقف مدينة هالبريشتْشتات، وأخيراً وصل إلى منصب كبير أساقفةماينز (المدينة الشهيرة).

بهذا أصبح ألبريشت أحدَ أقوى الرجال في ألمانيا، غير أن صعوده الوظيفي الشّاقولي هذا يحمل خطأً تجميلياً حاسماً.

إنه لا يتوافق مع التعليمات القانونية. لأنه، استناداً إلى القانون الكَنسي، لا يحق لأحد أن يجمع بين عدة وظائف أسقفية، إنْ لم يقم البابا بالسماح استثنائياً بهذا. لكن مثل هذا السماح كان في زمن (حكم) الحبر الأعظم ممكناً، لقاء شرائه بمبالغ ضخمة.

من كان يملك الوسائط المالية الكبيرة، كان بإمكانه أن يختار بين أكثر من ألفي وظيفة كَنسية، قابلة للشراء.

بيع الوظائف الكنسية هذا "سيموني– Simonie"، يعتبر بالنسبة للبابا، مصدر مال مربح جداً.

ممارسة ألبريشت لَمهماته (الكَنسية) العديدة (في آن واحدٍ معاً)، كانت تَستدعي دفع مبالغ كبيرة (للبابا لقاء الاستثناء)، لم يكّن بمقدوره دفعها من عائدات مقاطعته الغنية،حتى بصفته كـ "لاندْ غراف"

لكن التصميم المالي الحذِق، (سمح له) بضم عائدات صكوك الغفران الألمانية إليه، وبهذا أصبح غيرُ الممكن ممكناً، وذلك عند بدء مرحلة الانقسام الكنسي، الذي لم يكن أحدٌ يفكر في احتمالية حصوله.

twitter @baghdad_library

كائنٌ من الجحيم يَبتلعُ الكهنوت الشَّرهين

twitter @baghdad_library

نشاطات ألبريشت (المالية هذه)، التي استدعى لأجلها كبارَ الجباة من بائعي الصكوك إليه ليطلقهم في بلاده، لم تبقَ خافية عن (أعين) بروفيسور اللاهوت لوثر، الذي كان يعمل في جامعة براندينبورغ الريفية.

مفتش التحقيق " تِـتزِل – Tetzel"، الذي كان يحمل لقب "بريور - Prior" (الهام) في التنظيم (الكَنسي) الدّومينيكانيّ، كان يتنقل كفاتح في البلاد ليبيع للخطاة من الناس خلاص أرواحهم:

راياتٌ ملونة صغيرة (مثلثة الأشكال)، صليبٌ أحمر كبير يطلع من خلف أكَمَةٍ، ثم يبدو الراهب الدّومينيكانيّ، ذو الثياب الفاخرة، على صهوة جواده، وفوقه ترفرف رايةُ البابا، وتتبعه جماعةٌ مسلحة وعربات تحمل صناديق مسلحة بالحديد.

عندما كان هذا الرّكبُ يصل إلى بوابات إحدى مدن العصر الوسيط، كان أعضاءُ مجلسها يُهرعون عن قصد للقائه.

كانت تعريفة (ثمن) الصكوك، تحدَّد بدقة حسب مكانة الشخص الاجتماعية: الأمراء يدفعون 25 غولدِن، البارونات يدفعون10، المواطنون الأثرياء يدفعون 6، والأقل منهم دخلاً يدفعون غولدناً واحداً فقط، أما الفقراء فيدفعون ربع غولدِن.

لقد تمّ جمع عشرات الألوف من (قطع) العملة الذهبية ـ الغولدِن بهذه الطريقة، وفي ألمانيا تيار غير منقطع من هذه العملات يجري نحو روما ليملأ خزينةَ مال (البابا) ليو العاشر الشهيرة، التي كان يكافئ منها، بالقطع الذهبية، الفنانين المحببين إليه.

قبل أن يحدث هذا بعدة سنوات، في عام 1511، زار المدينةَ المقدسة (روما) راهبٌ أوْغستينيٌّ بسيط قادم من ألمانيا يدعى الأخ لوثر، الذي وجد لنفسه مأوى في دير عند أحد إخوانه في التنظيم، لأنه كان فقيراً جداً، لا يستطيع حتى شراء جبّة لنفسه.

لا أحد يعير هذا الحاج البسيط اهتماماً، حتى عندما زار موقع بناء بازيليكا البابا من أجل القديس بطرس، الضخم المهمل، الذي بدا (له) مثل كارثة هندسية: الكنيسة الجليلة القديمة، كانت قد أزيلت. بعض الأعمدة العملاقة فقط كانت قد بُنيت، لأن نقود البابا يوليوس الثاني نفدت من عنده.

بعدها بعقود قال لوثر لأحد المقربين منه جداً، في حديث على الطاولة (شخصي)، أنه اكتشف يومئذٍ، الطبيعةَ الشيطانية للباباوية.

بعدها بستة أعوام يعِظ الراهبُ لوثر الذي أصبح مصْلحاً، ودون تحفظ، أنّ البابا يستطيع رفع العقوبات (فقط) التي فرضها هو بنفسه، ولا يحق له أن يستبق الحكمَ الإلهي، ولهذا فإن صكوك الغفران لا تستطيع مساعدة أرواح الأحياء ولا الأموات.

بدلاً من ذلك يقوم لوثر بالتوضيح للناس أنْ يبحثوا عن الرحمة الإلهية في الصلاة وفي المعتَقد.

الجماهيرُ لا تستطيع فهم اللاهوت العميق والمعتَقد عنده. برغم ذلك تستطيع بعض الشعارات الحاذقة أن تشعلهم:

البابا مبذِرٌ، روما، منذ وقت طويل ولاعتبارات خاصة بمصلحتها، تقوم بالتعتيم على الحقيقة، وبأن الإصلاح الديني هو في إعادة تعاليم الإنجيل الصافية، لكي يُلطِّف الغضبُ الإلهي.

لوثر يعلن، في لحظة تاريخية صائبة، ذلك الذي انتظره الكثيرون (الإصلاح الكنسي)، وقد وجد في اختراع تقْني ثوري حليفاً له، كان قد حصل قبل أعوام قليلة (من قبل غوتِنْبيرغ)، وهو طباعة الكتاب. آلات الطباعة تنسخ الفرضيات الهرطقية والإعلانات (المضادة للبابا) بملايين النسخ. بعدها بقليل ينطلق التمرد الضخم: حركة الإصلاح الديني.

أما أن تكون قد وجدَت لها في ألمانيا بخاصةٍ، مثلَ هذا الدعم الكبير، فمرَدُّ ذلك يعود أيضاً إلى حالة مُلكية الأرض يومئذٍ، حيث توجد أكثر من ربع (مساحة) الأرض الألمانية في ملكية خمسين أسقفاً، وأربعين من رؤساء الأديرة.

twitter @baghdad_library

هكذا تَناما الغضب، الذي لا يمكن إيقافه، عند الأثرياء والفقراء معاً، على سلطة الكهنوت.

بينما كان الفلاحون، حتى دون دفع ثمن الصكوك، يعانون من الضرائب (وتقديم) العينيات، التي كانوا ملزمين بدفعها وبتقديمها للكنيسة وللإقطاعيين (أيضاً) كان النبلاءُ يمتلئون حسَداً من ازدهار أملاك منافسيهم (رجالُ الكنيسة).

برغم هذا الخلاف بين دوافع الطبقات، فإنهم كانوا يقفون معاً في الصراع ضد روما. حتى بعد أن تحطمت هذه الوحدة (بينهما) في السنوات اللاحقة، وما جرى من معارك ضارية بينهم إبان "حرب الفلاحين"، إلا أنهم ظلوا يراقبون عدوهم الرئيس في روما.

كما كان يفعل أجدادهُ في فلورينز فالبابا ليو العاشر يريد أيضاً أن يضفي بصمتَه على المدينة الخالدة على نهر التيبر (روما).

التيار الجديد لدوم – كنيسة بطرس، الذي ابتُدئ ببنائه زمن حكم (البابا) يوليوس الثاني يجب أن يكون فريداً:

(لأنه) رمزٌ هائل لانتصار الباباوية وكسْبٌ كبير لأهمية عاصمتها.

لكن الواقع كان غير ذلك: أعمال البناء في دوم بطرس الجديد لا تتقدم. إشاعاتٌ تقول بأن الأموال المخصصة لأعمال البناء، قد أنفقها البابا على طراز حياته المبذّر، أو أنه أهداها إلى أخته مادّالينا (المجدلية).

"كان (البابا) يتجنب مواجهة الأمور غير المريحة، لأن مرض اللذة التي لا تشبع، كانت من أهم مميزات طبيعته، وهو ما اتسمت به عائلته أيضاً وقد تعلمها من الوسط الذي كان يحيا فيه"

هكذا يسمي لودفيغ باستور، كاتبُ سيرة حياة البابا، الصفاتَ المميَزة القاتلة عند أول بابا أتى من بيت الميديتشي.

لكن هذا يمثل جانباً من الموضوع فقط، وليس أخيراً جانب السمعة، حيث أن البابا ليو العاشر، فوق هذا، سياسيٌّ سلطةٍ دون أخلاق، فهو الذي أمر

بالحرب على (مقاطعة – هيرتزوغتوم) أوربينو واحتلالها، وهو ما اعتبره معاصروه حرباً قذرة.

بعد وفاته ضاعت (ملكية عائلته لهذه الإمارة المحتلة) سريعاً، كما أن هيبة عائلة الميديتشي العلنية، أخذَت تتضاءل.

(بسبب هذا) لم يتمكن ابن عمه جوليو، بخلاف ما كان متوقَّعاً، من أن يصل إلى منصب البابا كخلفٍ للراحل ليو العاشر، حيث فاز بمنصب البابا في عام1522 الكاردينالُ الهولندي "أدْريان فلوريز بويْنس ـ A.Fl.Boeyens" المولود في مدينة أوتْريشْت، وكان من المقربين الحميمين عند القيصر كارل الخامس، وكان معروفاً عنه الصمود في مبادئه الدينية، وتصرفه المتواضع في البلاط.

إنه زاهدٌ يريد إصلاح الكنيسة الرسمية، ليخلصها من محاباة الأقرباء ومن اتجاهها الدُّنيَوي (السلطوي).

لكنه لم يتمكن من هذا، حيث توجد هناك الامتيازات والعائدات المالية الكَنسية – Pfruende، في اللعبة التي تهدد مصالح العديد من ذوي السلطة.

توفي (البابا)، الذي حمل اسم حدريان السادس، بعد عام فقط من حكمه، مما أثار الشائعات حول موته المفاجئ، ولكن لا توجد دلائل جدية عن احتمالية موته قسراً، بسبب السُّم مثلاً، ولكن الطريق يصبح بعد وفاته سالكاً أمام الكاردينال جوليانو دي ميديتشي (إلى الباباوية).

twitter @baghdad_library

(البابا) كليمينس السابع
متأرجحٌ بين المقاعد (متَردّدٌ)
Clemens VII
Zauderer zwischen allen Stuehlen

بعد وفاة (البابا) حَدِريان السادس المفاجئة، وبعد الدعوة لعقد المجمع (الانتخابي)، يسحب الكاردينال جوليو (دي ميديتشي) كلَّ الملفات (لتوظيفها). إنه لا يزال يخشى من عدم قابليته للباباوية، حسب القانون الكَنسي، لأنه ابن غير شرعي.لهذا يقوم بتقديم الوعود لرجال الانتخابات المهمين بإعطائهم أموالاً طائلةً ووظائف مجزية، برغم علمه بأنه، بعد الانتخابات،لن يستطيع تحقيق وعوده.

يحتفظ أرشيفُ الدولة في فلورينز، بالرسائل الشخصية المتبادَلة بين الكاردينالات المجتمعين في الخلوة الانتخابية الذين كان (ولا يزال) من الممنوع عليهم رسمياً القيام بأية اتصالات مع الخارج، (كما يحتفظ الأرشيفُ) كذلك بدفاتر حسابات البابا المنتَخب حديثاً، والتي تدل على قيامه بدفع مبالغ مالية تتعلق بانتخابه.

بعد مرور خمسين يوماً من الصراعات والمفاوضات (البازار) ينتصر جوليو دي ميديتشي في حمل لقب البابا كليمينس السابع،

بشكل استثنائي، لأن هذا الاسم قد حمله أحد الباباوات قبله، وكان يعتبر قبل انتخابه سيدَ حرب مريع ومخرب، جلب له لقباً غير محمود وهو: **"جزار سيسينا"**

هذا البابا المضاد (الجزار) حكم مابين 1378 – 1394، في وقت الانقسام الكَنسي (الكبير – شيسْما)، حيث أدّت صراعات الكرادلة (يومئذ) إلى وجود بابا في روما، وآخر في أفِنيون، وبما أن الكنيسة الرسمية لا تعترف بالباباوات المضادين، أصبح اللقب حراً، وهكذا استعمله جوليو دي ميديتشي عند انتخابه للباباوية.

رسالة تعريف: (البابا) كليمينس السابع
Steckbrief: Clemens VII

لم يكن جوليو دي ميديتشي، عند ولادته بتاريخ 24 / 5 / 1478، ابناً غير شرعي فحسب، وإنما كان نصفِ يتيم أيضاً.

والده جوليو دي ميديتشي الأول، كان قد توفي قبل ولادته بشهر في حادثة الاعتداء على حياته (وحياة أخيه)، التي تمت ضد رؤساء عائلة الميديتشي في دوم ـ كنيسة فلورينز.

البابا ليو العاشر ـ إبن عمه ـ كان قد منحه السماح بسبب ولادته غير الشرعية، من خلال إعلانه بأنه ولد (شرعياً) من زواج سري.

هكذا كان بإمكانه أن يصبح أسقفاً لمدينة ناربونّه، ورئيس أساقفة فلورينز.

يُقال بأن من تعرّفه شخصياً رأى فيه، وبخاصة عند المقارنة مع غيره من الميديتشي القبيحين، رجلاً جميلاً ذا جسد نحيل، له ملامحٌ وقورة وعادات حميدة.

عندما أصبح سليل الميديتشي غير الشرعي البابا كليمينس السابع، لم يكن يفتقر للمديح المسبق، وبخاصة من جانب المراقبين الحياديين، الذين لم تفتهم قوةَ عمله الدّؤوبة ولا ولاءه الكبير في خدمة سلفه (البابا) ليو العاشر.

الدبلوماسي والكاتب "بالداسّاره كاستيغليوني" يخبر عن (حفل) تتويج البابا اللامع:

"كان بإمكان الجمع الهائل من الناس أن يقرأ ما كُتب فوق منصة الاحتفال: كليمينس السابع، الذي أعاد السلام العالمي، والمدافع عن اسم المسيحية" لكن الأمور سارت بشكل مغاير.

مبعوث فينيسيا لدى الفاتيكان "ماركو فوسكاري"، استطاع من خلال إقامته هناك لمدة ثلاثة أعوام، أن يَدرُس (شخصية) كليمينس السابعٌ بدقة.

twitter @baghdad_library

إنه يؤكد على عدالته، وإيمانه العميق، ويقول:

"إنه لا يبيع المناصب الكَنسية المربحة، ولا يعطيها للأقرباء، بخلاف (البابا) ليو العاشر وغيره من الباباوات، فهو لا يطلب خدمات، عندما يوزّع عفوَه، ولكنه يرغب أن يجري كل شيء حسب القانون"

واحدٌ آخر من فينيسيا يؤكد أن قلب البابا بارد جداً، ولهذا تستغرق قراراته زمناً طويلاً جداً، على الرغم من امتلاكه في الواقع المقدرةَ للحكم على الأمور.

لودفيغ باستور الذي كتب سيرة حياة البابا، يكتب:

التّردد الدائم، هو من خصائص طبيعة البابا كليمينس السابع، غير المحببة، التي لا يؤدي فيها هذا (التردد) إلى توضيح الأفكار وتقوية الإرادة ولكن إلى نشوء شكوك جديدة وتحفظات لا تنتهي.

التردد والإرادة غير الثابتة، هما من الأمور التي تسهم بهلاكه، ولاسيما أن تردده هذا كان على درجة عالية.

باستور يلخص حكم المؤرخين الحرج (حول البابا) قائلاً:

"المعاصرون تغاضوا أول الأمر بشكل كامل، عن خصائص طبيعة كليمينس السابع المثيرة للشكوك، ولكن الذهول لاحقاً كان محرجاً، عندما رأوا الكاردينالَ العظيمَ، فائقَ الاحترام، يتحول إلى بابا صغير قليل القيمة"

العدُّ التنازلي (للبابا) نحو الهاوية، ابتدأ بعد جلوسه على الكرسي المقدس بوقت قصير:

في عام 1525 لحِقَت بالملك الفرنسي هزيمةٌ عسكريةٌ مدمّرة، في موقع بافيا، حيث أُلقي القبض عليه ورُحِّل إلى إسبانيا.

السياسي الواقعي البابا كليمينس السابع، يعقد سريعاً مع القيصر المنتصر حلفاً في مدريد عام 1526 يلتزم فيه فرانز الأول (الملك الفرنسي المهزوم) بالتخلي عن أية مطامع له في إيطاليا.

نظراً لتعاظم الخطر القادم على أوروبا، من (القيصر) كارل الخامس القوي، وبخاصة على إيطاليا المنقسمة على ذاتها، يقوم البابا بعد وقت قصير (من اتفاقية مدريد)، بإنشاء اتحاد مضاد (للقيصر) يسمى "اتحاد كونياك" مع فرانز الأول (خصمه الفرنسي السابق)، يؤدي إلى اندلاع الحرب (مع القيصر) في أيار من عام 1527، بنتائج مريعة أدت في ذروتها إلى نهب روما، وعُرفت باسم "**ساكّو دي روما**"، (أي: حمّام الدم في روما، الذي قتل فيه نصف سكان المدينة).

البابا كليمينس السابع هربَ من الفاتيكان إلى "**برج الملائكة**"، حيث تم حصاره فيه، وبرغم الدفاع المستميت من قبل الحرس السويسري (الباباوي)، اضطر (البابا) في النهاية إلى الاستسلام وقبول نفيه باحترامٍ، إلى مدينة أورفيتّو، مثل هذا حصل سابقاً مع الميديتشي عند طردهم من فلورينز.

إبّان حكمه كان الحبر الأعظم كليمينس السابع، يحمل في نفسه خوفاً من الكونزيل (المَجمع)، يعادل خوفه من حركة الإصلاح الديني.

شعاره هو: لا يجب أبداً أن يخضع البابا لاجتماع كَنسي (كونزيل)، كما حصل سابقاً في كونزيل كونستانس وبازل، ولأن الكونزيل - حسب زعمه - سيقوي من سلطة القيصر.

هكذا حالَ البابا كليمينس السابع دون تجدد الكنيسة، ودعَمَ، دون قصدٍ، البروتستانتيةَ.

الكاردينالُ الإسباني "غارثِيَا دي لوايْزا"، وهو الأب الذي يعترف عنده القيصر كارل الخامس، يقول لسيده:

"هذا البابا هو أكثر الناس غموضاً في العالم، ممن تحدثت إليهم"

البابا كليمينس السابع توفى بتاريخ 25 / 9 / 1534 في روما، ودفن في كنسية سانتا ماريا، التي دفن فيها أيضاً البابا ليو العاشر، قريبه وداعمُه (في الوصول إلى الباباوية).

twitter @baghdad_library

"قصر الشعب" في أورفيتّو، حيث هرب البابا كليمينس السابع من القيصر وعاش فيه بضعة شهور.

twitter @baghdad_library

للبابا الكثير من الخصوم الأشدّاء

Der Papst hat viele erbitterte Gegner

كأحد أفراد (عائلة) الميديتشي، يُصنَّف (البابا) كليمينس سياسياً، مع جماعة الموالين للقيصر، ولهذا قام حزبُ الموالين للتاج الفرنسي بكل شيء لمنع انتخابه، أضِفْ إلى هذا الصراع السياسي القائم بين هذه الأطراف، الصراعَ بين العائلات القوية ذات المصالح الشخصية، الذي يلعب دوراً هاماً، وبشكل خاص الصراع بين (عائلة) "كولونّا ـ Colonna "، الرومانية النبيلة العريقة، وبين (عائلة) الميديتشي في فلورينز، حديثة الثّروة.

التردد المزمن، هو أحد ميزات (البابا) جوليو الشخصية الذي يجعله في أعين الكثيرين غير قادر على القيام بمهماته الوظيفية، وبخاصة في مثل هذه الأوقات الصعبة (ظهور البروتستانتية) التي يُعتَبر فيها بُعدُ النظر السياسي، والحساسيَة في التعامل مطلباً (ضرورياً).

فرانشيسكو غويسّيارديني ـ F.Guicciardini"، المثقف جداً الذي ينتمي إلى عائلة من نبلاء المدينة (الشعبيين) في فلورينز، تبع البابا كليمينس السابع، كسكرتير خاص له، إلى الفاتيكان، حيث أصبح مؤرخاً واقعياً للأحداث القائمة التي يُسقطُ عليها، مع مرور الوقت، أحكاماً محرجة مستمَدة من تجاربه المَعيشية لها.

منذ بدء انتخابات البابا وما أحاط بها من ظروف غير سويةٍ، ابتدأ الرفضُ عنده:

الروح القدس لن يدعَ نفسه يحلُّ بالتأكيد في أرواح كاردينالات اليوم، غير الطاهرة.

عند انتهاء خدمته في الفاتيكان يقول عن دوره، الخالي من الأحلام، وعن عمله في محيط البابا، ما يلي: "لقد أردتُ غير ذلك، ولكن الجشَع الأعمى عند الأقوياء لم أستطع قهرَه"

البابا المنتَخبُ حديثاً يرى نفسه كداعية سلام في أوروبا المتنازعة، وكوكيل حازم للمعتَقد المسيحي في مواجهة الكفار. باندفاع شديد يبتدئ العملَ على إعادة ترتيب العالم الغربي من جديد.

كبير مستشاريه كان ينصحه بالوقوف إلى جانب القيصر، بينما بقية المستشارين ينصحونه بالملك الفرنسي.في وسط هذا جلس البابا كليمينس السابع، غير قادر على اتخاذ القرار الحاسم.

الوضع السياسي في بلاد الغرب، بالغ التعقيد، ومن الصعب استيعابه حتى بالنسبة لرأس كليمينس السابع القدير.

في عام 1516 يصبح كارل الخامس، كوريث لعرش كاستيليا وأرغون، ملكاً إسبانياً، وبما أنه ينتمي إلى سلالة هابسْبورغ (الألمانية — النمساوية)، يقوم الأمراءُ الألمان عام 1519 بانتخابه قيصراً ألمانياً – رومانياً (أيضاً). لكن، وحتى يصبح هذا قانونياً، يجب على حامل الوظيفة (اللقب)، من أجل نيل البرَكة الأخيرة، أن يُتوَّج من قبل البابا.

الفاتيكان يقوم بتأخير طقس المسح هذا كي يرفع من الثمنَ السياسي له.

الحاكم الشاب كارل الخامس، يصف التباعدَ الجغرافي بين مناطق حكمه بأنه: "عدوّي الأكبر".برغم من أنه كان دائم التنقل (بينها) تقريباً، فهو لم يُرض أحداً،لذا كانت حكومته تعاني، طوال عمرها، من الانشقاق الذي يكمُن في تجسيده الشكليّ للإمبراطورية.

وزراؤه اللأسبانيون يصوغون ذلك (الوضع)، وما نتج عنه من فراغ كامن في السلطة، بطريقة متعَجرفةٍ مميَزةٍ لطبقتهم الوظيفية (كما يلي): "أرضَخُ، ولكنني لا أنفّذُ

كارل الخامس لا يحصل إلا على القليل من عائدات الضرائب، لذا فهو مدين بشدة للعديد من البنوك، مثل بنك الفوغّرْ ـ (التجار) في مدينة أوْسْبورغ، وهو معلّقٌ برضاهم عنه، (ولهذا) فإن مجال مناوراته السياسية محدود.

إنه يعتمد في الواقع على قوة جيشه البري الضاربة، وعلى نجاحات رجال محاكم التفتيش في العالم الجديد ـ أميريكا، حيث تمّ قهرُ إمبراطورية

twitter @baghdad_library

الأزتيك في المكسيك عام 1521، وتمكنَ من إقامة إمبراطورية استعمارية ضخمة هناك.

نبلاء الريف الغاضبون يتهمونه، بصفته مِلكاً لإسبانيا (أيضاً)، بإهمال أمان البلد البحري بسبب بخله. الأتراك وحلفاؤهم في شمال أفريقيا يستطيعون بأسطولهم البحري السيطرةَ على كل حوض البحر (الأبيض) المتوسط تقريباً.

زوجه إيزابيلا تطلب من كارل الخامس[21]، أن يولي اهتمامه الأول لمحاربة "أمير القراصنة" في الجزائر، المدعو "برباروسّا"[22]

(العالِم الشهير) ذو النزعة الإنسانية "إيراسموس فون روتَرْدام" هو الشخصية الأكثر احتراماً بين مثقفي عصره، يُعلق (قائلاً):

"كلاهما، كارل وسليمان، يتحاربان من أجل أكبر الجوائز: هل سيصبح كارل حاكماً على العالم كله، أم سيصبح التركي (سليمان)؟. العالَم لا يستطيع أن يحتمل شمسين على السماء"

المؤرخ الإسباني "فرانشيسكو لوبيز دي غومارا"، الذي عايش الهجوم الفاشل لكارل الخامس، على معقل القراصنة المسلمين في الجزائر، يُبدي خيبة أمله في القوة القتالية لجماعته:

"كلاهما، السلطان والقيصر، اهتمّا بالحرب على قدر متساو، لكن الأتراك كانوا أكثر نجاحاً في تحقيق أهدافهم منا نحن الإسبان، لأنهم كانوا الأفضل في التنظيم والانضباط في الحرب، تشاوروا بشكل أفضل ووظفوا المال بشكل أفضل.

الملك الفرنسي الكاثوليكي فرانز الأول، يبحث في الصراع على تاج القيصرية مع القيصر الكاثوليكي أيضاً، كارل الخامس، عن دعم له عند الكفار (!) الأتراك، أعداء الغرب الأوائل يومئذ، حتى أن الأسطول العثماني وجد له ملجأً شتوياً في ميناء تولون (الفرنسي). بعدها بوقت قصير، هاجم

---

(21) **(ورد لقبه في الأصل - سهواً - الأول بدل الخامس).**

(22) (الاسم هذا حمله أحد الملوك الألمان الذين شاركوا في حملات الفِرنجة على الشرق العربي، ومات غرقاً في أحد روافد نهر العاصي).

السلطان سليمان الفاخر (القانوني) بجيشه هنغاريا، وتمكن في معركة "موهاش ـ Mohacs" من قتل ملك هنغاريا لودفيغ، وزحف نحو فييناً.

لا أحد يسرع لنجدة أرملة لودفيغ، ماريا، وهي أخت القيصر كارل الخامس. على الرغم من أن العالم المسيحي الآن في خطر كبير، إلا أن فرنسا والبندقية يهاجمان القيصر، وهما مهدَّدان في الوقت نفسه، من قبل سليمان.

حتى البابا يغيّر الجهةَ ويتحول ضد القيصر كارل الخامس، بدلاً من أن يدافع مع القيصر والملوك ضد الأتراك.

هكذا يدعم البابا جزئياً (فقط) الحملات الصليبية التي قام بها

كارل الخامس ضد الكفار (!) في حوض المتوسط وضد البروتستانت (!) في ألمانيا، لأنه يخشى أيَّ تعاظُم في قوة القيصر وهذا ما لم يتفهمه كارل الخامس.

غير أن ابنه فيليب يكتب عن هواجسه إلى أحد الوزراء (ما يلي):

"أؤكد لكم أن اللامبالاة عند البابا، أوصلتني إلى حد فقدان صبري الكبير... إنني أعتقد، لو أن هولندا كانت تتبع أحداً آخر، لقام البابا بالعجائب للحيلولة دون انهيار الكاثوليكية هناك. لكن بما أن البلاد تابعة إلي فإن الأمر لا يعنيه، لأنها ستكون قد ضاعت مني

بتاريخ 24 / 2 / 1524جرت، في حدائق قصر مدينة بافيا، شمال إيطاليا، المعركةُ الحاسمةُ بين القوتين الكاثوليكيَّتين، حيث انتصر فيها تماماً جيشُ القيصر (كارل الخامس).

الكثير من الفرسان الفرنسيين سقطوا (قتلى)، و(الملك الفرنسي) فرانز الأول يتم أسره وإرساله إلى إسبانيا. البابا يشعر بنفسه في مأزق. مرة أخرى (كان قد) راهن على الورقة الخاسرة.

لكن (البابا) كليمينس السابع، لا يزال يراهن على إمكانية دفع الأقوياء الأوربيين إلى محاربة بعضهم بعضاً، غير أنه يزداد تورطاً في المؤامرات، وكثيراً ما كان يغير، بين ساعة وأخرى، رأيَه، وهو ما يشكل كارثة، بخاصةٍ للمراسلات الدبلوماسية (التي لا يمكن تغييرها سريعاً بعد انطلاقها).

twitter @baghdad_library

عدمُ الثِّقةِ ينتَشرُ

Misstrauen macht sich breit

فرانشيسكو غويسِّيارديني (سكرتيرُ البابا الخاص) يكتب، كمراقب نزيه لتصرفات البابا، من وجهة نظره للأمور:

"كليمينس السابع غير قادر على اتخاذ القرارات، وبشكل دائم.إنه لا يكاد يتخذ قراراً، إلا ويندم عميقاً عليه لأنه قرر هذا وليس ذاك، مما يؤدي إلى التراجع عنه وبدء العمليةِ المعذَّبة من جديد.

كيف يمكن أن يكون الأمر عليه غير ذلك بينما ساعي بريد عاجل يتلو الآخر، لتتم استعادةُ الرسائل التي صدرت لتوها؟.

أحياناً يكون الرسول سريعاً، حتى أنه لا يمكن اللحاق به، عندها تتسلم الرؤوس المتوَّجة أخباراً متناقضة من البابا لقراءتها، مما يسيء إلى سمعته كثيراً:

تناقضات تشبه سياسة تحالفاته (المتناقضة).

بعد أسر الملك الفرنسي في بافيا يقوم البابا على وجه السرعة بعقد اتفاق مع القيصر كارل الخامس، لكنه يقوم من وراء ظهره بلعبة غاية في الخطورة: إنه يحرر سراً الملك الفرنسي من كل ما وعد به هذا، القيصر ـ تحت القسم ـ لقاء إطلاق سراحه.

عندما قام القيصر كارل الخامس فعلاً بإطلاق سراح غريمه، تحفّظ على أولاده عنده كرهائن. بعدها بوقت قصير يقوم البابا بالتحالف مع فرنسا، ميلانو، البندقية، و فلورينز في حلف ضد القيصر، سُمي بحلف كونياك، الذي يهدف إلى تحرير أبناء الملك الفرنسي (الرهائن)، وإعادة عائلة سْفورزا الحاكمة إلى ميلانو، التي طُردت منها.

في حال عدم تحقيق هذا، يخطّط الحلفُ إلى القيام بعمل عسكري مشترك ضد القيصر، الذي شعر بنفسه مخدوعاً، بعد أن علم بهذه المؤامرة، وبخاصة من البابا، الذي يريد أن يسلبه جائزة نصره في بافيا. انتقامه سوف يكون مريعاً.

رسالة كارل الخامس إلى كليمينس السابع، أُمليَت، برغم كلماته الودودة، بقلبٍ بارد:

"الأب المقدَّس فائق الاحترام. نؤكد لكم على حبنا الثابت ووفائنا المطيع (لكم)"

سيدُ المسيحية – (البابا) –، الذي كان يحسن الظن بالأخبار التي تجلب له ما تأمّله، يُبدي فرحه بهذا المديح (ويقول):

"اُنظر، كارل يهنئني بمطلع العام الجديد ويتمنى لي كل خير!. إنه لا يدري (عن المؤامرة) ويريد بإصرار التحالف معنا! القيصر يبدو لي جديراً بالثقة التامة"

هذا ما رواه سكرتيرُ البابا الخاص، عن ردّة فعل البابا على الرسالة القادمة من البلاط الإسباني.

فرانشيسكو غويسِّارديني، يستطيع أن يرى الازدواجية وراء الجُمل (في رسالة القيصر) ولكن دون أن يتمكن من تحقيق ما فهمه منها (عند البابا). حكمه على الأمر: المميِّز لكليمينس هو أنه يعتقد فعلاً أن الآخرين سيصدّقون كذبه!، والأغرب من هذا أنه يصدق كذب الآخرين (عليه).

مبعوثوا حلف كونياك يحملون دوماً نفس المطالب: مدعوماً من البابا يريد (الملك الفرنسي) فرانز تحرير الأمراء (أبناؤه الرهائن عند القيصر)، دون أن يفي بكلمة الشرف التي أعطاها له.

كارل الخامس جاوب ببرودة، مستعيراً عبارةً لرجل الدولة الروماني العالِم "سيسرو"، كما يقول المؤرخون:

twitter @baghdad_library

"أن تجعل نفسَك أحمقاً لمرة واحدة، هو أمر غير مفرحٍ، في المرة الثانية يكون ضارّاً، في المرة الثالثة يكون ببساطةٍ غباءً"

القيصر يعطي أحدَ المبعوثين (من الحلف) رسالةً شخصية إلى الملك فرانز الأول (جاء فيها): "سوف لن أطلق سراح أحد تحت التهديد، لأنني من جانبي لم أتعوّد التصرف تحت الضغط. على ملككم (فرانز الأول) أن يتنبَّه لشرَفه، إنْ كان لا يزال يملك شيئاً منه" ممثل البابا لم يُعره القيصرُ إبّان المفاوضات أي اهتمام.

بعد أن انكشفت علناً مؤامرةُ البابا (ضد القيصر)، حاول أن يضع الذنب على "الماركيز دي بيسكارا" ويتهمه بالأمر، وكان قد توفي قبلها بوقت قصير، واثقاً من أن الموتى لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

لكن هذا التابع الوفي (للقيصر ـ الماركيز المتوفى)، كان قد أعلَمه عن المفاوضات السرّية بين البندقية والهيرزوغ سْفورزا حاكم ميلانو، وبين البابا كليمينس السابع، وظلّ يمدّه بأدقّ أخبارها، وهذا ما لم يكن يعرفه البابا بدوره، مما أدى إلى فشل مساعيه الدبلوماسية المتأرجحة بالكامل مرة أخرى.

مبعوث انكليزي يُعلِم عن حالة مزاج البابا، التي كانت تزداد قتَامةً بسبب الكمّ الهائل من الأخبار السيئة:

"إنه مرهَصٌ، متعلقاً (سارحاً) وحيداً بأفكاره، لمدة ثلاثة أو أربع ساعات أحياناً. إنه دون عزاء ودون أصدقاء بعد الآن"

الوضع في إيطاليا يزداد مأساويّة. مطلع العام 1527 لا يقف تحت نجم جيد. الطاعون يعود لينتشر من جديد ليطال أعدادَ لا تحصى من الضحايا. أحد الشهود من منطقة اللومباردي يقول عن الموت الجماعي هذا: "لم يسبق من قبلُ للمسيحية أن رأت ما يشبه هذه التمثيلية من الدمار والانحلال"

حُفرةُ القتَلَةِ النَّتِنةُ

Die stinkende Moerdergruba

البابا، ودون أن يترك فيه الخطرُ المتشكَل (القادم إليه)، أيَّ انطباع، يقوم خلال ذلك بصراعٍ ـ بسبب خلاف مرير ـ مع العائلة الرومانية النبيلة، تحت قيادة عدوه اللدود الكاردينال "بومبيو كولونّا — P.Collonna"

كان (البابا) كليمينس السابع يخشى، حتى على حياته، بسبب هذا القتال (الناشب) ضمن حدود مدينة روما. لهذا لم يتنبه خلالها، على ما يبدو، إلى الخطر القادم من شمال جبال الألب.

قائدُ أقنان الأرض المدعو "جورج فون فرونْدسْبيرغ"، قام بعد انتهاء "حرب الفلاحين" بجمعِ الجنود الذين أصبحوا عاطلين عن العمل ووضعَهم كمرتزقةٍ في خدمة القيصر (كارل الخامس).

على الرغم من بقائهم عدة شهور دون الحصول على رواتبهم، بقي جيش المرتزقة هذا متماسكٌ، وهو حدَث غير اعتيادي، ويوجد تفسيرٌ له، سوف يضع البابا في حالة استنفار:

العديدُ من المرتزقة يكرهون الكنيسةَ والفاتيكانَ لأنهم من الموالين للبروتستانتية. كذلك ردة الفعل على المناشير الموزعة بكثرة، وتأثيرها على بسطاء الناس، التي كانت تصوِّر لهم الباباوات بصورٍ مريعة مطالبة بـ:

اضربوهم حتى الموت، لأنهم أتباع الشيطان.

الأربعة عشر ألفاً من المرتزقة، الذين جنَّدهم فرونْدسْبيرغ يريدون طعاماً، لهذا يجتازون جبال الألب باتجاه روما، عبوراً بجبال أبينين، وهم يمشون جياعى غاضبين نحو المدينة على (نهر) التّيبر.

بعد أن أُصيب قائد المرتزقة فرونْدسْبيرغ بجلطة دماغية توفي بعدها بوقت قصير، لم يعد هناك أحدٌ قادر على السيطرة على هذه المجموعة المتوحشة.

twitter @baghdad_library

البابا، يفاوض خلال ذلك، مرة أخرى مع القيصر من أجل الهدنة، ويقوم لهذا بتسريح قواته على الفور.

فرانشيسكو غونزاغا، (الذي يحمل لقب) مارك غراف (حاكم مقاطعة مانتوا، يُسقط حكماً (على موقف البابا)، يتّسم بالسُّخرية والاحتقار:

"كبيرة جداً هي قلّةُ الحكمة والإهمال (عند البابا): قبل توقيع الهدنة قام البابا بتجريد نفسه بالكامل من السلاح. كل شخص أصابه العجبُ لهذا الإجراء. لاشك أنّ العناية الإلهية شاءت ذلك، لكي تقضي على الكنيسة وقائدها"

(البابا) كليمينس السابع يفاوض بسرعة كبيرة بسبب نفاد الأموال عنده، (لكنه) يأمل بدعم أصدقائه السياسيين، غير أنه لا أحد منهم ينفّذ وعوده السابقة له.

البندقيةُ تحاول كل شيء للحيلولة دون قيام المصالحة بين القيصر والبابا، وتعلن عدم رغبتها في دعم البابا بالمال أو بالموارد العسكرية. هذا ما شكا منه الفرنسي "نونتيوس كانوسّا" قائلاً:

"البندقية تُعنى الآن بمصالحها الخاصة، ولا مساعدة تُرَجَّى من هناك، ولا من فرنسا"

قوات القيصر المتواجدة في شمال إيطاليا، من المرتزقة الأشداء المرهوبين، تخضع لقيادة فرنسي برتبة "رينيغات"، يدعى فالوي، وهو من المعادين لسلالة "آل كونّيتابل دي بوربون" الحاكمين في فرنسا، وهم لم يتسلموا رواتبهم منذ شهور. إنهم يُشتَهرون بالجُرأة، وبالعنف المُفرط حتى بمعايير عصرهم.

في المعارك يطبّقون تقنيةَ قتال خاصة بهم:

عند بدءِ الهجوم يقف في الصف الأول حمَلةُ الرماح الطويلة، طولها خمسة أمتار، ويدعون بـ "بيكينْديره" خلفهم ينتظر حمَلةُ

الـ "هِليبارِدِنْ" ـ (آلات قتال يلوَّح بها في المعركة) – وحمَلةُ الرماح القصيرة، والمحاربون بالسيوف، ومَنْ يحمل بيديه أسلحةً تشبه المناجل. عندما لا يوجد بعد الالتحام في المعركة، مجالٌ لعمل الرماح الطويلة وأسلحة

الـ "هِليباردِنْ"، يستعملون السيوف القصيرةَ، ولهذا السبب الوجيه يسمّون "سالخوا القط"، كذلك كانوا يستعملون "فؤوس القتل" الخاصة بهم والسكاكين، والأسنان وحتى قبضاتهم العارية.

العديد من ضحاياهم كانوا يموتون تحت ضغط الكتلة المندفعة، التي لا تتوقف، أو أنهم يموتون تحت الأرجل.

كانت المجزرةُ تزداد ضراوةً، عندما تبدأ مجموعة عسكرية (من أعدائهم) بالاهتزاز، وتقوم لهذا بعمليةٍ تدعى "مال الكعب" التي يقوم فيها الجندُ المدحورون بإلقاء كامل أسلحتهم، وما يملكونه من أموال، آملين بالنجاة عندما ينشغل المرتزقةُ بجمعها والانصراف إلى حيازة الأشياء الثمينة فيها.

غير أن هذه (الحيلة) نادراً ما كانت تفيدهم في الهروب، حيث كانت الغالبية العظمى من هؤلاء الخاسرين تُذبح دون رأفة.

"البعض الآخر (من المرتزقة) يقوم بتقطيع جثثهم وشيّها وبأكل القطع منها" هذا ما رواه شهود عيان خلال حرب المرتزقة مع (حراس البابا السويسريين).

هذا الفعل الرهيب المُقرف،كانوا يقومون به علانيةً أمام أعين أعدائهم ليحققوا من خلاله عندهم أعلى درجات الهلَع.

وسائل الحرب النفسية هذه، كانت ناجحة (؟!) تماماً. بعض هذه الممارسات أتى من تقاليد ومعتقدات مغرقة في القدم، وكان يجري طوال العصر الوسيط، فقد وصَلنا من مراجع قديمة، أن دَهنَ الأسلحة بالدِّهن المستخرَجِ من بطون ضحاياهم القتلى، وهو (الطقس) المسمى "شميرس ـ Schmears" (تشير هذه الكلمة، حسب رأيي، إلى فعل شْميرِن بمعنى يدهن) كان منتشراً، لاعتقادهم بمفعوله السحري[23]

---

(23) ملاحظة من المترجم:

twitter @baghdad_library

في كل مكان أخذت دعاية المجازر هذه، المبالغ فيها، تثير الهلَعَ عند اقتراب هذه "الجماعة المتوحشة"، التي تتشكل (في غالبيتها) من مرتزقة بروتستانت، وتسبب في انتشار الهستيريا الجماعية. مناشيرُ الدعاية المضادة للبابا، التي كانت تعتبره المضاد للمسيح في روما (التي هي) "عاهرة بابل"، كانت تستَعمل لغةَ الصورة لتصل إلى الشعب الأميّ، فتصوِّر أقنانَ الأرض (المرتزقة) وهم يبولون في طاقية البابا (تيارا)، بينما يصوِّرون الكاردينالات وهم يتأرجحون على المشانق.

(منشورة) لوثر الهجومية الموسومة بـ: "ضد بابوية روما، الموهوبة من الشيطان" تسهم أيضاً في تأجيج مشاعر المرتزقة.

على الرغم من أن عدد سكان روما، يومئذ، لم يتعد الستين ألف نسمة، إلا أنها كانت، بعد البندقية وجنوا، أغنى المدن الإيطالية، وتقع مكانتُها قبل فلورينز.

منذ زِمن طويل، لم يقم أيُّ عدو بنهب المدينة. إنها تدير ثراءَ المسيحية الذي جمعته حكومة البابا الشّرهة، والتي لا تعرف الشَّبع.

المنتصرون بإمكانهم، استناداً إلى قانون الحرب السائد (يومئذ)، أن يطالبوا بكل هذه الكنوز التي كانت بيد التافهين والبغايا والمتعاملين بالربا والصرافين، نعم وحتى (أنه يحقّ المطالبة) بكل ما يملكه الشعب.

"لا أريد أن يحطَّ النَّسرُ (القيصر) كارل هنا في إيطاليا، ولا أريد أن يصرخَ (هنا أيضاً) الديكُ فرانز (الملك الفرنسي): لأنه إمّا يتمُّ القضاءُ عليَّ نهائياً أو أقوم بإبادتهم" هكذا تنبأ البابا بقدَره البديل.

مثل هذا حصل أواخر القرن الحادي عشر – 1098-، إبّان حملات الفرنجة على بلادنا، في شمال سورية: فبعد أن كانوا قد أعطوا سكان مدينة (المعرة) الأمانَ، واستسلموا لهم، قاموا بقتل السكان، وبقْر بطونهم (للسبب أعلاه؟)، وبذبح الأطفال وشيّهم وأكلهم، وكان هؤلاء الفرنجة من الألمان.
(قرأت هذا النص، إبَّان وجودي مؤخراً في ألمانيا، في كتاب مترجمٍ عن الفرنسية إلى الألمانية عنوانه: "حرب البرابرة المقدسة"، أوردَه المؤلّفُ ضمن سياقه نقلاً عن الأديب "أمين معلوف"

بتاريخ 6 / 5 / 1527 بدأ فناء البابا تقريباً، بعد أن تمكن المهاجمون من اجتياح آخر معاقل دفاعه ودخلوا حيَّ الفاتيكان.

البابا تمكن، في اللحظة الأخيرة، من الهروب والنجاة، عبر الدرب المحصن، ليصل إلى "برج الملائكة"

أحدُ مساعديه قام بوضع معطف غامق فوق ردائه الأبيض حتى لا يعطي الهاربُ (البابا) لأعدائه هدفاً سهلاً، عندما كان عليه أن يعبر الأمتار القليلة (المتبقية) من طريق هروبه فوق جسر خشبي مكشوف، قبل أن يصل مسرعاً إلى الحصن ("برج الملائكة").

خلال هذا الهروب قامت الحاميةُ الشخصية السويسرية بالدفاع عنه، حتى آخر رجل فيها تقريباً، غير أنها لم تستطع الحؤولَ دون إساءة استعمال مكتبة الفاتيكان كإسطبل من (قبل الغزاة)، ولم تستطع أن ترد الضرر الذي لحق بلوحات رفائيل الجِداريّة، التي كان قد رسمها قبل سنوات قليلة.

المديرُ العام لمجموعات متاحف الفاتيكان (الخاصة بمرحلة) ما بعد العصر القديم (الأنتيكي)، الألماني "أرنولد نيسّلْراث — A.Nisselrath"، الذي وهَب نفسَه منذ عقود لترميمها (في هذا العصر)، كشَف عن أضرار، لم تكن ظاهرة للعيان سابقاً.

في اللوحة الجدارية الموسومة بـ "Disputa" (الجدال الخصامي) في الحُجرة المعروفة بـ"سْتانْزه ديلاّ سيغناتورا" (في الفاتيكان)، وعلى ارتفاع أكثر من مترين عثر على الأحرفَ التالية:

" VKIMP" محفورةً على الأرضية الجِصيّة للوحة، التي تعني:

يحيا القيصر كارل ـ Vivat Karlos Imperirator، تحتها يمكن قراءة كلمةَ لوثروس ـ (لوثر، المحفورة أيضاً على اللوحة).

العديد من مشاهد القديسين والباباوات، الذين صوّرهم رفائيل، كانوا أيضاً ضحايا الاعتداء المقصود عليهم، حيث تم تخريبُ عيونهم ووجوههم.

twitter @baghdad_library

الخبيرُ "أرنولد نيسّلْراث"، يخمِّن بأن الضرر جرى بالاعتداء عليهم بواسطة الرماح الطويلة، وهو السلاح العادي عند أقنان الأرض (من المرتزقة).

في "فيلاّ شيغي"، الواقعة في حي تراستيفيري (في روما)، التي تحمل اليوم اسم "فارنيزينا"، هناك ضررٌ مقصود لحق بلوحاتها الجدارية أيضاً.

"بما أن معظم أقنان الأرض (المرتزقة) كانوا يتبعون المذهب اللّوثريّ، فهم لم يدَعوا الفرصةَ تفوتهم بإلحاق السخرية والإهانة بالباباوية البغيضة. كانوا يجوبون الشوارعَ، على ظهور الحمير، مرتدين قبعات الكرادلة الحمراء وملابس أمراء الكنيسة، ليقوموا بكل ما يمكن للمرء أن يتصوره من (أشكال) السُّخرية"

هذا ما يعلِمنا به كاتبُ سيرة البابا الذاتية لودفيغ باستور.

إنه يروي قصةَ الضابط الألماني "فيلهلم فون سانديزيلّ"، الذي تنكّر في زي البابا، وأخذَ يجول (في روما) تاركاً للكاَردينالات، الذين كانوا أيضاً من المرتزَقة المتنكرين، تقبيل يديه وقدميه، بينما يقوم بمباركتهم، حاملاً بيده قدح النبيذ، قبل أن يقوم الجمْعُ بالهُتاف عالياً باسم لوثر كبابا، وكان بإمكان البابا كليمينس السابع أن يسمع من مخبئه في "برج الملائكة" هذه الهتافات (المدوية).

يقول باستور: "أقنان الأرض يوضحون (موقفهم)، بأنهم وعدوا الله بقتل كلّ التافهين، وهذا ما فعلوه"

كان البابا شاهداً على الإرهاب، الذي لم يكن ليتصور من قبلُ، حصوله في المدينة المقدسة، دون أن يستطيع فعل أي شيء.

حياته في "برج الملائكة" لم تكن مهددةً، حتى الآن،ولكنه كان يجلس محاصراً من كل الجهات، يجلس في المصيَدة، حيث أمسى مكانُ الهروب سجناً له.

رأسُ الكنيسة الكاثوليكية أصبح سجيناً دون مساعدة وهو متروك (لقدره)، ولما يحصل هناك، خلف جدران الحصن.

من غير المحتمل أن يكون في قتل الكرادلة المقربين من القيصر، عزاءً له. إنهم يهاجمون السفارات الألمانية والإسبانية وحتى مبعوثي القيصر يُقتلون.

لكن الموت يتزايد، حتى بين المحتلين أنفسهم في "حفرة القَتَلة النَّتنة"، ويسود في المدينة.

لودفيغ باستور ينقل عن أحد أقنان الأرض قوله (بلهجة عامية ما يلي): "هنا يموت الكثير من أقنان الأرض بالطاعون. إنهم يشربون (الخمرة) بقوة، يفقدون وعيَهم، ويموتون على الفور. النبيذ هنا قوي"

إمدادات مياه الشرب غير الصحية لعبت أيضاً دوراً في انتشار الوباء (الطاعون)، الذي قضى خلال ثلاثة أشهر فقط، على حياة 2500 من الألمان. هكذا أصبح لدى الجانبين من الأصدقاء والأعداء، رغبةً في إنهاء حالة الفوضى، وبوقت قريب إن أمكن.

سُمعة (القيصر) كارل الخامس عانتْ كثيراً مما فعلته قواته من تدمير لا حدود له، وكذلك من إلقائه القبض على البابا.

قبل كل شيء، كان على البابا المحاصر، أن يطرح على نفسه السؤالَ المعذِّب: كيف كان ممكناً للكارثة أن تحصل، تلك التي ذكَّرت الكثيرين بالقيامة؟.

البابا يشتري لقاء مبلغ ضخم حريتَه بعد سبعة أشهر من الحصار، غير أنه لم يكن، برغم ذلك، في أمان.

حتى يستطيع النجاة من الغوغاء، تنكّر في زي خادم منزلي بسيط. أمّا أن يكون، كما تريد الحكاية المختَلَقة أن تروي لنا، بأنه قد امتطى حماراً إبّان هربه (متشبّهاً بامتطاء السيد المسيح للأتان)، فهذا أمر مشكوك فيه كثيراً.

الأرجح أنه ذهب إلى (منفاه في) أورفيتو، محمولاً على نقّالة، ترافقه قوة مسلحة صغيرة.

twitter @baghdad_library

البابا يهربُ

Der Papst flieht

يعتَبر طردُ وكيل المسيح على الأرض من روما، تحـت الظـلام والضـباب، إهانةً، لا بعدها إهانة أكبر.

في فلورينز عام 1527، يتم طردُ الميديتشي أيضـاً، وبـدلاً مـن حكمهـم، تدخل جمهوريةُ الطبقة الوسطى، التي تَطرَّفت سريعاً، لتعلن المسـيح حاكمـاً على كيان دولتها.

بناءٌ غير اعتيادي، لا يزال يذكِّر حتى اليوم في أورفيتا، بمهجَـر البابـا في المدينة.

استطاعة البئر (فيها) لا تكفي لجميع أفراد بلاط الدولة (البابـاويـة). ففـي الصيف بخاصة يسود نقصٌ في المياه.

البابا كليمينس السابع، يكلّف على الفور المهندس "أنطونيو داسـانغالّو"، الذي أثبت جدارته في الخدمات الكَنسية، بوضع التصـاميم لبنـاء موقـع بئـر جديـدة. إنـه لتكليـف صـعب، لأنّ موقـع أورفينـو، الواقـع عاليـاً بالنسبة لمحيطها على مجموعة من الصخور، حوّلها إلى حصن، من الصعب الاستيلاء عليه، ولكنـه (أيضـاً) يجعـل مـن الـدخول في أرضـها، دون تقنيـات الحفـر الحديثة، مسألةً غاية في الصعوبة، ولكنٍ الغنى في الاختراعات الموجودة عنـد عبقري عصر النهضة، يُلهمه إيجادَ حلٍ باهر (للمشكلة).

(المهندس) "سانغالّو" يأمر بحفر نفقٍ بعمق خمسين متراً في الصخر الأصم، حتى يصل إلى مستوى المياه الجوفية.

في جوانب النفق يأمر بحفر سلّمان،كدرجٍ، يلتفـان حـول بعضـهما بعضـاً بشكل حلزوني معاكس، وبهذا لا يلتقي (ويعرقـل) حـاملوا المـاء (مـن القـاع) بعضهم بعضاً. وكانت المياه تُنقل في الغالب، على ظهور الحمير.

إنه نظام دربٍ وحيد الاتجاه، محفور بإحكام في الصخر.

بقي البابا، مرغماً في أورفيتو نصف عام، قبل أن ينتقل إلى (مدينة) فيتيربو ـ **Viterbo**، بسبب النقص في الطعام.

حالته (هذه) تبدو مخالفة لما كانت عليه الأحداث التاريخية في الحصن الجبلي كانوسّا (حيث كانت المنفى للبابا يومئذ).

هناك، وقبل أربعة قرون، كان على الملك الألماني هاينريش الرابع أن يحجّ، لابساً قميص طالب الغفران، إلى البابا غريغور السابع.

البابا الآن في حالة هروب، متوسّلاً إلى القيصر (كارل الخامس) أن يعيد له الوظيفة والهيبة، وهو لا يبدي معارضة للمصالحة السريعة مع البابا كليمينس السابع.

فجأة يعلّق (القيصر) كارل الخامس، على تخريب جيشه القيصري للمدينة المقدَّسة (روما)، بكلماتِ نقد ذاتيّ مذهلة:

"مثل هذا العمل يخلو من الكرامة، ولا يطاق!"

البيان الذي كتبه "ألفونسو دي فالديس"، سكرتير القيصر، بعد نهب روما، والذي أرسل إلى ملوك انكلترا وبولونيا والبرتغال، يعتبر مثالاً يُحتذى للتبدلات الدبلوماسية:

"على الرغم من أننا نعترف، بأن ما جرى كان بقوة إلهية، وبشكل أقل بسبب قوةٍ أو رغبةٍ من البعض، وبأنّ نفس الإله الذي وضعْنا عنده بصدق كلّ آمالنا، يرغب في الانتقام بسبب كلّ الآلام التي لحقت بنا دون سبب، فقد أعدَّ لنا (الله) آلاماً كبيرة، في إلحاقنا الإهانة بالكرسيّ المقدس، دون أمرٍ أو قصدٍ أو موافقةٍ منا. إننا كنا نؤثِر، بصدق، عدم النصر، على أن يكون مثلُ هذا قد جرى على هذا الشكل"

البابا كليمينس السابع، يقبض بفرح باليد المصالِحةِ الممدودةِ إليه، ويبدّل الجانبَ،بسرعة تقطع الأنفاس، آملاً بأن يكون هذه المرة، قد راهن نهائياً على الورقة الرابحة.

twitter @baghdad_library

إنه يستطيع في الخامس من أكتوبر / ت1 عام 1528، العودةَ إلى الفاتيكان، وكذلك تعود السلطةُ في فلورينز، بمساعدة القيصر، إلى يد الميديتشي من جديد.

في ميدان فيشيو، بمدينة فلورينز، قامت السلالةُ (هذه) بتوثيق ما جرى للأجيال القادمة، على لوحة جدارية تمثل المصالحةَ بين البابا والقيصر، كما يشاء المؤرخون الرسميون للعائلة الحاكمة أن يروْها.

فرانسيسكو غويشّيارديني استخلص من كارثة "مذبحة روما" عِبْرتَه الخاصة به، فكتب:

"كل ممارسةٍ للسلطة، هي في الواقع غير حكيمة، يؤثّر فيها عَماءُ الأقوياء، لهذا فإن كلّ السلطات شريرة، لا يستطيع المرء أن يتعلم من النظر إلى أحداث الماضي، كما ينظُر في ملّخص كتاب، ولكن عليه أن يفهمها من خلال خلفيّاتها السابقة"

بهذا يكون (فرانسيسكو غويشّيارديني)، قد أسّس لنمط علمي (جديد) للمؤرّخ.

اتفاقية السلام بين (القيصر) كارل الخامس و(البابا) كليمينس السابع هي صفقة تجارية، ذات مصالح متبادلة، لأنه تم بتاريخ 24 / 2 / 1530، وهو عيد الميلاد الثلاثين، لسليل (عائلة) الهابسبورغ، الذي يُتوَّج رسمياً من قبل البابا، (باسم كارل الخامس) كقيصر للأمة الألمانية.

كارل يقف (بعد تتويجه) على ذروة سلطته. قبلها بوقت قصير اضطُر السلطان العثماني سليمان إلى رفع الحصار عن فيينا، لأن 12 ألف من الجنود الأتراك المحاصِرين، فشلوا في احتلال المدينة المحاصرة. الإهانة التي لحقت بالسلطان، مردّها إلى القوات الإسبانية وقوتها النارية، التي أرسلها كارل الخامس، لفك الحصار عنها (فيينا).

النهاية

Das Ende

حفل التتويج الذي تم (لكارل)، في **بولونّا، وثّقَ لاستسلام البابا (كليمينس** السابع) أمام الأوضاع السلطَوية الحقيقية، وخلَق تَبعيّة جديدة. بعدها بقليل، جرى دفع الفاتورة على الأقدام (أقدام البابا التي قبّلها القيصر).

بناء على الرغبة الحازمة للقيصر كارل الخامس، قام الفاتيكانُ بعدم الموافقة على (طلب) الملك الإنكليزي هاينريش الثامن، بالطلاق من (زوجه الإسبانية) "كاتارينا فون أراغون"، وهي من أقرباء القيصر (الإسباني أيضاً) المقربين.

هاينريش الثامن انتظر قرار الفاتيكان لسنوات عديدة دون جدوى، حتى نفد صبرُه، فقام في غضَبه بسحب سيطرة بابا روما عن الكنيسة الإنكليزية، كما قام بمصادرة كل أملاك الكنيسة الموجودة على الجزيرة لصالح التاج، وسدد بذلك لهيبة الأب المقدس ضربةً منخَفضة (تحت الحزام) من جديد.

كان على (البابا) كليمينس السابع، مرة أخرى أن يعرف (ذلك)، على الرغم من أن خمسة وثمانين من النبلاء الإنكليز، قد أرسلوا له طلب استعطاف مليء (بشمع) الأختام (أختامهم)، من دون جدوى أيضاً. الضرر (الناشئ عن هذا) لم تزل تحمله الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية) حتى اليوم.

تصرُّف البابا (حيال الطلاق) لم يكن ناجماً عن شعور أخلاقي متطور عنده، فقبْل هذا قام صائغُ الذهب (المدعو) "بنْفينوتو سيلّيني"، المرغوب في صداقته، بقتل شرطي انتقاماً لمقتل أحد إخوته، وتمت ملاحقته ببطء وتحفظ في روما وفي فلورينز.

سيلّيني هرب بعد جريمته إلى قصر الهيرزوغ "اليسّاندرو دي ميديتشي الذي أمر فقط بوضعه في الإقامة الجبرية في منزله.

أما تبرير الميديتشي لذلك فهو: إتاحة الوقت للفنان (الصائغ) لإنهاء عمل، كُلِّف به من قبل الفاتيكان، قبل تقديمه للمحاكمة. بعد أن أتم العمل

twitter @baghdad_library

وحملَه إلى البابا، قام (البابا) كليمينس السابع، بالعفو عنه من الجرم الذي ارتكبه، قائلاً بكلمات غريبة:

"بنْفينوتو، الآن، وبعد أن تم شفاؤك، عليك الاهتمام بحياتك"

إنها حالة فاضحة من التلاعب بالقانون. القاضي الأكبر (البابا) يعفو لأسباب شخصية عن الجرمِ الذي قام به العبقريُّ المحترم (الصائغ)، بحجة أن مرضاً مفاجئاً أصابه، ودفعه، دون إرادته، للقيام بهذا الفعل (قتل الشرطي).

هكذا ظلت جريمة القتل، في المحصلة، من دون عقاب.

بعد وفاة عرّابه (البابا) كليمينس السابع، أخذ "بنْفينوتو" يسعى لدى خلَفه في الفاتيكان للحصول على وظيفة (القائم) على صكٍّ العملة، وهي وظيفة مجزية العائدات، داخلاً (مع المرشحين الآخرين) في منافسة مريرة، يتجاوز الفنانُ فيها كلَّ الحدود مرة أخرى.

برغم ذلك قام البابا باول الثالث بتسميته مسؤولاً عن (عملية) صك العملة، قائلاً لغرمائه:

"عليكم أن تعرفوا أن رجالاً من أمثال بنْفينوتو، الفريدين في مهنتهم، لا يجب عليهم أن يخضعوا لقانون الاختيار"

يُعتبر عمل "بنْفينوتو سيلّيني"، الفنِي الرائع، الذي مثَّل فيه البطلَ الإغريقِي "بيرسيوس ـ **Perseus**"، حاملاً بيده رأس "ميدوزا" الذي يقطر دماً عملاً يصوِّر روح العصر السائد (يومئذ).

التمثالُ يمكِن له أن يذكِّر بقادة الحزب الجمهوري في فلورينز، الذين أمر الهيرزوغ "كوسيمو" بإعدامهم، وكان عمره يومها 18 عاماً. لكن بيرسيوس كان أيضاً البطلَ الذي قتلَ وحشاً مريعاً ليحرر الناس من كابوس، ويعلِّمهم الحياةَ الحضارية، وهو ما يلائم، دون شكٍ، مصالح كوسيمو. علىً كل حال، كانت دعاية التمثال هذه ترمي إلى تخويف كلّ معارضة ضد حكم الميديتشي.

لكن للعمل، جذوراً شخصية أيضاً، كما قال المعلّمُ (البابا):

"آمل، من خلال هذا التمثال، قتلَ كلِّ أعدائي الحقيرين، لأصل إلى انتقام أكبر وأكثرَ مجداً، مما لو كنت أطلقتُ غضبي على واحدٍ منهم فقط"

(البابا) كليمينس السابع، وجدَ مكان راحته الأخير في كنيسة "سانتا ماريا سوبرا **مينيرفا**" (إلهة الحكمة) في روما. هكذا بقي (البابا)، حتى في الموت قريباً من الآلهة القديمة (الأنتيك)، الذين لم يكن، على الأقل، يبغضُهم.

كانت كلماتُ نعيه موجهة غالباً ضد شخصه وأفعاله:

خلال أزمة الكنيسة الصعبة، كان يجلس في الفاتيكان رجلٌ، لا تهمّه وظيفته على ما يبدو. إنه لم يرغب إلا في الاستفادة من صراع القوى الأوربية، كطرف ثالث، غير وفيٍ. إنه يؤجج هنا (الصراعَ)، ويتوسّط هناك، يعِدُ، ويؤجِّل. إنه يتبع تماماً، ما كان يطالبُ به ميكيافيلّي، عديم الأخلاق:

"على الحاكم الحكيم، أن لا يفي بوعده، إذا كان هذا يتسبب بالضرر له"

الشعارات الساخرة ـ المضحكة عن رجل السلطة، ظلَّ (البابا) كليمينس السابع وفيّاً لها، حتى فقدتْ كلمات البابا قيمتها نهائياً"

سكرتير (البابا) المراقِب عن قرب "فرانشيسكو غويسّيارديني يصوغ، بكلماتٍ قليلةٍ، الخطأ الرئيس والسبب، لفشل البابا (قائلاً):

"أقوالٌ متناقضة، غير قابلة للحلّ، وغير معقولة، لممارسة سلطةٍ بشكل جنوني

كواحدٍ من أعلى ممثلي الكنيسة رتبةً في عصره، يُسقطُ المؤرخُ حكماً (على البابا) قائلاً أيضاً:

"كل ّما فكر به وفعله، البابوات، كان موجهاً لخدمة مجدهم الأرضي. سلطتهم الدينية استخدموها فقط كأداة ووسيلة، وهكذا بدوا أقرب إلى الأمراء منهم إلى البابوات فقط.

(البابا) كليمينس السابع، كان ناجحاً حقاً في أمر واحد فقط:

كمدبّر زواجٍ، قام بتزويج قريبته "كاتارينا دي ميديتشي" البالغة من العمر ثلاثة عشر سنة، مع ابن الملك الفرنسي، كذلك زوّج "ألسّاندرو دي

twitter @baghdad_library

ميديتشي"، الذي من المحتمل أنّه كان ابنه شخصياً، مع ابنة القيصر غير الشرعية، وحصل له بذلك على لقب هيرزوغ (مدينة) فلورينز.

العريس (العروس) كانت تبلغ سبعة أعوام من العمر (فقط) عندما أُعلنت خطوبتها. وكان هذا، كما يزعمون، تعويضاً من (القيصر) كارل الخامس على تدمير (جنوده المرتزقة) لروما.

عند الزواج كان عمرها أربعة عشر عاماً، ولكن الزواج من ألسّاندرو المريع الغَضوب، أصبح كابوساً، انتهى روعُه عندما قام أحدُ أقربائه الغيورين، باغتيال الزّوج العنيف.

قبل موته بوقت قصير، قدّم (البابا) كليمينس السابع لعالم الفن خدمة لا تقدر بثمن، عندما كلّف (الفنان) ميخائيل أنجلو، برسم (جدارية) "القيامة" في الكنيسة السيكستينية.

يقال أن كليمينس السابع "شعر بوضوح، عند اقتراب نهايته، بالذنب الكبير الذي أسهم فيه في نهب روما وقتْل عدد كبير من سكانها.

(جدارية) "القيامة" تدلُّ على تعرُّض الخاطئين إلى التهديد بعقوبة الجحيم المريعة، وتدلُّ كذلك على غفران الذّنوب، والصعود إلى الفِردوس السّماوي.

اللوحة الجداريّة التي تمّ عرضها خلال باباوية باول الثالث، تضمّ حوالي أربعمائة شكل (شخص)، يسلّمون لحكم قاضي العوالم يسوع، حيث يصعدون إلى السماء، إما إلى الخلود الأزلي، أو إلى السقوط في نار الجحيم، ملعونين إلى الأبد.

لقد عانى ميخائيل أنجلو، ستة أعوام، في إنجاز هذا العمل التصويري العملاق للمذبح، وكان عمره 66 عاماً عندما تم الكشف عنه (إزاحة الستار). (لوحةُ القيامة – الدّيْنونة) تصيب المشاهدين (عند الافتتاح) وكأنها الصاعقة: محتواها، هو اختراق للتّابوهات (الكلمة: تابو Tabu ذات الأصل البولونيزي، تشتمل أكثر من مجرد المحرّم)، وإظهار وقح لأجسادٍ عاريةٍ تشكّل فضيحةً، ظلت لعقود تثير المشاعر في الفاتيكان، لكن ميخائيل أنجلو رفض بإصرار، حتى وفاته، أن يغيّر في العمل شيئاً.

(البابا) باول .بولس .الثالث وخلفاؤه
.مَن يساعدْ نفسَه، يساعدْه الله أيضاً .
Paul III und Nachfolger
Wer sich hilft,den hilft auch Gott

كما كان الحال عليه عند (البابا) ليو العاشر، هكذا هو الحال أيضاً عند البابا باول الثالث. لقد فاز، بعد صراع، بالوظيفة بسبب تزويج كلٌّ منهما أختَه، يومئذ.

على كل حال نال ألسّاندرو فارنيسّه، "A.farnese" وهو في الخامسة والعشرين من العمر ـ هيبةَ الكاردينالية، بعد أن قام بتزويج أخته، ساحرة الجمال، جوليا من "ألسّاندرو بورجيا"

(البابا لاحقاً) الذي يكبرها بأربعة وأربعين سنة: هذا التزويج أثبت أنه كان استثماراً مستقبلياً مربحاً. كذروة سيرته الوظيفية الكنَسية، تقوم الخلَوة (الانتخابية) في عام 1534، باختيار أليسّاندرو لمنصب البابا.

جوليا لم تعشْ لترى انتخاب أخيها، فقد توفت عام 1424، ودفنت في جزيرة بيزينيثينا الواقعة في بحر بولسينا.

حتى بعد أن أصبح (في منصب) البابا، لم يغير سليلُ أسرة فارنيسه، من طرازِ حياته إلا قليلاً. كما في السابق، كذلك في اللاحق، لا يزال يمتطي ذاهباً إلى الصيد، ويقوم باستقبال النساء من عائلته لتناول الطعام معاً، ويحتفل بأبّهة مع الأقرباء في أعيادهم العائلية.

رئيس التشريفات الباباوية "ماسّاريلّي يكتب ملاحظةً، عن حفل أقيم فور انتخاب الحبر الأعظم: "البابا جمع حوله، في المأدبة، ثمانية أو عشرة نساء"

twitter @baghdad_library

عندما كان (البابا) كاردينالاً، أنجبت له عشيقته "سيلفيا روفّيني" بضعة أولاد، يلزم دعمهم الآن. ابنه "بيير لويجي" حصل له على (مقاطعة) بارما، إحدى أنبل الإمارات الإيطالية. لكنه يدلل ابنته مادّالينا – (المجدلية) أيضاً، بإعطائها السلطة (مدينة) بوليسنا، إلى جانب راتب شهري يتكون من ثلاثمئة سكودي ذهبية.

هكذا كانت الحياةُ العاطفية عند جوليا، التي دعمَها أخوها، السبَبَ في صعود عائلة نبيلة صغيرة، قادمة من الأرياف ليصبح بيتُ فارنيسه ـ (بيتُها) ـ الأقوى، وينفذَ في المدن التي يحكمها، بارما وبياسّينزا، أعمال بناءٍ مثيرة للإعجاب.

رسالة تعريف: (البابا) باول الثالث

Steckbrief: Paul III

في عام 1534 يصعد "أليسّاندرو فارنيزه ـ A.Farnese"، بعد تصويتِ الخَلوة، ليجلس على الكرسيّ المقدس، (تحت اسم) البابا باول الثالث.

ولد في عام 1468، وكان عمره عندما انتخب للباباوية 66 عاماً، وكان قد حصل على خبرته الواسعة، خلال حكم البابا ألكسندر السادس، وكذلك كان قد ورث من حيوية بابا البورجيا، الكثير.

مثل هذا (البابا) كان ميالاً إلى الملذّات الدُّنيوية وكان مثله أيضاً، أباً لعدة أبناء، ولدتهم له عشيقته سيلفيا روفّيني.

حتى بعد أن أصبح في منصب البابا، يفكّر أولاً برخاء أبنائه وأحفاده، ويغمرهم بالألقاب والكنوز. لكن، وعلى الرغم من أن تطلُّعاته وأعماله كانت تلتَزم (بمعايير) زمن قديم، زمن محاباة الأقرباء، إلا أنه استطاع، بنجاح كبير، أن يوصل هذا الموضوع إلى نهايته، وأن يقوم، استناداً إلى إحساسه بتغيُّر روح العصر، بما يلزم من إجراءات.

مع (البابا) باول الثالث، انتهت للمرة الأخيرة، محاولةُ البابا للسيطرة على العالم الغربي، ولكن من خلال هذا دخلت الفاتيكانَ معرفةٌ، بأن مستقبل الكنيسة يتعلق بإصلاحها فقط "في الرأس والأطراف"

اللوحاتُ الجدارية التي رسمها (الفنان) "جيورجيو فاساري ـ G.Vasari" في قاعة الـ "مئة يوم" في الفاتيكان، هي تمجيدٌ للبابا باول الثالث، كمجدد للمعتَقد وللكنيسة معاً. كل ما يقوم به، هكذا تريد رسالةُ اللوحات الجداريّة أن توصله، يتِمُّ بناء على رغبة وراحة المؤمنين. بهذه الروح قام (البابا) برسم كاردينالات جدد، يطمحون إلى العمل من أجل صالح الكنيسة فقط. البابا (من عائلة) فارنيسه، يقوم اعتباراً من عام 1535 برسم كاردينالات (جدد)،

twitter @baghdad_library

ليس استناداً إلى معايير مادية أو سياسية، (كما جرت عليه العادة)، وإنما استناداً إلى ممارساتهم في الرعاية الروحانية (للمؤمنين)، وفي عملية الإصلاح الكَنسي، واستناداً إلى معايير أخلاقية قياسية.

غير أنه يجب على البروتستانت، وعلى العقول الأخرى الناقدة (للكاثوليكية)، أن تشعر بقسوة القانون، لكن من يُبدي (منهم) رغبة طيبة وإيماناً، يمكن له أن يتوقَّع (منه) السماح.

هكذا أصدر (البابا) قانوناً (بولّه) يمنع بموجبه استعباد سكان أميركا الأصليين، لأن الهنود (الحمر)، شأنهم شأن كل الملوَّنين، "بشر حقيقيون، قابلون للإيمان، ولإنقاذ أرواحهم"، ولهذا كان لهم الحق في أن يُعمَّدوا (24)

بعد وفاة (البابا) باول الثالث عام 1549، أسقَط العالمُ اللاحق، عليه حكماً، مزدوَج الدلالة.

زمنُ حكمه كان مليئاً بالنور والظلال. في الجانب السلبي من زمن باباويته، تمت إعادة تسجيل العمل بمحاكم التفتيش في عام 1542، وكذلك دعم الأقرباء، والبذخ غير المحدود، في الفاتيكان، الذي شهد ازدهاراً مرة أخرى.

إن إنشاء محاكم التفتيش المركزية الرومانية (من جديد)، هو سمة مميَزة لهذا العصر الذّهبي الصاعد، الذي تحاول فيه الكاثوليكية، واللّوثرية، والكَلْفانية تحقيق التساوي في مسألة المعتَقد، (فيما بينهم) بالقوة.

غريزة السلطة السياسية الصائبة عند هذا البابا، أثبتَها من خلال ترخيصه ودعمه لنشوء (ما يسمى بتنظيم): "**جمعية المسيح**"، التي قام بتأسيسها "أغناطيوس فون لُيولا – **A. v. Loyola**"، والتي انتشرت في كل أوروبا خلال

---

(24) ملاحظةٌ من المترجم:
(تجدر الإشارة هنا، إلى الأهمية البالغة لهذا الإعلان البابوي لأن السكان الأصليين في أميركا- التي تم اكتشافها من قبل كولومبوس في القرن الخامس عشر -، قد تم إعلانهم من قبل الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا والبرتغال، في مرتبةٍ تصنّفهم بين البشر والحيوان،وبناء عليه تم فعلاً القضاء التام على شعوب بأكملها خلال القرن السادس عشر، بسبب جشع التاج الإسباني في الحصول منهم على الذهب، وأبيد ما يقارب من 25 مليون منهم).

العقود القادمة، لتشكل شبكة من المؤسسات التعليمية، التي تتم فيها تربية الكادر الشبابي من النخبة، استناداً إلى الفكر الروماني — الكاثوليكي.

من خلال دعوته لعقد المجمع الكَنسي ـ الكونزيل، في (مدينة) تْرِينْت ـ Trient في عام 1545، قام البابا بالخطوة الأولى الحاسمة، نحو تحقيق الإصلاح في الكنيسة الكاثوليكية، التي لم يكن من الممكن لها بدونه ـ ربما ـ أن تنجو وتعمل، كأحد العوامل الفاعلة في المعتقَد المسيحي.

المؤرخُ، وخبير عصر النهضة، البروفيسور فولكر راينهارد، يثمِّن قيادته الوظيفية (البابا باول الثالث)، بالمقارنة مع من سبقه، إيجابياً:

"الإصلاح، لا يتم في العصر الجديد (يومئذ)، بشكل قطيعة حادة (مع الماضي) إلا نادراً، لكنه يتم، بخلاف ذلك، أكثر من خلال معابر منزلقة (تدريجياً) بين القديم والحديث. مثل هذا جسده (البابا) باول الثالث بشكل ممتاز، يُحتذى به:

رأس "يانوس" هذا (ذو الوجهين)، حيث يطل أحدهما نحو

الماضي، ويطل الآخر، في الوقت نفسه، نحو الجديد، يحولُ دون إلحاق الأذى بحكومة الكنيسة، التي لم تكن قادرة بدونه ـ ربما ـ على الصمود، وهذا ما مكّن البابوية من الدخول في العصر الجديد.

(البابا) باول الثالث، حتى قبل دخوله الفاتيكان،كان وسيط تزويج ناجح. كحركة سياسية متألقة لوساطة تزويجه هذه، كانت إعادة تزويج ابنة القيصر، غير الشرعية، مرغريتا من حفيد البابا "أوتافيو فارنيسهْ"، الذي كان عمره يومها أربعة عشر عاماً، بينما كان عمرها ستة عشر عاماً، أي بفارق عمري ضئيل.

قام البابا بعقد إكليلهما في الكنيسة السيكستينية بنفسه، على الرغم من أن العريس (العروس) صمتت عند سؤالها عن موافقتها على هذا الزواج.

خاتم الزواج الثمين، الذي تمّ دفع ثمنه من الصندوق البابوي، قام الزوج بوضعه في إصبعها برغم معارضتها، تحت (غطاء) تراتيل جَوْقة المخصيين.

مرغريتا، وبعد تهديد من (قبَل والدها) القيصر، ومن البابا، تسمح لزوجها (بمعاشرتها) كي تحمل منه.

twitter @baghdad_library

جمعيّةُ المسيح

Die Gesellschaft Jesu

أغناطيوس فون لُيولا، الذي سُمِّي أباً لاعترافات مرغريتا، وبذلك أصبحت ملتزمة به وبنظامه الديني (جمعية المسيح)، هو الذي تم استدعاؤه إليها، عندما تعسّرت ولادتها لتوأمٍ، ولكن ولحسن الحظ، كانت المخاوف حول سلامة الأم وطفليها، غير ضرورية، وهكذا كان بإمكان البابا أن يسعد بولادة حفيدين سليمين له.

لُيولا، استثمر عن قصد، علاقاته الحميمة مع نساء عائلة البابا، من أجل دعم مصالحه. (لُيولا)، مؤسس نظام اليسوعيين الديني، يروي بنفسه، عن زيارة قدَرية (حاسمة) جرت له في إحدى زياراته للفاتيكان.

لقد انتظر طويلاً للحصول على موافقة البابا لتأسيس نظامه الديني، بعد أن ملَّ المحادثات غير المثمرة مع سكرتير (البابا) باول الثالث، لذا انضم لاحقاً إلى جماعة المنتَظرين أمام غرف استقبال البابا، لينقل له المسألة، في لقاء شخصي معه.

في هذه الأثناء، دخلتْ امرأة جميلة تبلغ حوالي الأربعين عاماً من العمر، ترتدي ثوباً أحمر اللون، موشّى بخيوط من الذهب، - دخلت - على الفور إلى جناح البابا الخاص الرائع.

إنها "كونستَنزا فارنيسهْ"، ابنة البابا، التي أصبح ابنها كاردينالاً.

إنها تملك حرية الدخول على والدها، دون عوائق، وبالتالي إلى أُذُنه أيضاً. أغناطيوس قفز وترك المنتظرين، لأنه رأى فرصةً له: بطرق ملتوية، تمكّن من الدخول على كونستَنزا وتركها تدعم مسعاه عند البابا.

لقد نجحت الخطة: البابا وافق في عام 1540، على (الترخيص) بإنشاء نظام اليسوعيين.

لم يكن قرار البابا هذا قد اتُّخذ، دون فائدة له، لقد أصبحت هناك الآن، (بعد تأسيس التنظيم) قوةٌ، من طراز جديد، تقف إلى جانبه: إنها "جمعية المسيح"

أغناطيوس فون لُيولا أصله من بلاد الباسك (إسبانيا)، كان قد خدم عند نائب ملك نافّارا، كجندي وكضابط، قبل أن يهَبَ حياتَه كلياً للكنيسة. إنه يرى نفسه كـ "رأس حربة الفاتيكان"، ويطالب بإجراءات جذرية لإبادة جميع البروتستانت والمتعاطفين معهم. إنه يقوم بطرد الأساتذة (من الجامعات)، وطرد المربين (في المدارس)، من وظائفهم ليجعلهم، عن طريق الضغط الاقتصادي عليهم، يرضخون (لمطالبه).

دور النشر والمطابع جميعها يجب أن تكون تحت رقابة محاكم التفتيش، أما الكتب المستوردة، المشكوك بأمرها، فقد تم منع إدخالها. الهدف هو السيطرة الكاملة على نظام التعليم الجامعي والمدرسي. أغناطيوس فون لُيولا أدرك الأهمية القصوى للسيطرة على الأفكار.

رسالة شهيرة أُرسلت (منه)، إلى بلاط الهابسْبورْغَر في فيينا، كان من شأنها أن تفتتح حربَ معتقداتٍ جديدة. (يطالب كاتبها):

لا يجوز بعد الآن، أن يصل هَراطقةٌ إلى وظائف الدولة الرفيعة. يجب على القيصر والملوك أن يقوموا بهجوم ضدهم.

الرسالة موجهة إلى "بطرس كانيسيوس ـ P.Canisius"، وهو من أوائل أتباع نظام اليسوعيين، وقد أصبح لاحقاً مستشاراً حميماً عند القيصر اللاحق فرديناند (في فيينا).

لُيولا يطالب: كذلك، حسب رأينا، يجب منع الكتب نهائياً من التداول، التي هي في حد ذاتها ليست هرطَقية، ككتب النحو أو الخطابة أو الدّيالكتيك عند "ميلانخثون"، (ولكن) لأن من كتبها هرطَقياً.

إنه لمن الخطر تسميتها أو النصح بقراءتها من قبل الشباب (الطلاب)، لأن أصحابها من الهراطقة يشعرون (عندئذ) بأن في هذا مديح لهم، من خلال

twitter @baghdad_library

قراءتهم وتدريسهم، وإن كانت علاقة الخطر الجدي، الذي نتحدث عنه هنا، قليلة في هذه الحالات"

الشعار ضمن التنظيم (اليسوعي) كان: الطاعة ـ النظام ـ والقلم.

أما بالنسبة للخارج فهي: العودة ـ الحدود ـ التخلص من (الدّنيوي). أما فيما يتعلق بنشر المذهب، عن طريق المبشرين، (فكان الشعار):

التعلم والتربية للجميع، وبخاصة، في مستعمرات البرتغال وإسبانيا، المكتشَفة حديثاً، (الواقعة) وراء البحار (أميركا)، وهذا ما لم يكن يتلاءم دوماً مع مصالح الحكام الدّنيويين، الذين لم يعد البابا قادراً على تنفيذ رغباته دون موافقتهم.

البابا كليمينس الرابع عشر قام في عام 1773، تحت ضغط مشترَك من قبل ملوك إسبانيا وفرنسا الكاثوليكيين بحل نظام اليسوعيين، الذي عاد، بعد واحدٍ وأربعين عاماً، ليتشكل من جديد.

المطبخ البباوي

Die Paepstliche Kueche

على الرغم من انشغاله بتسيير الأمور السياسية اليومية، كان لدى البابا باول الثالث، ما يكفي من الوقت لترتيب أمور بيته الخاصة.

حتى يوفّر لنفسه ولضيوفه قليلاً من الوقت، في حالاتٍ من الفِردوس، هنا على الأرض، قام (البابا) بتعيين بارتلوميو سكابّي، أشهر طباخي عصره، طباخاً خاصاً لديه.

إنه ينقع الفواكه والحلويات السكرية في النبيذ الثمين، فالمآدب الرسمية في الفاتيكان، هي تعبير عن الترف المفرط. (الطباخ) سكابّي يبني أصناف المقبلات، وما بعد الطعام، (بأناقة) وكأنها خلفيات مسرحية. الطباخون اليوم، يجدون صعوبات كبيرة، وتعباً، عندما يحاولون أن يحضّروا طعاماً، استناداً إلى الوصفات التاريخية.

إنهم يحتاجون (اليوم) لعدة أيام من العمل لتوفير مجَسّمٍ لبرجٍ مع مسننات سطوحه، مصنوع من السكر المسكوب، ومن حلويات الـ (مارسيبان)، بينما كان بإمكان طباخ البابا، تقديم العشرات منها (في المأدبة الواحدة).

فواتير تكاليف مطبخ البابا، لا تزال حتى اليوم، محفوظة في أرشيف الدولة الروماني، التابع لجامعة "سابينزا ـ Sapinza" المحترمة العريقة. تلك الأرقام المسجلة بدقة، تثير التعجب والدَّهَش حتى الآن (لارتفاعها).

منذ البابا ليو العاشر، كانت تقدَّم للضيوف، مآكل لذيذة، غير اعتيادية مثل ألسنة الطواويس.

بتاريخ 13 / 9 / 1513، يقدّم الأمير الميديتشي، الذي يجلس على الكرسي البباوي برهاناً للرومان المذهولين، وللعالم بكامله، ما الذي يعنيه (منصب) الحبر الأعظم: البابا ليو العاشر، يقيم على شرف أخيه جوليانو، احتفالاً رسمياً يدعو إليه أربعة آلاف من كبار الموظفين في حكومة الفاتيكان والإدارة، والنبلاء، في ساحة مبنى الكابيتول.

twitter @baghdad_library

الضيوف الذين يجلسون فوق منصة، أقيمت خِصّيصاً للاحتفال، يقدَّم إليهم 25 دوراً من الأطعمة، تحتوي على 77 صنفاً مختلفاً. على الطاولات يضعون ما هو نادر وثمين فقط.

إلى جانب الحلويات والفواكه، تقدم لهم اللحوم، بكل ما يمكن للمرء أن يتصوره من أنواع، مثل الحجل، والفازان (طائر بري يشبه الطاووس) وغيره من أنواع الطيور النادرة، ولحوم من الغنم والعجل والخنزير البري والغِزلان... الخ.

بينما كانت تقدم للضيوف الوجبة تلو الأخرى، كانت فتحات أنوف المشاهدين، المحرومين من الحفل، الواقفين قرب أرجل المدعوين، تزداد اتساعاً، من رائحة الأطعمة الشهية، كما ذُكر نقلا عن الذين شاهدوا الاحتفال.

بعد أن تكون البطون قد تكورت والأحزمة أُرخيتْ، يتذكر المحتفلون، كحلوى بعد الطعام، الأخلاقَ الحميدة لأفعال الخير.

أحد المؤرخين يكتب، بتعابير مزدوَجة المعنى، عن ذلك ما يلي:

"لم يصبح ضيوف المأدبة، بعدها بقليل، متخَمين فحسب، وإنما شعروا بشيء من التّوعك أيضاً، فقاموا بإلقاء الأطعمة المختلفة أمامهم، إلى الجمهور الذي أخذ يتراشق بها عبر الساحة، بعد أن أصابته هو أيضاً التخمة، وأصبحت أرضية الساحة المقدسة مغطاة بطبقات من الطعام.

لوائح النبيذ الفاخر المستورد، تكشف عن مفاجآت حساسة. معظم براميل النبيذ كانت تُستجلب من المزارع (الكروم) المحيطة بروما ومن التوسكانا. لكن أغلى أنواع النبيذ على مائدة البابا باول الثالث، كانت تستورد مباشرة من (بلاد) عدوه اللدود، من تركيا، إمبراطورية السلطان المسلم في القسطنطينية.

في عصر النهضة، كان كيان المطابخ البابوية يشكل مسألة معقدة.إلى جانب العاملين الفعليين في المطابخ، كان هناك من يشتري ويختار ليؤمن للبابا المواد الغذائية بشكل سري، وكان يسمى "المورِّد السري" كلمة "سري" هنا تعني "شخصي" كما كان هناك بالطبع ما هو مألوف في بلاطات الأمراء، أي من يقوم بتذوّق الطعام قبل تقديمه، لتفحُّص نوعيته، ولاختباره إن كان مسمماً. هذا الإجراء الاحترازي لم يكن موجوداً من دون سبب، فعلى سبيل المثال

البابا مارتن الرابع توفي في عام 1285، بعد تناوله طعام الحنكَليس، المنقوع في النبيذ، وزعم المعاصرون له بأنه كان اغتيالاً بالسُّم.

بابا النهضة سيكْستوس الرابع كان يقدم لضيوفه نوعاً من الحَلوى مصنوع من اللوز على شكل بلّوطة، بعد الطعام، الخلفية الكائنة وراء هذا هي أن اسم عائلته "روفيره" يعني "البلّوط"

في العصر الوسيط كان مبعوثوا البابا، يحققون، بوسائل محاكم التفتيش، في الأديرة، للتأكّد من الالتزام بقواعد النظام التي تنسبُ إلى "بينيديكت" المقدس، والتي تنبذُ التُّخمة كخطيئة كبيرة، وهو ما نُسي لاحقاً في عصر النهضة، حيث قامت حكومة (الكنيسة) الرومانية نفسها، باستدعاء أهم معلمي الطبخ إلى مواقدها.

أنف - أو لسان جيد لهذا (إحساس)، كان موجوداً عند الكاردينال لودفيكو تريفيان، الذي تنبه بإحساسه عام 1475، إلى الموهبة غير الاعتيادية (للطبخ)، الموجودة عند مارتينو دي روسّيني، وكان قد تعلم (فنّ الطبخ) في مطابخ (آل)سْفورزا في ميلانو، والذي أحدث ثورة في المطبخ الباباوي، ويعتبر فنانَ الطبخ الأول.

حتى يحافظ على مذاق الأطعمة الخاص بها، قام بالتقليل من استعمال البَهارات واستبدالها بحوامل النكهة المحلية من بصل وثوم وبقدونس وجزر...، وجعل بذلك من الحاجة فضيلةً، لأن استيراد التوابل من الشرق أمسى عسيراً، بعد استيلاء الأتراك العثمانيين على القسطنطينية عام 1453، وأصبحت أسعارها تكلّف ثروة.

الثورة الحقيقية (في المطبخ) كانت أخرى: إنها (المعجّنات)، المعكرونة — Pasta، التي جلبَها العرب معهم عند احتلالهم صقلّية، وانتشرت من هناك إلى اليابسة الإيطالية.

الطباخ الماهر (روسّي) اكتشفها الآن وجعلها مادة أساساً في وصفات طبخه: سواء في طبخته المعروفة بـ "معكرونة صقلّية"، أو غيرها من (المعجّنات) المطبوخة مع الحمام والفراريج، وأطلقت أسماء خاصة على بعض وصفات طبخه، كما أطلق عليه هو، بدافع الاحترام، لقب "كاردينال

twitter @baghdad_library

لوكولس"، الاسم يشير إلى ذواقة طعام رفيع، (وهو في الأصل اسم قائد روماني شهير وذواقة أيضاً).

كل هذا دفع البابا لأن يجعله طباخه الخاص.

في القرن السادس عشر ظهر في إيطاليا عبقري طبخ آخر: إنه المعلم "بارتولومِيو سكابّي"، الذي ابتدأ حياته المهْنية كطباخ عند رجال الكنيسة في البندقية، حيث كان يحضِّر لهم أصنافاً مبتكرة من الطعام.

(لن أتطرق إلى ترجمتها بالتفصيل، لأن مكانها ـ حسب رأيي ـ هو في كتاب طبخ، فضلاً عن أنها لن تسهم في إثراء الموضوع)، هذه المأكولات أثارت عند كبار الكهنوت إعجاباً عاصفاً دفعهم إلى عدم سماع قرع أجراس الكنائس (إبّان تناولهم أطعمته)، هكذا كان يسخَر منهم البعض.

إن تحضير الطعام بهذا الشكل المبتَكر، دفع بالشاعر "سبيرونه — Sperone" إلى مدحه بكلمات طنّانة مطالباً الطباخ المعاصر أن يصبح فناناً ليخلق شعراً على شاكلة الطعام الذي يبتكره، واصفاً إياه بالمهندس، لاختياره الأشكال المختلفة للأطعمة، وبالرياضي، الذي يحسب لوازمه، وبالرسام والطبيب والجراح والفيلسوف.... مبرراً ذلك بإتقان ما يقوم به هؤلاء، إبّان عملهم.

بارتولومِيو سكابّي اقتربَ من هذا المثال كثيراً، حتى أنه كُلِّف من قبل مبعوث البابا، بتقديم الطعام الاحتفالي للقيصر كارل الخامس. لكن ذروته المهنية كانت في عام 1549، إبّان انعقاد الخَلوة الانتخابية بعد وفاة البابا باول الثالث، حيث كان يقدم إبّانها الطعامَ للكرادلة، الذين كانوا تحت ضغوط القوى الأوربية المختلفة، لذا كانت رعايتهم بالغذاء، مسألة موت أو حياة (خوفاً من السّم).

حتى مسألة نقل الطعام إليهم كانت تخضع لإجراءات بأدق تفاصيلها. أوعية الطعام كانت تصلهم عن طريق أشخاص يثق بهم البابا، وكان على الأوعية شعار الكاردينال الخاص به، حيث كانت الأوعية توضع في البهو خارج قاعة الاجتماع، وكان الذواقون بانتظار وصولها ليتأكدوا من أن الأطعمة غير

مسممة أو أنه لا توجد رسائل مخبأة فيها. أخيراً كان (الطباخ) سكابّي يقدم لهم الأطعمة بنفسه، وكان مذاقها يفوق كل توقع: الخَلوة امتدت مدة شهرين، لأنهم ـ كما يُزعم ـ لا يريدون الاستغناء عن أطعمته النادرة الفاخرة. بهذه المناسبة، قام البابا الجديد من جانبه، باتخاذ خيار هام يتعلق براحته مستقبلاً. يوليوس الثالث قام بترفيع الطاهي سكابّي، ليجعل منه "الطباخ السّري"

بعد وفاة البابا يوليوس الثالث خدم سكابّي ثلاثة من الباباوات اللاحقين.

اليوم تسير الأمور في المطبخ الفاتيكاني، بالمقارنة (مع الماضي)، ببساطة أكثر.البابا بينيديكت السادس عشر (الحالي)، الذي يعيش بتقشف، جعل من مدَبرة شؤون منزله (عندما كان لا يزال كاردينالاً في ألمانيا يدعى راتْسينْغَر) مستشارةً لأمور الغذاء عنده. إنها تقوم بتحضير أطعمة موطنه في بافاريا ـ (جنوب ألمانيا) التي يحبها، غير أن هذه الأطعمة البسيطة لا تعجب الذوّاقة الرومانيين، وتثير في الأروقة تعليقات مهموسة (ساخرة) عندما يرون تلك الأكلات البسيطة على صحن البابا، مع الحفاظ على احترامهم لشخصه. برغم ذلك فإن البعض من أفراد حاشيته مرتاحون لأن مبدأ العصمة لم ينتقل إلى لائحة الطعام.

هذا التواضع (عند البابا الحالي)، يقف على تضاد صارخ مع التقليد الذي كانت تمارسه، قبل خمسمئة عام – عائلة الكاردينال كولونّا. ذات النفوذ الكبير.

تحت ستار إطعام الفقراء، كانوا يعلقون على حبل يتدلى من سقف كنيسة "الرُّسل المقدسون"، خنزيراً مذبوحاً للتّو، وكانوا يدهنون الحبل بالصابون، وكان على المتسابقين (من الفقراء) أن يتباروا في تسلق الحبل الأملس للوصول إلى الخنزير، ومن يتمكن من هذا يأخذ اللحم كجائزة.

أثناء هذا الحدث الصاخب، كانت عُليةُ القوم الأرستقراطية التي تجلس في شرفات تطل على المشهد، تقوم بسكب الزيت والماء على المتسابقين للوصول إلى الذبيحة، ليصبح الحبلُ أكثر انزلاقاً، وكانوا يرمون، إلى الفقراء في القاعة، أفخر أنواع الطعام، ويمرحون وهم يشاهدونهم يتدافعون ويتضاربون من أجل الحصول عليها.

twitter @baghdad_library

اجتثاثُ التّعاليمِ الهَرْطَقيّةِ

Die Ausrottung der Haeresie

الأرشيفات الرومانية، تثبتُ وجود الجانب (الوجه) الآخر، الذي لا يعرف الرحمة، الموجود عند البابا باول الثالث.

في عام 1542 أعاد (البابا)، رضوخاً لضغوطات من قبل الكاردينال "جيان كارافا – G.Carafa"، العملَ (بنظام محاكم) التفتيش المركزي من جديد.

"بما أن أعمال الشيطان، عدوّ الإنسانية، تلوّث أرواح المؤمنين، يوماً تِلو يومٍ وبشكل متزايد من خلال الهرطقة، قمنا بتكليف بعض أبنائنا الأحباء، بالتّعامل مع الموضوع"

البابا باول الثالث، يدعو أخيراً، عام 1545، إلى انعقاد المجمع الكَنسي العام ـ الكونزيل، الذي طولب بانعقاده منذ زمن طويل.

كان على هذا الاجتماع الأعلى، أن يزيل الأحوال السيئة في الكنيسة، من خلال الإصلاح، ويأخذ بذلك الريح من شراع البروتستانت.

لعقود عديدة، كان الفاتيكان يرفض انعقاد الكونزيل، لأن الباباوات كانوا يخشون من أنه سيحد من سلطتهم.

بعد مداولات عديدة، تم الاتفاق على أن ينعقد المجمع في مدينة "تْرِينْت —Trient"، لأنها تقع على مقربة من الحدود الإيطالية وكانت، في القرن السادس عشر تتبع إلى إمبراطورية القيصر الألماني – الروماني.

البابا اختار مكان انعقاد المجمع عن قصد كامل، حتى يجعل مشاركة البروتستانت فيه، أمراً مغرياً لهم، غير أنهم لم يُبدو رغبة في المشاركات بـ "نقاشات الفذلكة اللاهوتية مع البابويين"، كما أعلنوا بكامل ثقتهم بالنفس.

لم يكن شكّهم هذا دون سبب، لأن البابا يطالب بكل وضوح من المجمع بـ "اجتثاث طاعون الهرطقة اللّوثرية"

انعقد المجمع لمدة تقارب العشرين عاماً، انتهت بولادة كنيسة رومانية ـ كاثوليكية جديدة، شديدة التنظيم، يتم فيها شَغل المناصب الكَنسية الرئيسة، من قبل الكهَان المرسومين فقط (بخلاف ما كان سائداً من قبل غير المختصين المدنيين).

في مجمع تْرِينْت، يتم اتخاذ قرارات، تجعل نجاة حياة الكنيسة ممكناً. (منها) إلغاء بيع (صكوك الغفران) للخُطاة، وهو (البيع) الذي كان يثير اعتراض لوثر وتمرده (على الكنيسة).

تْرِينْت ترمز أيضاً إلى بدء نجاح الكنيسة في استعادة مساحات مذهبية، كانت قد فقَدتها.

واسِمٌ لهذا (الأمر)، كانت جماعة اليسوعيين، بولائها وطاعتها المطلقة للبابا، وبما تملكه من مواهب تنظيمية، دفعت الكهنوتَ، بشكل متزايد، إلى الاعتقاد بأنهم، في صراع مع البروتستانت، وبالصلابة الأيديولوجية، والقوة العسكرية، سوف يخرجون (من الصراع) منتصرين.

أغناطيوس فون لُيولا، يركّز قوى تنظيمه في مجالين:

أولاً التأثير المباشر على مالكي السلطة السياسية، بتوجيه قراراتهم. ثانياً السيطرة على أفكار النخبة، من خلال السيطرة على المنشآت التعليمية.

لُيولا يكتب إلى بطرس كانيسيوس ـ في فيينا، الذي سيصبح لاحقاً مستشاراً حميماً للقيصر اللاحق فرديناند (كما ذكرنا أعلاه) ما يلي:

لُيولا يطالب (انظر صفحة 463 حيث وردت مطالبه هناك أيضاً):

و" كذلك، حسب رأينا، يجب منع الكتب نهائياً من التداول، التي هي في حد ذاتها ليست هرطقية، ككتب النحو أو الخطابة أو الديالكتيك عند "ميلانخثون"، لأن من كتبها هرطَقياً. إنه لمن الخطر تسميتها أو النصح بقراءتها من قبل الشباب (الطلاب)، لأن أصحابها من الهراطقة يشعرون (عندئذ) بأن في هذا مديح لهم، من خلال قراءتهم وتدريسهم، وإن كانت علاقة الخطر الجدي، الذي نتحدث عنه هنا، قليلة في هذه الحالات"

twitter @baghdad_library

"قبل كل شيء، ودون شك، إن أهم ما هو موجود عند المرء من (تعاليم) الوصايا من أجل الخلاص، ومن أكثرها أهمية وفاعلية، هو شعور والتزام صاحب الجلالة الملك، ليس من حيث كونه كاثوليكياً فحسب وإنما لكونه خصماً صلباً حاداً، ضد الهرطقة وأخطائها المضلِّلة، وأن يعلن الحرب علناً عليها، وليس في السر فقط"

المبشّرون اليسوعيون ينالون أفضل تعليم لاهوتي وفلسفي، حتى يستطيعوا في وقت لاحق، الردَّ على حجج البروتستانت. وظيفتهم هي: إعادة كَثْلَكة أوروبا.

بعد الدعوة لانعقاد المجمع، حلَّت في الفاتيكان (موجة) إعجاب ودفع.

في عام 1546 كلّف البابا (الفنان)ميخائيل أنجلو أن يُتِم، أخيراً، (بناء) القبة الهائلة فوق مدفن بطرس. الفنان الذي كان عمره واحداً وسبعين عاماً يطلب إعطاءه صلاحياتٍ، لم يطلبها فنان قبله:

"لا أريد أن أكون ملزَماً بإعلام قداستكم أو أيّ أحد آخر، بما عليّ أن أفعله أو أفكّر بفعله"

وافق البابا وأطلق له حرية اليد، ولم يكن لديه خَيار آخر، لأن "دوم بطرس" كان، منذ عقود عديدة، موقع بناء مخرَّب ترتفع من بين أنقاضه، أربعةُ أعمدة ضخمة، يبلغ ارتفاعُ كل منها خمسينَ متراً.

ميخائيل أنجلو يبدأ العمل (سريعاً)، ويصمّم القبة بأبعاد ضخمة، غير معروفة من قبل، كما تؤكد الوثائق المحفوظة في كوخ بناء الكنيسة.

إنه لمشروع جريء حيث لا أحد يستطيع القول، إن كان توازنُ قبّة بهذه الضخامة، وبقطر يبلغ 42 متراً، يمكن له أن ينجح، ولأن العمل في هذا الارتفاع الشاهق، 50 متراً وأكثر، يتطلّب شجاعة ودقة خارقتين، حيث يمكن لأي خطأ أن يتسبّب بسقوط العامل، أو حتى بانهيار التّصميم.

ميخائيل أنجلو عمل لمدة سبعة عشر عاماً، تحت حكم ستة من الباباوات المتعاقبين قبل أن ينهي العمل في الدوم.

ليس من المعروف عدد عمال البناء، الذين ماتوا (بحوادث العمل) خلال أعمال البناء.

البابا العجوز باول الثالث يريد أن يترك وراءه مانِفسْتاً - بياناً (أثراً) هندسياً آخر. على (المهندس الفنان) "أنطونيو سانغالّو - **A.Sangallu**"، أن يعيد بناء "قاعة الاجتماعات الكبرى القديمة — **Aula magna**"، من العصر الوسيط، ليجعل منها أروعَ مكان في مجموعة قصور البابا.

(العمل الآخر)هو، بناءً على رغبة البابا، تزيين جدران قاعة ريغيا، (بلوحات جدارية تصور):

"القياصرة والملوك المسيحيين، وهم يفصحون، بشكل علني، عن طاعتهم للحَبر الأعظم الروماني، الكاهن الأكبر، رأس الكنيسة المقدسة، ووكيل المسيح على الأرض"

خلفاء البابا، يقومون بتنفيذ ما رمى إليه البابا، من أعمال تزيين في القاعة البهيّة.

إنّ برنامج اللوحات على جدرانها، يُمجِّد البابا كمنتصر روحاني، في معركة "ليبانتو—**Lipanto**"، على عدّوه التركي اللّدود، وكذلك انتصاره (فيما يسمى) بـ"**ليلة بارتولوميو**"، وقضاءه المريع على "الهوغينوتِن — **Hugenotten** "[25]، الفرنسيين.

(الباباوات) الذين تسلّموا الحكم مباشرة بعد وفاة (البابا) يوليوس الثالث، و(البابا)، "مارسيلّوس الثاني— **Marcellus II**"، لم يتركوا وراءَهم أثراً يذكر، سواء أكان جيداً أم سيئاً، ولاسيما أن زمن حكمهم جميعاً لم يتجاوز الخمسة أعوام، وهي فترة لا تترك مجالاً لإنجاز شيء (يذكر).

على كل حال، ترك (البابا) يوليوس الثالث مجالاً للحديث عنه،عندما آوى في الفاتيكان صبياً، يقال بأنه ابنه، ويقال بأنه صبيٌّ فاسد جنسياً، ليجعل منه لاحقاً كاردينالاً.

بعدها جلس رجلٌ على الكرسي المقدس، أصبح كابوساً بالنسبة للكثيرين.

---

(25) (هم جماعة البروتستانت،التي تعرّضت لشبه إبادة جماعية، ولتطهير عرقي، أدى إلى هروب الكثير منهم إلى ألمانيا، وحتى إلى أميركا، طلباً للنجاة بأرواحهم، من ملاحقة البابا لهم).

twitter @baghdad_library

إيمانٌ دون رحمة

Glauben ohne Gnade

"عندما تسلّم الكاردينالُ جيان بييتْرو كارافا – G.P.Carafa البابويةَ في عام 1555، ليصبح البابا باول الرابع – Paul IV، ارتعدت كلُّ عظام جسدي" هذا ما قاله عن نفسه لاحقاً أغناطيوس لُيولا، قويّ الشكيمة، مؤسس نظام اليسوعيين.

كان (البابا) باول الرابع، لا يزال كاردينالاً عندما قام ببناء سجون جديدة، وحجرات تعذيب، من أمواله الخاصة، عندما اختاره البابا باول الثالث ليكون المفتش الأعظم في مؤسسة محاكم التفتيش الرومانية، التي أعيد تشكيلها من جديد.

بعد جلوسه على الكرسي المقدس، لم يعد هناك أمان للمتطرفين الدينيين، وكان شعاره: "فلتحيا محاكم التفتيش"

نتيجة لهذا كان كل شخص مشتبهاً بكونه هرطَقياً، ضد المعتَقد السليم، والأخلاق المعلنة رسمياً.

المعتَقد البابوي، لا يعرف فيما يتعلق بأمور المعتَقد الحقيقي، أية رحمة: وعندما يتعرض المرءُ، مرات عديدة، إلى التهديد بالموت ومصادرة الأملاك والنفي،يصبح مثالاً واضحاً على أن مسألة المعتَقد تؤخذ على محمل الجِد، وكانت طريقة الشفاء (العلاج) هذه تعطي مفعولاً أكبر (من غيرها).

المؤرخ جورج شوايغَر ـ G.Schwaiger يصدر حكمه على المتشددين في الفاتيكان ويقول:

"إنه (البابا باول الثالث) يحيا بالكامل في وعي سُلطَوي، بمتطلباتٍ سلطَوية، ، (كانت موجودةً) عند باباوات العصر الوسيط، دون أن يفكر بأن مثل هذه الأزمان قد انقضت دون عودة"

الفاتيكان يتدخل، تحت حكم الحبر الأعظم باول الرابع، بشكل متزايد في شؤون الحياة اليومية للمؤمنين، هكذا يقوم بمنع السباحة العارية في (نهر) التِّيبر، وكذلك منع النوم دون رداء نوم حتى في المنزل، لكن السكة نحو المستقبل، كانت قد وُضعت بشكل مغاير.

في عام 1555 تمّ في (المدينة الألمانية) "أوْغسبورغ" الاتفاق على إحلال السلام الديني في الإمبراطورية القيصرية، الذي أنهى سلطات الباباوات السياسية العديدة في أوروبا، حيث غدا من حق الحاكم، بدءاً من الآن فصاعداً، أن يقرر إلى أي دين (مذهب)، سيتبع المواطنون في بلده، مما أدى إلى نشوء كنائس محلية، دعَّمت من مواقف الأمراء حيال البابا والقيصر.

هكذا مُهِّدَت القاعدةُ، في العصر الوسيط، أمام نشوء الدّول على قطاعاتها الأرضية. لكن الفاتيكان لا يريد، في البدء، القبولَ بضياع سلطته وتأثيره.

مرة أخرى يعرج (الفاتيكان) وراء الحقيقة، فيقوم بزيادة الضغط على الأصابع، بكل ما تعنيه الكلمة حرفياً. (هي إشارة إلى إحدى آلات التعذيب المستعملة في العصر الوسيط).

يُشتبه باليهود، بأنهم يمارسون مع الهراطقة طقوساً مشتركة، وكانوا ملزَمين، في العصر الوسيط، على ارتداء قبعات صفراء، لتمييزهم من غيرهم في المجتمع، ولا يحق لهم السكن مع المسيحيين.

في روما لا يزال الحيِ الخاص باليهود "غِيتّو ـ Getto"، الذي أمر ببنائه البابا باول الرابع، قائماً حتى اليوم.

الفاتيكان يقوم بإصدار لوائح بأسماء الكتب الكافرة والضارة، وتشكّلت، بعدها بوقت قصير، وزارةٌ خاصة لمراقبة المطبوعات وإصدار اللوائح (السوداء). مرة أخرى تعود محرقة الكتب، غير المحببة، إلى الاشتعال من جديد، حتى في المناطق اللوثرية والكَلْفانية (البروتستانتية).

لقد ابتدأ زمنُ المعتَقد، الذي يحدد فيه الناس (بأنفسهم) أولوية نظام المعتقد الصحيح، الذي يريدون الانتماء إليه.

twitter @baghdad_library

في عام 1556 يقوم القيصر كارل الخامس، بمرارة، بخطوةٍ تهز جميع (أركان) الغرب: إنه ينسحب، تاركاً لابنه فيليب إدارة شؤون الحكم، ليعيش في دير "فون يوسته ـ von Yuste"، الواقع (في منطقة) "إستريمادورا" الإسبانية.

أفكاره (القيصر) بقيام نظام قيصري عالمي، وكنيسة عالمية، لأنهما "سيفا الإمبراطورية"، قد تجاوزتهما الأحداث والتاريخ.

بعدها بوقت قصير، تخلى كارل الخامس أيضاً عن لقب القيصر، لصالح أخيه المنتخَب "فِرديناند النمساوي"، غير أن البابا أعلن الانتخابَ لاغياً، فتجاهل الأمراء الألمان أمر البابا هذا، لأن كلمة سلطة الفاتيكان شمالي (جبال) الألب لم تعد تلعب دوراً هاماً، حتى بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية.

بعد وفاة (البابا) باول الرابع قام سكان روما بتخريب تمثاله المنصوب في الكابيتول، وبجره، مقطوع الرأس إلى (نهر) التِّيبر، وقاموا كذلك بتحرير مساجين محاكم التفتيش.

أقرباء (البابا المتوفى) باول الرابع قاموا بأنفسهم بالاستيلاء على سجاد الجدران الثمين وأخذوا كل ما في قصر البابا من ذهب وفضة.

سِراويلُ فولتيرا٣

Die Hosen des Volterra

"(البابا) بيوس الرابع —Pius IV" ـ حكم من عام 1559 حتى عام 1565 —، الذي خلَف البابا باول الرابع، هو في بعض الجوانب، أكثر ليونة من سابقه وأكثر انفتاحاً على العالم، حتى أنه سمح خلال حكمه، بقيام مباريات للفروسية، في باحة الفاتيكان الداخلية. لكن فيما يتعلق بالرسومات غير المحتَشمة، فهو لا يفهم فيها مُزاحاً. هكذا طلب من الفنان الكبير ميخائيل أنجلو، فيما يتعلق بلوحته الجدارية الشهيرة (القيامة)، القيام: "بوضعها في الشكل النظامي (بسبب الأشكال العارية فيها)، لكن الفنان العجوز رفض ذلك بصرامة، فقام زميله الفنان فولتيرّا بهذا العمل المُشين.

أهل روما سخروا من هذه التغييرات التي جرت على اللوحة الشهيرة، في الكنيسة السّيكسْتينية، وذلك بوضع (رسم) ثياب وأوراق تين على الأجساد العارية، فأطلقوا على هذه الإجراءات العبارة الساخرة "بناطيل ـ سراويل ـ فولتيرّا"

رقابة على الجسد العاري، تتم في الوقت الذي يجري فيه التعذيب على الجسد البشري، في العلن وبسعادة.

لقد استخلص الفاتيكانُ حقاً، ببطء شديد، من حركة الإصلاح الديني، ومن الإهانات الكارثية التي أصابت روما في عام 1527، نتائجَ حاسمة، غير أن حكم (شخص) متطرف مثل (البابا) باول الرابع، لا يستطيع إيقاف، انزياح الأدوار الزاحف.

twitter @baghdad_library

أخيراً يسود الرأي المعتَرف به، بأن البابوية لا تستطيع إدارة نفس شؤون الدولة، كما يريد القيصر والملوك الوصول إليها، وإلا تعرّض الأب المقدس إلى خطر زوال سلطة بَركته واستمراريتها.

بناء عليه فإن المرء لن يتعامل معه بلطف، أكثر من تعامله مع خصومه: (مما يؤدي)، في النتيجة سريعاً إلى تصدّع هيبته، بشكل قد لا تكون استعادتها (من جديد) ممكنة.

لهذا يجب التأكيد بالقول وبالفعل، على طبيعة البابوية المغايرة.

آخر (هذا) التطور الذي انتهى حوالي العام 1600، لم يكن له هناك من بديل آخر.

الرأسمالية الجديدة في الاقتصاد العالمي والعَوْلَمة الناجمة عن اكتشاف الطرق البحرية إلى الهند وأميركا، يدعمان نشوءَ الدول المستقلة. في منظومة السلطة هذه، لا يوجد مكان لادعاءات قوةٍ كبرى واحدة، بفرض سيطرتها وحدها على العالم، وهذا ما فشل في تحقيقه البابا والقيصر أيضاً.

الصِّراعُ من أجلِ المُعتَقَدِ الصّحيحِ

Der Kampf um den wahren Glauben

حُكْمُ الباباوات اللاحقين (للبابا باول الرابع)، كان يقف تحت علامة الإصلاح الكاثوليكي، وعلى الرغم من تثبيت البروتستانتية المتزايد لدعائمها، إلا أن خطة عملية مضادة لهذا، لم تظهر إلا ببطء.

البابا "بيوس الرابع ـ **Pius IV**" ألغى الكثير من الإجراءات القاسية جداً، التي كان قد أصدرها سلفُه (البابا) باول الرابع، إلا أنه (برغم ذلك) لم يستطع الحدَّ من انتشار فرضيات لوثر (قضايا لوثر أو أُطروحاته).

البابا بيوس الرابع يدّعي فخوراً بنفسه، بأنه قام بمكافحة الهراطقة بقسوة، لكي ينظف إيطاليا منهم. في عهده وقعت المعركة البحرية مع الأتراك في ليبانتو، التي انتصر فيها (البابا)، لتصبح علامة فارقة في التاريخ الغربي.

(البابا) غريغور الثامن، ابتدأ حكمه كحَبر أعظم في عام 1572 بصلاة شكر رسمية احتفَل فيها بالانتصار على البروتستانت الفرنسيين (هوغينوتّين)، في ليلة "بارتو لوميو" الشهيرة.

إنه يدعم اليسوعيين، الذين يقوم (جناحهم) الروماني، صانع الكوادر ضد الإصلاحيين، بإطلاق اسم "غريغور يانا" عليه، تكريماً له. غير أنه يصبح بنفسه مجدداً، حيث يبدأ العمل بتوقيت زمني جديد اسمه: التأريخ الغريغورياني (السائد حتى الآن).

على البابا غريغور الثامن أن يتصرف، لأن الغرب يقف الآن في مأزق حيث لا يزال التأريخ "الكافر"، من زمن الرومان، يُعمَل به في كل العالم المسيحي، وهو الذي أدخله يوليوس قيصر في عام 45 ق.م (التأريخ الجولياني).

أول مجمَع كَنسي (كونزيل) انعقد في "نيسِيا — **Nicaea**" عام 325م، قرر بأن يكون عيد الفصح دوماً في اليوم الشمسي الأول، التالي لاكتمال القمر (البدر) الأول، بعد بدء الربيع، (محسوباً على زمن القدس).

twitter @baghdad_library

في عام 1590 ينتصر مرة أخرى روحُ النهضة الصاعد: في دوم بطرس يوضع الحجر الأخير في بناء القبة. رؤيا ميخائيل أنجلو العملاقة تصبح حقيقة، بعد وفاته بأعوام، وتملأ البابا والمؤمنين معاً بأمل جديد، لكن من يظن بأن بناء السلطة الجديد هذا سوف يجعل الغرب أكثر حكمة، سيتعلَّم قريباً شيئاً مغايراً:

في كل مكان يسود احتكار المعتَقد، ستتأجّج المحارقُ من جديد. المخالفون في الرأي يُحرقون في بلاد البروتستانت، كما في محاكم تفتيش روما (الكاثوليكية).

مرة أخرى، وأكثر من أي وقت مضى، تهاجم الدول الأوربية بعضها بعضاً، وكل مرة من جديد باسم (الدفاع) عن المعتَقد الصحيح.

المذبحة استمرت لثلاثين عاماً (**حرب الثلاثين عاماً**)، حتى حلَّ السلام في (معاهدة المدينة الألمانية) مونْستَر، نتيجة لعالَم متغير وتنظيم جديد (له). لقد استغرق قبول الكنيسة وقتاً أطول (للاعتراف) بأن الأرض ليست مركز الكون، وبأن روما ليست وحدها مركز المعتَقد.

حتى (زمن الإصلاح)، كان البابا المرجعيَّةُ الأعلى للعالم المسيحي، بعدها أصبحت الكنيسة الكاثوليكية واحدة بين الكنائس الأخرى. لقد فقدت موقعَها الاحتكاري، وعليها أن تتعايش مع وجود بديل لها.

بعد الإصلاح البروتستانتي، بدأت (الكنيسة الكاثوليكية) بإصلاح نفسها، وهناك شك بإمكانية قيامها بهذا دون ثورة (لوثر في) فيتّنْبيرغ.

من تجاربها الذاتية، المؤلمة غالباً، خرجت الباباوية بقوة جديدة وبوعي ذاتي طازج. اليوم يُعتبر الفاتيكان شخصية عالمية، وليس في الأمور الدينية فحسب، حيث يَحظى ممثلها (البابا) باحترام من الكنيسة البروتستانتية أيضاً.

لوحٌ زمَنيٌّ

Zeittafel

11 / 3 / 1513:

انتخاب "جيوفاني دي ميدِتشي" – (من عائلة ميدِتشي الشهيرة في فلورنز– س). ليصبح (البابا) **"ليو العاشر – Leo X"**

1515:

إطلاق **"صكوك الغفران ـ Abasses"**، لتمويل بناء "كنيسة بطرس" الجديد بواسطة (البابا) "ليو العاشر": خَلاص من الإقامة في نار جهنم، للأحياء وللأموات (أيضاً).

31 / 10 / 1517:

المصلح (الديني) **"مارتن لوثر** ينشر فرضياته (اللاهوتية) الـ 95 في (مدينة) **"فيتِّنبيرغ ـ Wittenberg"** (علّقها على بوابة الكنيسة الكبرى التي زرتها شخصياً).

1521:

القيصر (الألماني) **"كارل الخامس – Karl V"** يأمر (لوثر) بالمثول أمام "برلمان" الإمبراطورية. (للمساءَلة في فرضياته) في مدينة **"فورمس – Worms"** (زرتها أيضاً).

1 / 12 / 1521:

وفاة (البابا) ليو العاشر في روما.

19 / 11 / 1523:

انتخاب "جوليو دي ميدتشي ـ Giulio De Medici" ليصبح (البابا) **كليمينس السابع ـ Clemens VII**.

6 / 5 / 1527:

أقنان الأرض التابعين للقيصر (الألماني) يستولون على روما ويخربونها.

twitter @baghdad_library

(البابا) "كليمينس السابع" ينقذ نفسه بالاختباء في "برج الملائكة ـ Engelburg" (الذي بناه في الأصل القيصر الروماني "حَدريان" كمقبرة له)، ومنه يغادر في كانون الأول إلى المنفى في مدينة أورفيتو — **Orvieto**.

24 / 10 / 1528:

عودة البابا (كليمينس السابع، من منفاه) إلى الفاتيكان.

24 / 2 / 1530:

تتويج احتفالي، من قبل (البابا) كليمينس السابع للملك إسبانيا" **كارل الأول ـ Karl I**" في (المدينة الإيطالية) "بولونيا ـ **Bologna**"، "قيصراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة، للأمة الألمانية" هذا هو اللقب الذي استعمله "هتلر" وأطلقه على حكمه النازي: الإمبراطورية الثالثة...

25 / 9 / 1534:

وفاة (البابا) "كليمينس السابع" في روما.

13 / 10 / 1534:

انتخاب "أليس اندرو فارنيسه ـ A. Farnese" ليصبح البابا "باول الثالث — Paul III"

27 / 9 / 1540:

اعتراف البابوية رسمياً بتنظيم "اليسوعيين" كجماعة المسيح التي أسّسها "إغناطيوس لُيولا — **Ignatius Loyola**"

1542:

إعادة تشكيل دائرة التفتيش الربانية، من جديد، التي أصبحت لاحقاً المحكمة المقدسة، مِن قِبل البابا "باول الثالث"

(محاكم التفتيش).

1545:

افتتاح المجمع الكَنَسي في "ترينت — **Trient**"

1546:

وفاة (المصلح الديني) "مارتن لوثر" في بلدة (مسقط رأسه) "أيسْليبن - Eisleben"

1547:

(الفنان الشهير) "**ميخائيل أنجلو بونارّوتي** — Michael Anglo Buonarroti" يصبح قائد البناء في كنيسة بطرس الكبرى (دوم — Dom)، ويعمل على تصميم القبة العملاقة (فيها).

10 / 11 / 1549:

وفاة البابا "باول الثالث" في روما.

23 / 5 / 1555:

(بعد نصف عام من وفاة البابا)، تم انتخاب "جيان بييترو كارافا – G.P.Carafa" ليصبح (البابا) "باول الرابع – Paul IV"

1556:

القيصر (الألماني) "كارل الخامس" يتخلى عن كل سلطاته.

18 / 8 / 1559:

وفاة البابا باول الرابع.

1571:

انتصارٌ مسيحي على الأتراك (المسلمين) في المعركة البحرية في "ليبانتو - **Lipanto**"

13 / 5 / 1572:

انتخاب "أوغو بونكومباغنيس" ليصبح البابا "غريغور الثالث عشر - Gregor XIII"

23- 24 / 8 / 1572:

ما يسمى بـ "ليلة بارتولومِيُوس" وفيها تمت المذابح على البروتستانت الفرنسيين (هوغينوتِّن).

twitter @baghdad_library

1582:

البابا غريغور الثالث عشر "يجري إصلاحاً على لوائح التأريخ (الزمنية) ما يعرف اليوم بالتأريخ "الغريغوري"، بخلاف التأريخ "الجولياني" القديم.

10 / 4 / 1585:

وفاة (البابا) "غريغور الثالث عشر"

1590:

انتهاء بناء قبة كنيسة القديس بطرس.

twitter @baghdad_library

معجمُ الشُّروحات

(ما وردَ في الكتاب ويتضمّن كلماتٍ ومصطلحاتٍ تتطلّب الشّرح)

Glossar

twitter @baghdad_library

انشقاقٌ في بلاد الغرب

Abendlaendisches Schisma

الكلمة (شيسْما) مستمدة من الإغريقية وتعني الانفصال، الانشقاق، وتدل هنا على انشقاق الكنيسة اللاتينية إلى اثنتين، وأخيراً إلى ثلاثة (كنائس) مستقلة عن بعضها بعضاً، عاملة تحت قيادة البابا الكنسيّة وإدارته، وتشير الكلمة إلى الانشقاق الكبير في الغرب.

الدافع (إلى هذا الانشقاق) كان الانتخاب الأول للبابا في نيسان من عام 1378 في روما بعد رجوع الباباوات من (المهجر في) "أفنيون" هذا الانتخاب هو الذي أدى إلى أن يصبح "أوربان السادس" بابا (في روما)، مع اعتراف الكاردينالات أولاً بشرعيته. غير أن "أوربان السادس" وكان من أتباع التحديث الكنَسي المتحمسين، حدَّ من الدّخل والامتيازات الخاصة بالكاردينالات، وتكشّف أنه كان من النوع المفرط في الحساسية والغضب(26).

بعد مرور شهور قليلة على انتخابه أخذ الكاردينالات ذوي التوجه الفرنسي يشككون في صحة الانتخاب، فيهربون من روما لينتخبوا "روبرت فون جينف – من جنيف ـ R.v.Genf" كي يصبح البابا "كليمينس السابع"، الذي لم يستطع، برغم دعم أجزاء كبيرة من التنظيمات الإدارية الكنسية (Kurie) له، أن يثبّت سلطته في إيطاليا، مما دفع به إلى الهروب إلى "أفنيون" حيث أقام هناك وأدار تنظيمه الكَنسي الخاص به.

ازدواجية الباباوية أدت إلى انقسام عالم الدول في العصر الوسيط (المسيحي) بكامله، وانقسمت حتى تنظيمات الطوائف الدينية المختلفة (بما تعنيه أيضاً من أديرة وكنائس خاصة بهم)، وكذلك الجامعات وحتى

---

(26) (أعتقد أن هذه الصفات، ربّما، أطلقتْ عليه تمويهاً لقسوة الحد من المكاسب المادية التي كانت للكاردينالات).

العائلات إلى جزأين، إلى أن تمكنوا، في المجمع الكنَسي في "بيسا" عام **1409** من خلع هذين الباباوين وانتخاب بابا جديد. غير أن هذا المجمع كان يفتقر إلى الشخصية (في التنفيذ) حتى أصبح هناك الآن ثلاثة باباوات يطالبون بهذا المركز (في آن واحدٍ معاً).

الملك الألماني "سيغيسموند – **Sigismund**" يدعو إلى اجتماع المجمع الكنَسي في "كونستانز" ـ المدينة الألمانية ـ ويجبر الباباوات الثلاثة على الاستقالة ويحاكمهم بتهمة الانشقاق ويصار إلى عزلهم، لتنتهي مرحلة الانشقاق هذه بانتخاب (البابا) "مارتن الخامس" عام **1417**.

هذا الانقسام أدخل كنيسة العصر الوسيط في أكبر أزماتها، الأمر الذي أدى إلى فقدان الشخصية الأخلاقية لها بشكل كبير مهّد الطريق إلى ظهور حركة الإصلاح (القادمة – مارتن لوثر).

ملاحظة من المترجم:

هذا الوضع الشاذ، الذي نشأ في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، من حيث ازدواجية القيادة فيها، دفع بكل من البابا "أوربانٍ السادس" و"كليمينس السابع" إلى إعلان الحرمان الكنَسي على أتباع كل من البابا الغريم الآخر، الأمر الذي يعني – نظرياً على الأقل – أن المجتمع المسيحي الأوروبي الغربي لم يعد له وجود هناك.

twitter @baghdad_library

صكوكُ الغفرانِ - Ablass

كان هذا الـ "أبْلاسْ" – غفران الذنوب – يشكل في العصر الوسيط المبكر جزءاً من نظام الجزاء والعقوبات الكنَسية.

كُتبُ (لوائح) هذا النظام الجزائي تحتوي لكل خطيئة بشرية على "تعرفة عادلة" لكل عقوبة، التي تسمح من خلالها بالوصول إلى المسامحة والغفران.

منذ القرن الحادي عشر اعتُمدت هذه الممارسة بشكل متزايد من قبل الباباوات والكاردينالات، الذين حاولوا من خلال إصدار صكوك غفران خاصة، متابعة الوصول إلى أهداف خاصة بهم.

من أشهر صكوك الغفران هذه، ذاك الذي أعطاه "أوربان الثاني للمشاركين في حروب الفِرَنجة (الصليبية) عام **1095**، وذلك بإعفائهم من كل العقوبات الكنسية وغفران كل ذنوبهم.

في القرن الثالث عشر قدَّم اللاهوتي (المعروف) "توما الإكويني – **Th.v. Aquin**" (حوالي **1225 – 1274**) –

(القديس توماس ويدعي دكتور الكنيسة الكاثوليكية) – القاعدةَ النظرية لممارسة الغفران الكنَسي وذلك أن الغفران عند المسيح ينتقل **بالتفويض** إلى البابا والكرادلة.

البابا "بونيفاز الثامن"يوسع من جديد مجالَ وطبيعة الغفران.

بمناسبة السنة الاحتفالية (**اليوبيل** الأول) عام **1300** يضمَنُ (البابا) الغفران لكل من يحجُّ (خلال هذا العام) إلى قبر بطرس ويزور كنائس الرسول للقيام بطقوس الصلاة المحددة سلفاً.

في القرن الرابع عشر أصبح نظام الغفران مصدراً (مالياً) لا يمكن الاستغناء عنه لتمويل مختلف أنواع المشاريع.

منذ هذا القرن تطورت المتاجرة بالغفران (الصكوك) بشكل كبير.

بتكليف من الكنيسة يقوم أناس عاديون (لا ينتمون إلى سلك الكهنوت) ببيع صكوك الغفران، التي يجب على المشتري تقديمها إلى كاهن رسمي لتفعيلها (بسبب التزوير الكبير فيها).

الآن يتوسع مجال الغفران ليشمل الحياة بعد الموت، بحيث يمكن للصكوك المباعة أن تعمل على تقصير مدة البقاء (للخاطئين) في جهنم. حتى الأموات يمكن شراء صكوك غفران لهم.

في نهاية القرن الرابع عشر، وبسبب الكم الهائل في مبيعات هذه الصكوك وإصدارها دون معايير والتزوير الكبير لها، ساءت سمعتُها.

الآن أخذ اللاّهوتيّون يشككون في مجمل نظام الغفران هذا.

المصلح الإنكليزي "جون ويكليف – **G.Wyclif**" اعتبَر الصكوك تعدَّياً من البابا على السماء والجحيم، واحتج بذلك بأن التوراة لا تعرف صكوك الغفران.

تجارة الصكوك هذه أصبحت مساوية لاتجاه الكنيسة (الروحانية) نحو الأرضي، الأمر الذي شكلت إزالته مطلباً رئيساً للمصلحين، الذين يرون أن غفران الذنوب لا يمكن له أن يُمنح من البشر وإنما من رحمة الله.

في مجمع "ترينت – **Trient**" (1545 – 1563) ابتدأت الكنيسة الكاثوليكية بإزالة أسوأ أشكال الغفران، لكنها لا تزال تحتفظ به حتى اليوم.

twitter @baghdad_library

بولّه - Bulle
(الإعلان الباباويّ)

بولّـه كلمةٌ مشتقة من الكلمة اللاتينية "بولاّ - Bulla"، وتعني "الكبسـولة" أو "الخاتَم المعـدِني" المصنوع مـن الرصـاص أو الفضـة، وتعـني خـاتم البابـا المستعمل في الديوان (لختم الوثـائق) ويثبّـتُ الخـتم (الشـمعي) علـى الوثيقـة بخيط من القِنّب أو الحرير الأحمر – الأصفر لإثبات صحتها.

على الوجه الأمامي (للخاتم) نقرأ اسم البابا الحاكم، وعلى الوجه الخلفي منه نجد تصويراً لرأسي بطرس وبولس مـع الأحـرف (الدالـة عليهمـا) وهـي "SPE" الدالة على القديس بطرس و"SPA" الدالة على القديس بولس.

في القرن الثالث عشر انتقلت التسمية (بولّه) من الدلالـة علـى الخـاتم إلى الوثيقة المختومة ذاتهـا، ومنذئـذ تسـمى بهـذا الاسـم القـراراتُ والامتيـازات الاحتفالية، والكتابات الرسمية للبابا الممهورة بخاتمه بهذا الاسم.

حتى اليوم لا تزال الـ "بوله" تكتب على الـرّق باللغـة اللاتينيـة، وتأخـذ تسميتها من الكلمات الأولى (الواردة في الوثيقة).

ملاحظة من المترجم:

أريد أن أذكر هنا بأن لكل بابا جديد خاتمه الجديد الخاص بـه وحـده، والذي يُكسر بعد وفاته ويُحتفظ به في مكان خاص.

هذه القرارات الباباوية كانت على درجة كبيرة خطيرة في تاريخ الشعوب، كما كان عليه الحال عند اكتشاف "كولومبوس" 1492 – القـارة الأمريكيـة وبدءِ الغزو الإسباني والبرتغالي لما وراء البحارِ وتصادم المصـالح بينهمـا، حيـث اجتمعِ الطرفان عامِ 1494 في "توردي سِلاّس" لتقاسم مناطق النفوذ بينهما، استناداً إلى الـ "بوله" التي أعطاهـا البابـا الكسـندر السـابع للأسـبان، وهـو

ينتمي إلى عائلة "بورجيا" الإسبانية النبيلة الشهيرة – الذين أرادوا هـذا منـه استباقاً للبرتغاليين.

وأعطاها بشرط أن يقوموا على إدخال سكان تلك البلاد في الكاثوليكية ولو بالقوة.

أدى هـذا الاسـتعمار الإسـباني للقـارة إلى القضـاء علـى شـعوب عريقـة وحضارتها وسرقة آلهتها وذهبها (الإنكـا – مايـا – وشـعب الأزتيـك..) وإلى قتل أكثر من 25 مليون (!!) إنسان هناك.

للمزيد:

انظر كتاب كيركباتريك، ف. أ.، الغـزاة الإسـبان، دار نشـر غولـدمان – سلسلة كتب الجيب الصفراء (859). لا يوجد على الكتـاب سـنة للإصـدار ولكنه موجود في مكتبتي منذ أكثر من أربعة عقود. الصفحة 20

Die Spanischen Konquistadoren

F.A.Kirkpatrick

Goldmann - Band 859.

twitter @baghdad_library

"برج الملائكة - Engelsburg"

القيصر الروماني "حَدريان"، أنشأ خلال حياته، على الجانب الأيمن (لنهر) "التّيبر" ضريحاً ضخماً (له)، أصبح يسمّى لاحقاً "برج الملائكة"

المثال الذي احتذاه "حدريان" كان ضريح القيصر أوغسطوس، وتم البناء في عام 139م.

(برج الملائكة) أسطواني الشكل ارتفاعه 20 م، وقطره 64 م، يقف على قاعدة مربعة الشكل طول ضلعها 84 م. وهو بناء مميَّز.

بعد وفاة حدريان بمئة عامٍ، استُعمل البناء كمدفن لقياصرة آخرين. في القرن الثالث أصبح البناء جزءاً من تحصينات روما.

اِسم برج الملائكة الذي أعطي للمدفن يعود إلى حكاية شبه أسطورية (يزعم فيها) أن البابا "غريغور الأول"، شاهد هناك كبير الملائكة ميخائيل، إبان طقوس طلب الرحمة، وطلب منه العمل في الحرب ضد الطاعون الذي بدأ ينشر غضبَه في روما.

البابا غريغور الأول شاهد كبير الملائكة وهو يعيد السيف إلى غمده، وفسّره كعلامة على انتهاء الطاعون.

في القرن السادس عشر وضِع تمثال ملاك على البرج.

في عام 1753 استُبدل تمثالُ الملاك الرخامي بآخر من البرونز، صنعه النحات "بيتر أنطون فون فِرشافلت – P.A.v.Verschaffelt"

منذ العصور الوسطى وحتى الثورة الفرنسية استُعمل البرج من قبل الباباوات كحصن، يتحصّنون فيه من أعدائهم.

خلال انتخاب البابا "أوربان السادس"، وما رافقه من فوضى، نَقل الكرادلةُ كنزَ الدولة الباباويّ إلى برج الملائكة.

حتى نهاية القرن الثامن عشر كانت وثائق أرشيف الفاتيكان السرية الثمينة تحفظ فيه.

أصبح البرج في عام 1870 من أمـلاك الدولـة الإيطاليـة الـتي استعملته كسجن وثُكنة عسكرية.

يستعمل البرج منذ عام 1933 كمُتحفٍ.

twitter @baghdad_library

الحِرمان الكَنسي

"Exkommunikation"

كان الحرمان هذا في السابق يسمى بـ "بَنْ – Bann" ويعني طرد الخاطئ من الكنيسة، وبخاصة الطرد من الـ "أويْشاريستي – Eucharristie" – وهي كلمة إغريقية الأصل – تعني صلاة الشكر الكبرى في عشاء الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، الذي يتم فيه التعبير عن وحدة المسيحيين مع كنيستهم.

كما في الغفران فإن الحرمان في العصر الوسيط المبكر كان يشكل جزءاً من نظام العقوبات (الكنَسية) الذي يُدفَع من خلاله بالخاطئ – وتعريف الخاطئ يخضع أيضاً للكنيسة – إلى إبداء الندم وقبول العقوبة علناً، حيث يمكن له بعد قيامه بطقوسها، العودة إلى جماعة الكنيسة (الرعية) من جديد.

منذ القرن الثاني عشر استقل نظام الحرمان وأصبح وسيلة لتحقيق سيطرة الكنيسة. فيما يسمى بالـ "أَخْت – Acht"[27]–، وجد الحرمان طريقه إلى تشريع الإمبراطورية، بحيث أصبح المحروم (دينياً) يُحرم مدنياً أيضاً، ويمكن أن تطاله عقوبةُ السجن مثلاً.

في القرن الرابعِ عشر انحطّت قيمة هذه العقوبة (أخلاقياً وروحانياً) بحيث أصبحت إجراءً عادياً شائعاً، تخدمُ الكنيسةَ في تحصيل الضرائب والديون، فمن لا يدفع في الوقت المحدد تماماً يحرَمُ، الأمر الذي قد يطال جماعات أديرةٍ بأكملها.

هذا الأمر أدى إلى ظهور مشاكل مع السلطات الأرضية (الحكم السياسي) الذي طالما ساعد (السلطةَ الدينية) في تطبيق هذه العقوبة والذي يرفض الآن اتخاذ إجراءات بحق المحرومين، أو قد يرغمها (السلطة الدينية) على التراجع عن الحرمان وإلغائه.

في القانون الكنَسي المعاصر يُنظر إلى الحرمان كوسيلة "علاجية" أكثر من كونها عقابية.

---

(27) (الكلمة التي تعني حرفياً رقم ثمانية، تَعني كنَسياً الاحتقار، الإبعاد، الإخراج من الحقوق) -

البابا المضاد

Gegen Papst

منذ العصر الكلاسيكي القديم (الأنتيكي) - المتأخر (حوالي القرن الخامس أي بعد انهيار النظام الروماني القيصري) وحتى العصر الوسيط المتأخر (حوالي القرن الخامس عشر)، كان هناك باباواتٌ، وباباواتٌ مضادونَ (لبابا روما)، يطالبون بالمقعد الرسولي (مقعد الرسول بولس).

كان هؤلاء المنافسون يوصفون بـ "الغزاة - الانشقاقيين - المضادين للمسيح أو للبابا"، وهم الذين قبلوا بانتخابهم كبابا، في الوقت الذي كان يوجد فيه بابا (آخر) منتخب قانونياً.

يقال أن عدد هؤلاء كان يتراوح ما بين 25 إلى 40 بابا مضاد.

إن تحديد عددهم بدقة هو مسألة وجهة النظر السياسي الكنَسي إلى الأمر.

كان البابا المضاد يُنتَخب، عندما ينقسم مجمعُ الكرادلة على ذاته، أو عندما تتدخل السلطةُ الأرضية كالقيصر الروماني أو الملك، في عملية الانتخاب.

من أشهر تلك الحالات، مجموعة انتخابات باباوات مضادين، ابتدأت مع انتخاب (البابا) "كليمِنس السابع" عام 1378، الذي أدى إلى الانقسام الكبير (شيسما) للعالم المسيحي الغربي.

twitter @baghdad_library

إصلاح التأريخ "الغريغوري"

Gregorian. Kalenderreform

عندما تسلّم البابا "غريغور الثالث عشر" منصب الحبر الأعظم في عام 1572، كان التأريخ لا يزال مستمراً استناداً إلى التأريخ "الكافر" من زمن الإمبراطورية الرومانية، الذي أدخله "يوليوس قيصر" عام 45 ق.م، وهو التأريخ المسمى بـ "الجولياني"، الذي يعتمد على قياس الزمن المتوسط للعام الشمسي، (وهو 25، 356 يوماً.

إن القياس الزمني الحديث يعطي (قياساً مخالفاً للعام الشمسي وهو) 365 يوماً و5 ساعات و48 دقيقة و25، 45 ثانية، مما يعني أن القياس الجولياني يكون أ طول بأكثر من 11 دقيقة (في العام). على الرغم من إدخال السنة الكبيسة في التأريخ القديم فقد تراكم حتى القرن السادس عشر فرقٌ زمني يعادل العشرة أيام.

كان على الفاتيكان والبابا التحرك لإعادة التأريخ إلى حالة التطابق مع الزمن الحقيقي.

في العام 1582 بدأ رسمياً العمل بالتأريخ الجديد، حيث تلا فيه يوم الرابع من أُكتوبر (تشرين الأول) فوراً يوم الخامس عشر منه من أجل تصحيح الفرق الزمني إياه.

قليلة هي البلدان التي اعتمدت هذا التأريخ الغريغوري الجديد مثل إسبانيا والبرتغال.

الدول الأوروبية الأخرى، الرومانية ـ الكاثوليكية انضمت إليه، بتردّد، في السنوات اللاحقة الأخرى.

الدول البروتستانتية رفضتْ أول الأمر الانضمام إليه لأنه (التأريخ) جاء بأمر من البابا، ولكن المقاطعات البروتستانتية من الإمبراطورية الرومانية

المقدسة انضمت إليه في العام 1700، أما إنكلترا فقد تبنّته في العام 1752.

قبل ذلك كان يتم تأريخ (المراسلات والوثائق) بين الكاثوليك والأمراء البروتستانت بوضع التأريخين معاً.

في مطلع العام كانت تواريخ الأعوام تختلف بين مناطق التأريخ القديم والجديد، من هذه الفترة جاء مصطلح "بين السنين" الذي يشير إلى الأيام الواقعة في فترة ما بعد عيد الميلاد.

استطاع التأريخ الجديد أن يثبت – مع الوقت – موجوديته، (حيث):

دخلته اليابان عام 1872، وروسيا مع ثورة أكتوبر 1917، وذلك بعد أن أصبح الفرق بين التأريخين يعادل 13 يوماً.

أما تركيا فقد تبعت التأريخ الأوروبي الجديد عام 1926.

بشكل مواز مع التأريخ الجديد تم تحديد بداية العام في اليوم الأول من يناير (كانون الثاني)، وجاءت تسمية يناير من كلمة "يانوا – **Janua**" اللاتينية، التي تعني "الباب"

twitter @baghdad_library

الكرسيُّ المقدّسُ
Heiliger Stuhl

كلمةُ "الكرسي – المقعَد – المقدّسُ" أو "الرّسوليُّ"، كانت تعني أيَّ مقر مطران (مطرانية)، أسّسه أحدُ الرُّسل.

كانت هذه المقرات، خلال فترة المسيحية الأولى، تتواجد في الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة).

"أنطاكية – **Antiochia**" مقر (الرسول) بطرس، "كورينث – **Korinth** "، " فيليبّي – **Philippi** " و" تِسالونيكي – " **Thesaloniki**، يمكن لهم أن يستندوا (في تأسيس مقعدهم المقدس) على بطرس، ويمكن لـ "إفيسوس" الاستناد على "يوحنا

في الجناح الغربي من الإمبراطورية الرومانية، كانت روما وحدها تحتل مكانة المطرانية لأنها تستند بذلك إلى تواجد واستشهاد كلّ من بطرس وبولس فيها.

في القرن الرابع والخامس بدأت روما تطالب بموقع الصدارة بين كل كنائس المطرانيات الأخرى، وأصبحت وحدها، بعد وقت قصير، مقرَّ الكرسي المقدس لبطرس وخلفائه.

الغربُ، في العصر الوسيط، جعل الكرسيّ المقدس – بصرف النظر عن بعض الاستثناءات – مساوياً لوظيفة البابا (أي لمقرّه).

اعتباراً من القرن التاسع عشر أمسى المصطلح – عند الكنيسة الكاثوليكية – يعني حصراً شخص البابا، والإدارات العاملة باسمه في الحكومة، مثل سكرتارية الدولة أو مجلس الكنيسة للعلاقات العامة.

"الكرسي المقدس" معتَرف به من قبل القانون الدولي.

إنه يمتلك أقدم خدمة دبلوماسية في العالم، وله تمثيل في حوالي 180 دولة.

في الأمم المتحدة، يحتل الكرسي المقدس مكانةَ المراقِب الدائم فيها، وهي حالة لا تتمتع بها أية جماعة دينية أخرى.

الإمبراطورية الرّومانية المقدّسة

Heiliges Roemisches Reich

تبدأ هذه التسمية مع الدلالة الرمزية الهامة لما قام به البابا "ليو الثالث"، بمناسبة قدّاس عيد الميلاد في العام 800، عندما قام بوضع تاج القيصرية على رأس ملك الفرانكين "كارل"– (الأكبر – شارلمان).

الإمبراطورية القيصرية الجديدة وضعت نفسها (من خلال هذا الإجراء) في خلافة الإمبراطورية الرومانية، وادعت لنفسها أحقية إقامة نظام سلطة عالمي، في مقابلة الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة).

بعد انهيار إمبراطورية الكارولينيّيين في منتصف القرن الثامن (وما رافقه من تهديد للهيبة القيصرية) شكّلَ مسحُ الملكَ الألماني "أوتُّو الأول – **Otto I**"، من قبل البابا يوحنا الثاني عشر – عمليةَ ردّ اعتبار إلى الهيبة القيصرية في غرب أوروبا.

بهذا ابتدأ تقليدٌ طويل الأمد، وضع حداً له "نابليون بونابرت" في عام 1806 عندما أَرغمَ القيصر (الألماني) – من سلالة "هابسبورغ" العريقة، "فرانس الثاني على التخلي عن تاج القيصرية.

في العادة كان لكل أمير ألماني انتُخب مسبقاً من مجمع الأمراء لمنصب الملك، أن يصبح قيصراً.

تتويجُ القيصر من قبل البابا يعطي له هيبة مقدسة تجعله، خلال العصور الوسطى، في مكانةٍ أعلى من غيره من الملوك، لكن هذا لا يعطيه حقَّ التدخل في شؤون الملوك الآخرين، كما كان الحال عليه إبان حكم قياصرة الرومان.

إن مصطلح "الإمبراطورية الرومانية المقدسة – Sacrum Romanum Impirium" يظهر في القرن الثاني عشر، كلقب رسمي لمنطقة سيادة القياصرة الرومانيين، الذي يضم – مثلاً – مناطق في ألمانيا، إيطاليا، بورغوند (كانت

twitter @baghdad_library

تقع في منطقة هولندا وبلجيكا اليوم)...، ولكنه يمثل تصميماً مثالياً (فكرياً) أكثرَ منه جيوغرافياً.

فكرة القيصر، كقوة أرضية حامية للبابا وللكنيسة، لا تمنع في المقابل من أن تجد البابا في دور "صانع القياصرة"

هذه العلاقة الوثيقة بين السلطة السياسية والدينية، بين سلطة الإمبراطورية وكنيسة البابا، كانت، في العصور الوسطى، تشكِّل الفكرة السياسية المميَزة للغرب.

اعتباراً من نهاية القرن الحادي عشر تخترق الصراعاتُ (والحروب)، بين القيصر والبابا من أجل السلطة الوحيدة على الغرب المسيحي، تاريخَ الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

برغم ذلك، يظل تتويجُ القيصر من قبل البابا بالنسبة للملوك الألمان، هدفاً مرغوباً به جداً.

هكذا نجد (الملك الألماني) "هاينرش الرابع" يلجأ في عام 1084 إلى عزل البابا "غريغور الرابع" لأنه، برغم الإنذارات وأخيراً استعمال القوة العسكرية ضده، لم يوافق طوال سنوات على تتويجه قيصراً[28]

هذا الصراع حول حق تعيين المطارنة، الذي استمر بين الملك والبابا في القرنين الحادي والثاني عشر، وتحطيم البابا لحكم سلالة "شتاوفين-Staufen" القيصري في القرن الثالث عشر، أدى إلى فقدان الإمبراطورية الرومانية المقدسة الكثير من سلطتها السياسية وألَقها الديني.

---

(28) (السبب في الصراع بين الملك والبابا كان على ملكية الحق في تعيين المطارنة، وبعد أن وجد الملك الألماني نفسه وحيداً في الصراع مع البابا، لهذا السبب، ذهب إلى "كانوسا" للقاء البابا وطلب الغفران منه - وهو العمل المذل للأمة الألمانية حتى اليوم... والقصة طويلة وموجودة في النص) المترجم -.

إن مصطلح "**الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية**" يعود ظهوره واستعماله إلى القرن الخامس والسادس عشر، زمن نهوض مفهوم الدولة القومية، برغم أن الإمبراطورية (كمفهوم) لم تعُد تلعب دوراً هاماً.

إنّ مفهوم الإمبراطورية المثالي، بعد زواله بفترة طويلة، يظل يعيش في ألمانيا والنمسا، لأنهم يفهمون أنفسهم كورثة (شرعيين) للإمبراطورية الرومانية المقدسة.

في القرن التاسع عشر والقرن العشرين يصبح (مفهوم) الإمبراطورية منطَلَقاً تاريخياً لسياسةٍ عدوانية (ترنو إلى تحقيق) ألمانيا الكبرى، وتظل الفكرة تسحرهم، برغم خسارة الحربين الكونيتين (لألمانيا).

هذه الفكرة، فكرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، كانت النموذج المحتَذى من قبَل الحركة الأوروبية النازية بعد عام (1945)[29] التي دفعت إلى تحقيق الوحدة الأوروبية سياسياً واقتصادياً.

(29) عام خسارة الألمان الحرب الكونية الثانية دون قيد أو شرط.

twitter @baghdad_library

طُوِّبَ قِدّيساً

Heligsprechumg

في العصور الوسطى، كانت مبادرة تطويب شهيدٍ مسيحي تنطلق من إجلال الشعب (لهذه الشخصية).

المطران والكنيسة المعنية يتفحصون فيما إذا كان الشخصُ (المُرشَّحِ) الموقّر، يمكن الاعتراف بتقديسه من مجمل الكنيسة.

اعتباراً من القرن الثالث عشر يطالب الباباوات بأن يكون حق التطويب من صلاحياتهم وحدهم، على خلفية قوننة الكنيسة المتزايد، تشكلت إجراءاتٌ قانونية تحاول (الكنيسة) من خلالها تقصّي (أحقية) شخص ما بالتّطويب.

من خلالها (هذه الإجراءات) كان لزاماً على من يُقدَم الطلبَ (للتّطويب) أن يوجَهَ، من خلال شخصيات مرموقة، طلبَ الرجاء إلى البابا، مستنداً (في طلبه) إلى قيام الشخص، المطلوب تقديسه، بعجيبة واحدة على الأقل.

عندها يكلف الكرسي المقدس (البابا) قضاةً، بالتحقيق وتفحص حقيقة العجيبة المزعومة.

بعد مرور (الطلب) بمراحل عديدة معقدة (من الإجراءات)، كان التطويب الاحتفالي يتم من قبل البابا في كنيسة بطرس، ويصبح المطوَّبُ شاهداً على الإيمان "من أجل شرف المذبح"

يحق عندها للمطوَّب أن يحمل لقبَ "سانكتوس ـ **Sanctus**" – قدّيس – وأن تُرسم حول صورته هالةُ القديسين، ويتم تمجيده في الصلوات ورسائل البابا وتحتَرمِ الكنائس والإدارة ذخائرَه، أو يمكن لدول عديدة أن يجعلوا من القديس راعياً (عرّاباً) لهم.

هكذا أصبحت القديسةُ "كاتارينا فون سيينا ـ **K.v.Siena**" في عام **1999** الراعيةَ (العرّابة) الخاصة بالاتحاد الأوروبي (EU).

محاكم التفتيش

Inquisition

حوالي نهاية القرن الثاني عشر تطوّر نظامُ قضائي كنَسي، يعتمد على إجراءات مكْلفةٍ من الاستقصاء المُسبق وجمع الأدلّة والبراهين، يختلف عن الإجراءات القضائية (السائدة يومئذ).

استُعمِل (هذا النّظام) أولاً ضد المطارنة والكهنوت من المشاغبين والانفصاليين، ليستعمَل لاحقاً في القرن الثالث عشر، في ملاحقة المارقين من أمثال ما يسمى بـ "الكارتاريين" (وهو تنظيم لجماعة دينية متقشّفة أسسها "برونو فون كولن – B.v.Koeln" عام 1084، وكذلك ضد جماعة "الفالدينيين"

المطارنة ينقلون وظائفَهم القضائية إلى محاكم مستقلة كان قضاتـُها، في البدء، من (الرهبان) الدومينيكيين – (الدومينيكان)، وبعدها أيضاً من الفرنسيسكانيين – (الفرنسيسكان).

كانت المحاكم متنقلةً تذهب إلى حيث يتم التبليغ عن حالات الكفر (وما شابه).

قبل الإجراءات القضائية، كان من الشائع طلب مساعدة السكان المحليين، في مراقبة المتهم والتجسّس عليه.

أصبحت المحاكمُ مصيَدةً للمتهمين في عام 1252 عندما أجاز البابا التعذيبَ واعتبره جزءاً معترَفاً به من إجراءات التّحقيق القضائية.

من ينكر اعترافَه، المنتَزَع منه تحت التعذيب، يعتبر مارقاً لا يريد التوبة وتقبّل العقوبة، فيحرق.

كان من النادر أن تتاح للمتهم إمكانيةُ تطوير استراتيجية للدفاع عن نفسه، لأن أقوال الشهود والإثباتات (التي في صالحه) تحجَب عنه.

بما أن الكنيسة لا يجوز لها أن تنفذ العقوبة الدّموية بنفسها، فإنها كانت تسلّم المحكوم إلى القضاء الأرضي لتنفيذ الحكم فيه.

twitter @baghdad_library

في العصر الوسيط كان عدد المحكومين بالموت قليلاً بالنسبة للعدد الأكبر من المحكوم عليهم بالسجن.

الزمن الجديد القادم مع بداية القرن الخامس عشر، اتسم بوحشية أكبر من السابق بكثير.

في هذا القرن (15) ألّف قاضي التفتيش "يعقوب شبرِنغَر – **J.Sprenger**"و "هاينرش إنستيتونس – **H.Institonis**" ما يسمى بـ "مطرقةَ الساحرات"، وهي تعليمات منهجية شكلت القاعدة (القانونية) لمحاربة (ظاهرة) الساحرات، التي انتشرت بجنون بين السكان وأدّت إلى سقوط آلاف الضحايا.

الملكةُ الإسبانية "إيزابيلا فون كاستيليا –**I. v. Kastilien**" أدخلَت في العام 1478 ضرباً خاصاً من التفتيش، كي تتخلص من اليهود الذين انتقلوا إلى الكاثوليكية (تخلّصاً من الملاحقة بعد اندحار العرب في الأندلس).

التفتيش أصبح هنا أداة إرهاب في يد الدولة.

ما بين عام 1480 وحتى 1490 حكِم هناك (في إسبانيا) على أكثر من ألفي إنسان بالموت.

في القرون اللاحقة أصبح التفتيش في إسبانيا ومستعمراتها (وراء البحار) أداةً لمحاربة حركة الإصلاح والتنوير.

ألغت إسبانيا العمل بنظام التفتيش هذا عام 1834.

في أوروبا قامت "**المحكمة المقدسة**" التي أُحدِثت عام 1542، كخلفٍ لمحاكم التفتيش، بعمل التفتيش وبملاحقة غير المتدينين والمارقين والحفاظ على الأخلاق والنظام الكنَسي ومراقبة الكتب ومنعها.

بينما كانت هذه المحاكم، في القرن السادس عشر، مسؤولةً عن إحراق عدد كبير من الكفار، أصبحت، في القرن السابع عشر،

مجرّدَ أداة في نظام العقوبات الكنَسي.

قام المجمع الفاتيكاني الثاني عام 1965 بحلّ هذه المكاتب وأحدث عوضاً عنها تنظيمات عقائدية خاصة، تعاملت بالدرجة الأولى في ملاحقة (مؤلفي) الكتب (المخالفة لتعاليم الكنيسة).

الخلاف على تعيين المطارنة

Investiturstreit

في هذا الخلاف، الذي جرى بين الملك والبابا، كان الأمر فيه يتعلق بأحقية تعيين الكرادلة و رؤساء الأديرة.

انطلق النزاع عندما أراد الملك (الألماني) "هاينرش الرابع" عام 1075 أن ينصّب أحد الرهبان الذين اختارهم ليصبح مطراناً في "ميلانو"، وجلب عليه بذلك نقمة البابا "غريغور السابع"

وصل النزاع (بينهما) ذروتَه عندما قام البابا بحرمان "هاينرش الرابع" كنَسياً. تحت الضغط المتزايد للأمراء الألمان اضطر الملك إلى الذهاب نحو "كانوسّا" (حيث كان يتواجد البابا) لطلب الغفران منه وإعادته إلى الكنيسة.

يشكل هذا النزاع المرير بين البابا والملك نزاعاً بين عالمين قانونين (مختلفين).

في أحد الجوانب كان الملك يقف (مستنداً) إلى مفهوم "الساليين" للملَكية المقدسة، حيث يَعتَبر الملكُ نفسه موضوعاً (في منصبه) من الله كي يحكم في الأرض.

في الجانب المقابل كانت تقف البابَاوية الطامحة إلى التغيير (تغيير هذا الوضع) تحت شعار "حرية الكنيسة"، الذي يرفض أي تدخّل أرضي (ملَكيٍ) في شؤون الكنيسة. من هذا المنطَلق كان الملك يُعتبر شخصية عادية غشيمة، غير مختصة لاهوتياً، وبذلك أُسقِطت عنه تلك الهيبة القدسية، غير المشكوك بها، التي كانت له في السابق.

عندما صدر قانون منعٍ حق (الغشماء - الملوك) فٍي تعيين المطارنة عام 1078، ليصبح قانوناً كنَسياً، أصبح الملك مهدداً ليس بفقدان مكانته فحسب، وإنما بالإصابة بخسائر اقتصادية وعسكرية (أيضاً).

twitter @baghdad_library

كان الملك يقوم بتعيين المطارنة الملتَزمين (بالولاء) له، من خلال القسم، والذين كانوا يدعمون سلطته، وهو أمر لا يمكن الاستغناء عنه.

المطارنة ورؤساء الأديرة كانوا يقومون غالباً بشَغل وظائف، في غياب موظفي الدولة وفرسان الإمبراطورية، ويشكلون جماعةً هامة في جيش الملك، ولم يعد من الممكن لهم الآن (بعد صدور قانون عام 1078)، في حالة نشوء حرب، أن يدعموا الملكَ عسكرياً (كما في السابق).

في الإمبراطورية الرومانية وجد هذا الخلاف نهايةً له، من خلال الاتفاق الذي تم في "فورمس" عام 1122 بين الملك "هاينرش الخامس" والبابا "كليكْستوس الثاني

في هذا الاتفاق استغنى الملكُ عن وظائفه الروحانية المسماة بـ "Spiritualia" والاكتفاء بعد الآن بمنح أملاك الكنيسة الأرضية، المسماة بـ "المؤقتة – temporalia"

خرجَت البابوية من هذا النزاع أكثر قوة. في القرنين التاليين رسّخت (الكنيسة) سلطتها الروحانية والقانونية على كامل أوروبا الغربية.

الكاردينال - Kardinal

يمكن للمرء أن يتعرف عليه (الكاردينال) من خلال ردائه الأحمر القـاني. في سلّم الرّتب الكنسية يحمل الكاردينال لقب "صاحب الغِبْطة – Emenenz" وهو صاحب الرتبة الأعلى بعد البابا.

كلمة "كاردينال" تـأتي مـن الكلمـة اللاتينيـة "كـاردو – Cardo" وتعـني حرفياً "مفصّلة الباب"، وكانت تعني في البدء، رجلَ ديـن في منصـب هـام، يشكل الحاملَ لكنيسته.

ظهر المصطلح أول مرة حوالي القـرن الخـامس، كلقـب المستشـار ومسـاعد البابا، وكلقبٍ لكاهن أساس في سُلّم ألقاب الوظائف في الكنيسة الرومانية.

منذ القرن الثامن ظهر الكَرادلة في بلدان أخرى من بلدان الغرب اللاتينية.

احتل الكرادلة أهمية خاصـة مـن خـلال بيـان انتخـاب البابـا مـن العـام 1059 الذي أعطى لهم مكانة هامة في عملية انتخاب البابا.

منذ العـام 1179 لم يكـن يُسـمح إلا للكرادلـة بعمليـة انتخـاب البابـا. اعتباراً من القرن الحادي عشـر وحتـى القـرن السـادس عشر عمـل الكرادلـة بفعاليـة، مـن خـلال المجمَـع الخـاص بهـم، في (إدارة) شـؤون الحكومـة (البابوية) وفي مجمل أعمال الكنيسة.

منذ التغيّر الذي طرأ على حكومة الفاتيكان في عام 1588 انهارت سلطة الكرادلة لصالح الباباوات، وانحصرت في عملية انتخابه فقط.

منذ العصر الوسيط وحتى بداية العصر الحديث كان البابا يستغـل سلطته في مـنح لقب الكاردينال، لتمتين علاقاته السياسية مع العائلات النبيلة وبيوتات الأمراء.

في مجمع الكاردينالات نجـد لـذلك، ولـيس نـادراً، أقربـاء الأمـراء الحـاكمين أو ممثلين عن النبلاء الرومان، الذين يدافعون فيه عن مصالح بلادهم أو عائلاتهم.

كان عدد الكرادلة يتغير مع الوقت كثيراً، فبينما كان عددهم يـتقلص في القرن الخامس عشر حتى وصل أحياناً إلى أربعة وعشرين (فقـط)، نجـدهم في مجمعهـم عـام 1966 يعُـدّون 120 كاردينـالاً يحـق لهـم التصـويت (في انتخاب البابا).

twitter @baghdad_library

كاثِيدْرا - Kathedra

تأتي كلمة "كاثيدرا" من اللغة الإغريقية، وتعني مقعداً أو كرسياً له مسند ظهرٍ وسنَّادتين للذراعين.

في المسيحية المبكّرة كانت الكاثيدرا ترمز إلى مقعدٍ بدائيٍّ (الصنع) من المرمر أو الحجر، يوضع خلف المذبح في كنيسة كبيرة من نوع "الدوم – Dom" كما كان يرمز إلى منصب الأُسقُف التعليمي – الرَّعَويّ والقضائيّ.

في القرن السادس أصبحت كنيسة الأسقف تدعي "كاثِيدرالِس إكَليزيا – cathedralis ecclesia"، أي كنيسة مقعد (مقر) الأسقف.

احتلت "كاثيدرا بطرس – Cath. Petri" (في روما) مكانةً خاصة، وأصبحت منذ الزمن الكلاسيكي (الأنتيكي) المتأخر (حوالي القرن الخامس) ترمز إلى وظيفة الرسول وخلفائه.

في العصر الوسيط تحولت التّسمية لتدل على عرش خشبي أهداه – كما يقال – (القيصر الألماني) "كارل الأصلع" في القرن التاسع إلى البابا "يوحنا الثاني"، وأصبح يعتبر في القرن الثالث عشر من ذخائر بطرس ويحظى بالاحترام.

مفهومُ "إكس كاثيدرا – **Ex Cathedra**"، الذي ساد ولا يزال حتى العصر الحاضر، يشير إلى قرار رسميٍّ تعليمي أصدره البابا، استناداً إلى شخصية "الكرسي التعليمي"

الإصلاح الكنَسي

Kirchenreform

انطلقت المطالبة بالإصلاح الكنَسي في القرن العاشر من دير "كلوني – Cluny" (فرنسا)، وهدَفت إلى تجديد كامل الكنيسة أخلاقياً، وبخاصةٍ فيما يتعلق بالكَهنوت، فعلى سبيل المثال لم يعد يحق لهم الزواج وهو مطلب لم يكن بدَهياً، وظلّ البابوات (لفترات طويلة) يعيدون صياغته كل مرة من جديد. كما انتقَد الإصلاحُ عمليةَ بيع الوظائف (الكنَسية)، وكانت واسعة الانتشار وتسمى بـ "سيموني – Simonie"

الإصلاح الكنَسي حقق نجاحاً على الصعيد القانوني وليس على الصعيد الأخلاقي، وكان الهدف الآخر الأكبر له هو تحرير الكنيسة من هيمنة السلطات الأرضية عليها (الملِك).

مع وصول البابا "غريغور السابع" إلى عرش الباباوية عام 1073، وصل أحدُ أبرز المطالبين بالإصلاح الكنسي (إلى السلطة).

تحت شعار "حرية الكنيسة" جعل من نظام الإدارة الكنَسي نظاماً سلطَوياً قوياً، واستطاع أن يحقق مطلبه ضد الملِك بمنعه – كغير مختص – من عملية اختيار الأساقفة.

على الرغم من تقدم خطوات الإصلاح في المجال القانوني الكنَسي، لم يتوقف نداء المطالبة بالإصلاح في القرون اللاحقة، بل على العكس (من ذلك):

إن ذهاب البابوات (من روما) إلى المنفى في "أفنيون"، وما تلاه من انقسام كبير في الغرب (شيسْما)، ألحقَ بسمعة الكنيسة ضرراً أخلاقياً كبيراً أدّى إلى المطالبة بالتغيير والإصلاح في الكنيسة من الرأس حتى الأطراف، وإلى وصول حركة الإصلاح الديني من هدفها (مارتن لوثر) الذي كسر هيمنة الكنيسة الكاثوليكية الفكرية على الغرب.

twitter @baghdad_library

دولة الكنيسة

Kirchen Staat

تشكّلت دولة الكنيسة في القرن الثامن عندما عقد الباباوات حلفاً مع (ملوك) "الفرانكِينْ"، مما أمّن لهم ملكية مقاطعات محددة في إيطاليا، تسمى "باتريمونيوم بيتري (بطرس) – Patrimonium Petri"، أصبحت عن طريق الهبة أو الإهداء في ملكية الباباوات،كما أمّن لهم (العقد) الحماية ضد الأعداء.

مقابل ذلك وافق الباباوات على انتخاب ملوك "الفرانكِن" الأمر الذي عزز من سيطرتهم.

دولة الكنيسة نشأت من اتحاد المقاطعات الكنَسية منطلقة من روما وضمت مساحات واسعة من وسط إيطاليا، وهي لم تكن يوماً في أمان تامٍ، فقد كانت تمتاز، في العصر الوسيط، بالتبدل في التحالفات وبالنزاعات الحربية المتكررة بين الباباوات والعائلات النبيلة الرومانية، وكذلك مع الحكام الألمان والنورمانديين، للسيطرة على مقاطعات (أملاك) الكنيسة.

في نهاية القرن الرابع عشر كانت دولة الكنيسة تقف على حافة الانهيار.

هروب الباباوات إلى المنفى في "أفِنيون"، وما تلاه من انقسام كبير في الغرب "شيسْما" بين 1378 – 1417، أدى إلى فقدان هيبة (وسلطة) البابا في دولة الكنيسة.

في القرن الخامس والسادس عشر تمكنت دولة الكنيسة من استعادة أملاكها الكنَسية.

حتى في الزمن الجديد تم الهجوم مراراً على دولة الكنيسة وحلَها. "نابليون بونابرت" احتلها مرتين.

خلال ثورة 1848 انتقلت (أملاك) دولة الكنيسة إلى يد الجمهورية.

لم تكد دولة الكنيسة تتشكل من جديد، حتى قامت الجمهورية الإيطالية الفتية عام 1870 بإزالتها، لكن الاتفاق بين "موسوليني والفاتيكان عام 1929 أعاد إليها كيانها على قطاعات ثابتة (مرة أخرى)، ولكن على مساحة اقتصرت – منذ إذن – على مساحة مدينة الفاتيكان فقط، إي على حوالي نصف كيلو متر مربعٍ.

(الفاتيكان) المدينة – الدولة (هذا الأنموذج قديم ومعروف لنا منذ سومر في الألف الثالث ق. م) يحظى باعتراف دوْلي كحالة أمة مستقلة أي ما يسمى:

"Stato della citta del vaticano"

twitter @baghdad_library

كونْكْلافِهْ (اجتماع الخَلْوَة)

Konklave

هذه الكلمة تشير إلى مكان اجتماع مغلق عن الخارج.

أصلها لاتيني، وهو "كومْلافه – Cumclave" – أي بالمفتاح – وتشير إلى المكان الذي يقوم فيه الكرادلة بانتخاب البابا الجديد.

في نفس الوقت يُفهم منها أيضاً اجتماع الانتخاب نفسه.

أول اجتماع معروف من هذا النوع جرى في عام 1241، عندما قام سيناتور روماني بحبس الكاردينالات بالقوة في قصر مهلهل وأمر بتعذيبهم وتهديديهم بعقوبة الموت، إذا لم يتفقوا سريعاً على انتخاب بابا جديد (من بينهم).

ما يثير الشكَّ أيضاً، هو اجتماعٌ مغلق آخرٌ (كونكلافه) تم في (مدينة "فيتيربو – Viterbo" عام 1268 وانتهى بعد ثلاثة أعوام، لأنهم لم يتمكنوا من الاتفاق على انتخاب بابا جديد.

بعد أن أصبحت هذه الحالة لا تطاق، قام سكان "فيتيربو" بحبس الكاردينالات وسد الأبواب عليهم بحجر البناء، كما قاموا أيضاً بنزع القرميد من السطح، واكتفوا بتقديم الخبز والماء فقط (ليرغموهم على الاتفاق).

بعد هذه التجارب (المريرة) أصدر البابا "غريغور العاشر" نظام تعليمات صارم بشأن اجتماع الخَلوة هذه، حيث ألزَم فيه الكرادلة على البقاء في قاعة الاجتماع المغلقة والسكن فيها (فقط وليس في قصورهم) حتى يتوافقوا على انتخاب البابا الجديد.

حتى اليوم لا يحق لهم، إبان الخَلوة، الاتصال مع العالم الخارجي.

في عام 1966 قرر البابا "يوحنا باول الثاني أن تجري عملية الانتخاب في قاعة الكنيسة السِّكستينية فقط، ووضع بذلك حداً (للعرف السائد) لعملية انتخاب البابا الجديد في نفس مكان وفاة البابا الراحل.

قام البابا بهذا الإجراء خوفاً من موته إبان إحدى رحلاته (العديدة)، وهو الملقب بـ "البابا المسافر"، في بلد لا تتوفر فيه شروط انتخاب خلَفٍ له بشكل ملائم.

الهبَةُ القسطنطينية

Konstantinische Schenkueng

إنها دون شكٍّ أشهرُ (وثيقة) مزوّرة في العصر الوسيط:

وثيقة يُزعم فيها أن القيصر الروماني قسطنطين قد أمر بتأليفها عام 330، عندما نقَل عرشَه من روما إلى بيزنطة.

تزعم الوثيقة أن القيصر يهبُ فيها للبابا "سِلْفِسْتَر الأول" قصر "لاتيران– Lateran"، (ويهبه أيضاً) روما وإيطاليا وكل المقاطعات الغربية من مملكته.

فوق كل هذا (استناداً للوثيقة) يترك قسطنطين للبابا شاراتَه ورموزه القيصرية المعبِّرة عن سلطته الأرضية مثل: طاقية الحكم وحتى المعطف الأحمر القاني.

البابا – استناداً إلى وثيقة الهبة – (المزعومة) يستطيع أن يشعر بأنه القيصر الجديد، لأن قسطنطين قد ترك له السلطة (الأرضية) على كل عالم الغرب المسيحي.

في عام 1440 كشف (اللاهوتي) صاحب النزعة الإنسانية "لورينزو فالاّ – L.Valla"، من خلال براهين لغوية وتاريخية، أن الوثيقةَ مزوّرةٌ.

(اللاهوتي) "نيكولاوْس فون كويْس – N.v.Keus" قام قبلَه بإثبات عدم صحة الوثيقة شَكلانياً.

في البدء وقع "فالا" – بسبب ذلك – تحت غضب البابا "أويْغين الرابع"، ووجب عليه الرد على أسئلة محاكم التفتيش، لكن "نيكولاوْس الخامس" – وهو صديق له – جلبه إلى بلاطه عام 1448 (بعد أن أصبح بابا)، حيث صار "فالاّ" أستاذاً لفن الخطابة، وسكرتيراً في حكومة الكنيسة، وأصاب فيها نجاحاً.

twitter @baghdad_library

في العصر الوسيط لم يكن لصحة الوثيقة، شَكلانياً، أهمية، بل المحتوى كان هو المهم.

الكنيسة الكاثوليكية تعترف – منذ مطلع القرن السابع عشر – بأن الوثيقة مزورة، وتعتَبر حتى القرن 19 بأن هذا التزوير قد تم من قبل الإغريق، وتُرجم لاحقاً إلى اللاتينية، وبذلك تنفي (الكنيسة) بأن يكون هذا التزوير من عمل البابوات.

ربما كان البابا "باول الأول" في القرن الثامن هو من أعطى أمر الطلب بتزوير وثيقة قسطنطين إلى أحد المشاغل المختصة (بالتزوير)، وذلك عندما أحسّ (البابا) بالخطر القادم (إليه) من قبل (الحكام اللانغوبارديين) وأراد لذلك تقديم وثيقة (لهم) تحمي مطالبهم بالسلطة الأرضية.

المَجمَع (الكَنسيُّ) - "كونزيل - Konzil"

إلى لقاءات المجمع يأتي ذوو الرتب الكنَسية العليا، وفي طليعتهم الأساقفةُ، لإيضاح مسائل لاهوتية أو تنظيمية تخص الكنيسة.

في الكنيسة الكاثوليكية تم حتى الآن (عام 2008) عقد 21 مجمعاً شاملاً، كان آخرَها (المجمعُ) المسمى "فاتيكان الثاني (المنعقد) بين 1962 – 1965.

سبقه مجمع "ترينت" 1545 – 1563، ومجمع "الفاتيكان الأول" 1869 – 1870.

في الألف الأولى، بعد (ولادة السيد) المسيح، كانت كل المجاميع تُعقد على أرض (الإمبراطورية) الرومانية الشرقية (بيزنطة)، على أرض تركيا اليوم، وكان قيصر الإمبراطورية الشرقية يدعو لانعقادها.

قرارات المجمع كانت تصدَّق من القيصر وتُعمَّم كقرارات إمبراطورية.

بعد أن استطاعت الإمبراطورية القيصرية الغربية من تثبيت نفسها في القرن العاشر، تمكّن الباباوات (فيها) من بسط سيطرتها على المجاميع، وقاموا بعقد البعض منها.

خلال أزمة الباباوية، في أواخر العصر الوسيط، كان الكثير يرَوْن في المجمع بديلاً أساساً للمركزية الباباوية.

منظر الدولة "مارسيليوس فون بادوا – M.v.Padua" أعلَن في كتابه الموسوم بـ "ديفنسور باسيس – Defensor Pacis" في العام 1324 أن المجمع وحده، المشكَّل من الكهنوت ومن الغُشَماء (غير المختصين لاهوتياً) قادر على إصدار أعلى القرارات لصالح الكنيسة بكاملها.

بهذه الروح أنهى مجمعُ القسطنطينية 1414 – 1418 الانقسامَ العظيم في الغرب، بانتخابه "مارتن الخامس" (في منصب) البابا الجديد.

twitter @baghdad_library

في الزمن اللاحق، لم تستطع فكرةُ المَجمع، التي أرادت وضع سلطة الاجتماع الكنَسي فوق سلطة البابا، من أن تجد طريقها إلى التحقيق.

استناداً إلى القانون الكنَسي يُعتبر البابا حتى اليوم سيّدَ المجمع.

هو وحدَه من يحق له الدعوة إلى انعقاد المجمع، وهو من يُصدِّق على قراراته ويحولّها إلى قوة القانون.

(قصر) "لاتيران - Lateran"

هو قصر كان القيصر "نيرون - **Nero**" قد صادره من عائلة رومانية نبيلة، (عائلة) "بلانتي لاتيراني - **Plantii Laterani**"

زوجُ القيصر قسطنطين قامتْ بإهداء هذا القصر إلى أساقفة روما كمقر لهم.

الكنيسةُ التابعة للقيصر، أصبحت كنيسةَ الأسقف الرّوماني - نسبة إلى روما - وهي لا تزال حتى اليوم تابعةً للبابا الحاكم بصفته هذه.

كان هذا القصر مقر الباباوات الرئيس حتى القرن الخامس عشر، حيث عقدوا فيه خمسة مجاميع عامة، حملت اسم القصْر "**Lateran Konzilien**"، بعدها انتقل الباباوات إلى مجمّعِ القصور في الفاتيكان، الذي ابتدأ بناؤه في القرن الثالث عشر.

القصر والكنيسة يتبَعان اليوم، كقطّاع خارجي، إلى دولة الفاتيكان.

twitter @baghdad_library

نيبوتِسْموس (مُحاباة الأقرباء)

Nepotismus

الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية "نيبوس" وتعني الحفيد، الحفيد الأقدم، ابن العم أو الخلَف، والمقصود بها إعطاءهم المكاسب (محاباة الأقرباء).

خلال العصر الوسيط وحتى بدايات الزمن الجديد، كان الباباوات يحابون أقرباءهم بإعطائهم الأملاك والوظائف بشكل كبير، وكان على رأسهم البابا "بونيفاز الثامن"، الذي خلّده (الشاعر الإيطالي العظيم) "دانتي" في نشيد الجحيم التاسع عشر من مَلهاته الإلهية.

لقد أغدق هذا البابا العطاء لأقربائه من أملاك ووظائف حتى خاف البعض من معاصريه، من أن تسيطر عائلته، عائلة "كاتاني – Catani" على كامل الكنيسة.

حتى اليوم لا تزال هذه العائلة تمتلك الأراضي الشاسعة والبروج الواقعة إلى الجنوب من روما، وهي من إرث هذا البابا.

شارات البابوية

Paepstliche Insignien

الكلمة (Insignien) مشتقة من اللاتينية وتعني شارات، وهي الشّارات الخارجية كالملابس والحُلي، التي يحملها ذوو الرتب الأرضية أو الروحانية الرفيعة، وهي جزء من إجراءات طقْسية، ترمز ليس فقط إلى هيبة حامل الوظيفة فحسب، وإنما إلى سلطة المؤسسة وقوتها، وهي بالتالي علامات سيطرة ونفوذ أيضاً.

الكنيسة الكاثوليكية تستعمل كثيراً هذه الشارات، التي يمكن من خلالها التعرف على الدرجة الوظيفية والواجبات المَنوط بحاملها القيام بها ضمن مجال سلطة الكنيسة.

شارات البابوية بمفهومها الضيق هي:

عصا الراعي وخاتم صيّاد السمك والوشاح – Pallium، وكذلك الطاقية المخروطية – Tiara.

عصا الراعي، وتسمى أيضاً "فيرولا – **Ferula**"، وهي معروفة منذ القرن السابع وتتميز عند الأساقفة باعوجاج نهايتها، بينما هي عند البابا مستقيمة، وتنتهي في الأعلى بالصليب، وتسلَّم له بصفته أسقف روما، بعد استلامه ملكيّة (قصر) "لاتيران" وبعد أن يكون قد أصبح بابا.

تسلَّم العصا إلى الأساقفة بعد أن يكونوا قد رسموا في وظيفتهم رسمياً مع الخاتَم، ولكن خاتم البابا هو خاتم مميَّز، خاتم صياد السمك، المستعمل منذ منتصف القرن الخامس عشر.

على هذا الخاتم يُحفر اسم البابا وصورة الرسول بطرس وهو يجر شبكةً مليئة بالأسماك إلى القارب، ويسلَّم إليه فور انتخابه، وعند وفاته يكسر هذا الخاتم (الخاص به وحده).

twitter @baghdad_library

"الوشاح – Pallium" يحيط بالرقبة والكتف، عرضه حولي 4 – 6 سم، وهو وشاح تكريم أبيض اللون، مزين بستة صلبان سوداء، كانت تُصنع في الماضي من الحرير الأحمر.

الصوف (المصنوع منه الوشاح) يجب أن يأتي من خروفين أبيضين تتم مباركتهما في يوم الحادي والعشرين من كانون الثاني (يناير)، وهو عيد اسم الشهيدة (القديسة) "أغنيسْ – Agnes"، ويتم ذلك في الكنيسة التي تحمل اسمها.

يرمز الوشاحُ هذا إلى وظيفة الراعي، وعليه أن يذكّر بالراعي المسيح الذي حمل الخروف على كتفيه.

في البدء كان (حمْلُ الوشاح) محصوراً بالباباوات فقط، ليُمنح لاحقاً إلى كبار الأساقفة أيضاً، الذين يجب عليهم خلال ثلاثة أشهر من رسمهم في مناصبهم، أن يتقدموا من البابا بطلب رجاء منحهم الوشاح.

أما "الطاقية ـ Tiara"، وهي طاقية مخروطية الشكل بيضاء تشبه الخوذة، فلم تعد تستعمل الآن وهي معروفة منذ القرن السابع، وتعود جذورها إلى طاقية كان يستعملها في العهد القديم الكهان والملوك والمحاربون، وسميت بـ "كاميلاوْكوم – Camelaucum"

في القرن التاسع وحتى الحادي عشر كان يحيط بالـ "Tiara" تاج دائري كالسوار.

"بونيفاز الثامن" أضاف إليها سواراً آخر، وفي وقت لاحق أضيف من جديد سوارٌ آخر، وأصبحت هذه القُلنسُوة، ذات التاج ثلاثي الدوائر، رمزاً لسلطة الباباوات الأرضية.

لهذا السبب خلع (البابا) "باول السادس" عام 1964 هذه القلنسوة (تيارا)، وبذلك أراد أن يؤكد على الجانب الروحي من وظيفته، وترك "تاج البابا" يباع في مزاد علني لصالح الفقراء.

البَرَكَةُ البابَاوية

Paepstlicher Segen

لأول مرة أعطى البابا "بونيفاز الثامن" في عام 1300، بمناسبة عام اليوبيل، برَكته البابَاوية، وأعفى كلَّ من نالها من كامل ذنوبه.

حتى اليوم، لا تزال هذه البركة الباباوية أو البرَكة الرّسولية على علاقة مع الغفران، يمنحها الباباوات في الأعياد مثل (عيد) الفصح أو الميلاد (المسماة) "أُور بي إت أوربي – Urbi et orbi"[30] إلى مدينة روما وكلّ العالم.

ثلاث مرات في العام يحق لأساقفة مؤسسات كنيسة معينة أن يقوموا بمنح البرَكة الرّسولية، وحتى الكهنة أنفسهم يمكنهم منحها، ولكن للموجودين على فراش الموت أو في (ذكرى)يوم رسمهم كاهناً.

منذ العام 1939 سمح الكرسيّ المقدس، باستقبال البرَكة هذه عن طريق الإذاعة واعترف بها،كذلك في حال البث التلفازي منذ العام 1985.

---

(30) هو عيد يهوديٌّ تعفى فيه الذّنوب والدّيون كلّ خمسين عام.

twitter @baghdad_library

لقب البابا

Papstitel

منذ القرن الخامس استُعمِل لفظُ البابا كلَقبٍ فخريّ يُطلَق على أسقف روما بصفته رأس الكنيسة الكاثوليكية.

بابا تعني الأب، وكانت تستعمل أيضاً كلقب لرؤساء الكنيسة في بيزنطة والإسكندرية، واقتصر استعمالها على بابا روما منذ حكم (البابا) "غريغور السابع" (انتُخبِ عام 1406)[31]

عادة يُخاطَب البابا بلفظة "بابا" أو "قداستكم" أو "الأب الأقدس"، والقدسية هنا تنصبّ على الوظيفة وليس على الشخصية. أما لقبه الرسمي فهو أطول من ذلك بكثير (:)

أسقف روما – الحاكم (باسم) يسوع المسيح – خلَف الأمراء والرُّسل "الحبر الأعظم" لكل الكنيسة – "بطريارش– Patriarch الغرب الأول في إيطاليا" – رئيس الأساقفة ومتروبوليب كنائس المقاطعات الرومانية – (السيد) المستقل في دولة مدينة الفاتيكان.

في هذا اللقب (الرسمي الطويل) هو توثيقٌ للتفويض الإلهي للبابا، بصفته "الحاكم باسم يسوع المسيح"

كذلك هوِ (توثيق) لمطالب الباباوات في السلطة الأرضية وهو ما يعبِّر عنه مصطلح "الحبر الأعظم" وبذلك تستوي استمرارية السلطة العالمية الرومانية، لأن القياصرة الرومان كانوا يلقّبون أنفسهم بهذا اللقب.

لقب (السيد) المستقل في دولة مدينة الفاتيكان، أُضيف (إلى ألقاب البابا) عام 1929 بعد "اتفاقات لاتيران" مع الدولة الإيطالية (في عهد موسوليني).

في عام 2006 ألغى البابا "بينديكت السادس عشر" (الحالي) لقب "بطريارش – (بطرياِرك / بطريق) الغرب" لأنه لم يعد يتماشى مع (روح) العصر.

---

(31) ولا يزال اللقب يستعمل حتى اليوم في الكنيسة القِبطية: "البابا شْنودا الأول".

كنيسة بطرس

Peters Kirche

في عـام 320، أمـر قسـطنطين الأكـبر ببنـاء (كنيسـة) "الباسـيليكا – Basilika" الكبرى (في روما) فوق قبر الرسول بطرس.

قبل ذلك أمر بإجراء بحث أثري دقيق لتحديـد موقـع القـبر بدقـة، لأن قـبر الشهيد (بطرس) يجب أن يكون في وسط الكنيسة تماماً.

كنيسة قبر بطـرس هـي باسـيليكا ذات سـفن (فـروع) خمـس، أمسـت في العصر الوسيط المركز المقدس للكنيسة الكاثوليكية في رومـا، وتطـورت لتصـبح أهم موقع للحج في الغرب.

في عام 1506 كلّف البابا "يوليوس الثاني" المهندس المعماري "برامانتـه – Bramante" ببناء كنيسة جديدة فوق قبر الرسول، لأن الباسيليكا القديمـة أخذت تتصدع (بعد مرور 12 قرناً على بنائها) وتمّ هدمها وإزالتهـا.

كانت تكاليف بناء الكنيسة من الضخامة بشكل قرر فيه البابـاوات، مـن أجل تحقيق مخططات البناء وتغطية النفقات، بيع صكوك الغفران بكثافـة، وكانت ممارسـات بـائعي هـذه الصكوك، الـتي بالكـاد كـان يمكـن تبريرهـا لاهوتياً، أحدَ العوامل الدافعة إلى حركة الإصلاح (الديني).

في عام 1546 كلّف البابا "بـاول الثالـث" (الفنـان الشـهير) "ميخـائيـل أنجلو بونارّوتي – M.Buonarrotti" ببناء قبة فوق قبر بطرس، وعمل على تنفيذه مدة سبعة عشر عاماً، وكان قطرُ القبة 42 متراً، وهو قياس لم يكن معروفاً من قبل.

في عام 1624 قام (المهنـدس) "جيـان لـورينزو بـرنيني – G.L.Bernini" بتصميم مظلةٍ من البرونز داخل كنيسة الدوم، نُصبت مباشرة فوق قبر بطرس على أربع أعمدة، ارتفاع كلٌّ منها 29 متراً.

twitter @baghdad_library

في قلب كنيسة الدوم، وفي وسط القبة فوق قبر بطرس، نجد مقولةَ التّوراة المركزية التي يَستند إليها حكم الباباوات حتى اليوم، (مكتوبة) بحروف، ارتفاع كل منها 1.40 م، تحيط بالقبة من الداخل.

هناك نجد (مكتوباً ما ترجَمته):

"أنت بطرس (وتعني الصخرة في الإغريقية) وعلى هذه الصخرة سوف أبني كنيستي، وإليك أعطي مفتاح مملكة السماء"[32]

في عام 17626 تمت مباركة (تدشين) كنيسة بطرس، التي تحتوي على العديد من الذخائر النفيسة مثل: كاثيدرا (كرسي)

بطرس أو رداء عَرَق فيرونيكا – Veronika، وهي في الوقت نفسه مدفن العديد من الباباوات حتى "البابا يوحنا الثاني

---

(32) (أما في إنجيل متّى العربي، الإصحاح 19: 18 فنجد النصّ يقول:
"... وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات). – المترجم -.

بْفِينيغ (قرش - فِلْس) بطرس

Peters Pfennig

في القرن الثامن أعلنَ ملوك الأنغِـلْساكسِن، تمجيداً للقـديس بطـرس، عـن (جَبْي) ضريبة، يتم إرسالها إلى الكرسي المقدس (البابا) في رومـا، وأصـبحت هذه الضريبة رسمية نظامية في القرن الحادي عشر.

منذ القرن الثالث عشر، طالب البابوات رسمياً بدفع قرش بطرس لهم. في زمن الإصلاح الديني أُلغي قرش بطرس هذا، لأنه علامةٌ تدل على توجه البابا نحوِ الأرضي.

في عامٍ 1860 أعاد الكرسي المقدس العمل بـه مـن جديـد، ولكـن علـى أساس تبرُّعيٍ (وليس ضريبي).

صندوق جمع التبرعات في الكنيسة، شائع الاستعمال (اللَّمّـة أو الصـينية) يخصص ريعه في التاسع والعشرين من شهر حزيران (في كـل عـام) وهـو يـوم عيد القـديس بطـرس حتـى اليـوم، لصـالح الفاتيكـان تحـت تسـمية "قـرش بطرس"

twitter @baghdad_library

قبرُ بطرس

Petersgrab

منذ القرن الرابع، أصبحت قبور الرّسل تُبجَّل من قبل المسيحيين كذخائر هامة. مُلكية قبر بطرس تؤمن لكنيسة بطرس ومدينة روما، طوال العصر الوسيط، نفوذاً عالمياً (حتى اليوم).

يعتبَر قبر بطرس، بعد قبر المسيح في القدس، أكثر الأماكن قدسية عند المسيحيين، وهو محَجٌّ مرغوب به من قبل أعدادٍ لا تحصى من الحجيج.

بمرور الوقت نسي الناس ما هو موجود بالضبط تحت مذبح كنيسة بطرس (الدّوم)، لهذا أَمر البابا "بيوس الثاني عشر" عام 1940 بإجراء حفريات أثرية في الموقع.

بعد عشرة أعوام (من البحث الأثري) أُعلِن عن العثور على قبر أمير الرسل الذي يقع مباشرة تحت نفَق مدفن الكنيسة "كريبتا – Krypta" حيث عُثر هناك على نَصْبٍ (حجري) يعودَ تاريخه إلى القرن الثاني، تمّ وضعه لاحقاً فوق قبر أحد الفقراء من زمن بطرس وهو (القبر) يشكل جزءاً من مدينة أمواتٍ تحت الأرض، وكان على النُّصبِ ثمة حفرٌ باللغة الإغريقية لاسمٍ يمكن له أن يترجَم بـ "بطرس هنا"، وكان القبر يقع إلى جانب مكان (ألعاب) سيرك القيصر "نيرون"[33]، حيث كانوا يَعدمون فيه المسيحيين (الأوائل).

بعد مضي 18 سنة أخرى، يعلن الكرسيّ المقدس، مستنِداً إلى أبحاث الأستاذة "مارغريتا غواردوشّي" – خبيرة الخطوط (القديمةِ) – عن العثور على عظام بطرس، الأمر الذي شكك فيه الكثيرون من الخبراء.

لا يزال الأمر مفتوحاً على الشّك فيما إذا كان ما أعتُقِدَ به منذ القرن الرابع صحيحاً حقاً، بأن بطرس الرسول مدفوناً في هذا الموقع (بالذات)، وليس في أي موقع آخر.

---

(33) (ملعب الكولوسّيوم الهائل، كان يتسع لأكثر من عشرين ألف متفرّج).

سُلطةُ المفتاح

Schluesselgewalt

تعبير "بوتيستاس كلافيس – **potestas clavis**" يشير إلى سلطة المفتاح، وهو تعبير آخر في الكنيسة الكاثوليكية، يعبّر عن سلطة الكنيسة التي يمارسها البابا وأساقفته وموفدوهم.

هذه السلطة مستمدة من "قوة (سلطة) الربط والحل" التي انتقلت من المسيح إلى بطرس: **و هذه هي الترجمة الدقيقة للنص الألماني**:

"أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني جماعتي (كنيستي)، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. سوف أعطيك مفتاح مملكة السماء: كل ما تربطه على الأرض سيظل مرتبطاً في السماء وكل ما سوف تحله على الأرض سيكون محلولاً أيضاً" هذا ما ورد في إنجيل متّى(34).

تحت هذا التفويض (الرباني) تقع وظيفة التعليم الكنَسية، وهي تعني تفويضاً باتخاذ قرارات متعلقة بأمور العقيدة والتعليم، بدائرة التطويب، وبسلطة المباركة للبابا التي من خلالها يسمي الأساقفة، وحكومة الكنيسة المرتبط بها إصدار القوانين والإدارة والقضاء.

أما عند البروتستانت، فإن سلطة المفتاح لا تنحصر في يد الكهنة فقط، وإنما في كامل الكنيسة.

---

(34) **النص في العربية يقول حرفياً، في إنجيل متّى (الإصحاح16:18- 19):**
"18 وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.
19 وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطهُ على الأرض يكون مربوطاً **في السموات. وكل ما تحلهُ على الأرض يكون محلولاً في السموات". – المترجم -**

twitter @baghdad_library

الحرس (الباباوي) السويسري

Schweizergarde

(الملك) الفرنسي "كارل الثامن" استخدَم الجنود المرتزقة السويسريين لحمايته الشخصية ولحماية قصره لأنهم نشطاء.

البابا "باول الثالث" تبعه في الحصول على مجموعة منهم لحمايته الشخصية. في عام 1506 وصلت تلك المجموعة بقيادة ضابط من مدينة "لوتْزيرن" – (السويسرية) – إلى روما لتسلُّم خدمة الحراسة.

جميع الجنود هم من السويسريين ومن أتباع المذهب الكاثوليكي الذين يقومون بحراسة البابا الشخصية والقصر وحرس الشرف، ويصل عددهم اليوم إلى حوالي المئة جندي.

الزِّي (الذي يرتَدونه مخططٌ) بالألوان الأحمر والأصفر والأزرق وهي تعكس ألوان الباباوات (من عائلة) "ميديتشي"

من يشأ الانضمام إلى هذا الحرس عليه أن يلتَزم بالخدمة لمدة عامين على الأقل، ولا يجوز أن يقل طوله عن 1.76 م. ويجب أن يكون لديه عرّاباً ممتازاً، وعليه أن يكون عازباً قد أنهى الخدمة العسكرية في سويسرا بنجاح، وأن يكون قد تعلَّم مهنة وأكمَلها.

إن تدريب هؤلاء الحراس لا يقل مستواه عن مستوى تدريب الوحدات العسكرية الخاصة.

قَسم الولاء الاحتفالي للمتطوعين الجُدد يتم في يوم السادس من أيار، وهو يوم الذكرى السنوية للمجزرة المسماة بـ "ساكّو دي روما – **Sacco di Roma**" التي قُتِل فيها 147 حارساً (منهم) من أصل 180، دفاعاً عن البابا ضد هجوم جنود – أقنان الأرض التابعين للملك – "كارل الخامس" (على روما).

"سيموني".(شراءُ الوظائف).

Simonie

اشتُقّت الكلمةُ من اسم الساحر (سيمون) الذي تحدث عنه العهد الجديد في قَصص الرّسل، حيث يعرضُ (سيمون) على الرسول بطرس المالَ، حتى يأخذ منه السّطوة (المقدرةَ)، على جلب الروح القدس إلى البشر، فيجيبه بطرس:

"ستكون ملعوناً مع نقودك، لأنك تظن أن بركة الله يمكن الحصول عليها بالمال"

من هذا المنطلق يشجب الباباوات والمجاميع هذا (الإجراء) منذ القرن الرابع والخامس ولكن دون نجاح:

المتاجرة بأموال الكنيسة ووظائفها، التي شارك فيها أيضاً الباباوات أنفسهم، سيطرت على مجمل العصر الوسيط المسيحي، وكانت إزالة شراء الوظائف تشكل في القرن العاشر، معضلةً رئيسةً أمام حركة الإصلاح الكَنسي.

كانت هذه الكلمة، كسُبّةٍ وتقريع ضد الخصوم السياسيين والحطّ من قدرهم، كلمةً محببة واسعة الاستعمال.

twitter @baghdad_library

الكنيسة السّكستينيّة

(كنيسةُ السِّتين)

Sixtinische Kapelle

كلّف البابا "سيكسْتوس الرابع" في عام 1475 (المعمار) الفلورينتيني "باتشيو بونتِللي – B. Pontilli" بتصميم بناء كنيسة (صغيرة) للقَصر (الباباوي).

ضمت الكنيسة سفينةً (جناحاً) واحدة داخلية، طولها 40 م. وعرضها 13 م، لتذكّر بهيكل سليمان في القدس.

من الخارج تشبه الكابّله (الكنيسة الصغيرة – المُصلّى) مُنشأةً دفاعية، لأنها كانت ضمن المخطط، كجزء من تحصينات الفاتيكان.

عند تدشينها (تبريكها) عام 1484 كان الفنانون بونينسللي – بيروغيو و روسّيلّي قد قاموا بتزيين جدرانها برسوم مشاهد مستمدة من العهد القديم والجديد.

في عام 1508 كلّف البابا "يوليوس الثاني (الفنان) "ميخائيل أنجلو بوناروتي" بتزيين السقف بالرسومات، واستغرق العمل منه أربعة أعوام ليُتمَّ رسم قصة الخلق.

بعد عشرين عاماً كلّفه – (البابا "يوليوس الثاني من جديد) بإعادة رسم جدران المذبح.

البابا "كليمينس السابع" أعطى الموضوعَ للرسم:

"محكمة القيامة"، واستغرق العمل عليها من قبَل ميخائيل أنجلو مدة أعوام ستة ليزين مساحة 180 متراً مربّعاً (فقط).

عندما أُزيح الستار في عام 1541عن العمل هذا، تسبب العملُ في فضيحة، حيث اتُّهم الفنان بالانحراف عن تعاليم الكنيسة (مارق)، لأن عُري الأشكال (المرسومة) لا يتوافق مع قدسية المكان.

في عام 1564، بعد "مجمع تريينت" كُلّف الفنان "دانييل دا فولتيرا – D.da Volterra" بتغطية تلك المواضع (من المشاهد) التي أثارت السُّخط.

منذ العام 1996 أمَر البابا بأن تكون الكنيسة السكستينية مكان انعقاد الخَلوة (الانتخابية).

twitter @baghdad_library

العِصْمَةُ

Unfehlbarkeit

في العـام 1870، بعـد أن سـقطت دولـةُ الفاتيكـان بالكامـل في يـد الجمهورية الإيطالية، قرر المجمع الفاتيكاني الأول (إعـلان) عصـمة قـرارات البابا التعليمية.

جاء في هذا الشأن المسمى: " **Constitutiu Pastor aeternus**" ما يلي:

"عندما يتكلم البابا، بصفته صاحب المعتَقد التعليمـي، قـراراً مسـتمداً مـن سلطة المقعد هـذا (ex cathedra) إبّـان ممارسـة وظيفتـه، كـراعٍ ومعلّـمٍ لكـل السلطات (الكنسية) العليا، فإن هذه التعاليم المتعلقة بأمور المعتَقـد والعـادات الأخلاقية، وإنْ خالفت تعاريف الكنيسة بكاملـها لهـا، فإنهـا تملـك الـدّعم الإلهي، الذي ظهر علـى الرسـول بطـرس، وهـي (القـرارات) معصـومة (عـن الخطأ)، لأن المخلّص الإلهي زوّد كنيسته بما يلزم من أجل التعريف والتعليم (الصحيح) فيما يتعلق بأمور المعتَقد والأخلاق، وبناء عليه فإن هذه التعريفات من البابا الروماني غير قابلة، مـن ذاتهـا، للتغـيير ولا مـن موافقـة الكنيسـة (عليها)"

كذلك يكون قرار مجمـع الأسـاقفة التعليمـي معصـوماً، عنـدما يجتمـع في "كونزيل" ولكن على هذا القرار أن يكون متفقاً عليـه بالإجمـاع وبموافقـةٍ مـن البابا.

ربما هدفَ هذا إلى تعزيز السلطة الضائعة للباباوية، على صعيد اللاهـوت والنظام الكنَسي على الأقل، في محاولةٍ لخلق توازن فيها.

في عام 1964 وافق الكونزيل (المَجمع) الفاتيكـاني الثـاني علـى موضـوع العصمة (من جديد)، التي تُعتبر حتى اليوم جزءاً من القانون الكنَسي.

فاتيكان

Vatikan

فاتيكان هو القصر المجاور لكنيسة بطرس.

الاسم جاء من "أغَر فاتيكانوس — Ager Vaticanus"، وهو اسم حقلٍ يمتد على الضفة اليمنى لنهر "التّيبر"

منذ القرن الثاني أُطلق على هضبة الفاتيكان الحالي، وما يتبعها من أراض، اسم الفاتيكان.

هنًا على أبواب روما تقع الحدائق القيصرية وسيرك "نيرون"، الذي مات فيه المسيحيون الأوائل كشهداء، ودفنوا في الحقول المجاورة الواسعة.

فوق قبر الرسول والشهيد بطرس، أمر قسطنطين الأكبر (319 — 322) ببناء أوّل كنيسةٍ ـ بازيليكا ـ القديس بطرس.

أُهدي إلى الباباوات قصر "لاتيران" ـ (من قبل زوج القيصر قسطنطين).

في القرن الثامن وسّع (البابا) "ليو الثالث" كنيسة القديس بطرس لتصبح مقراً ثانوياً (له)، لكنها ظلّت حتى القرن الثاني عشر دون أهمية تذكر.

على خلفية الحروب الأهلية، أصبح الفاتيكان "المحصن جيداً، يفضَّل على قصر لاتيران" (كمقر للبابا).

في عام 1278 تم إنشاء مقر باباوي بطابقين على مقربة من كنيسة بطرس.

في منتصف القرن الخامس عشر، وبعد انتهاء، الانقسام العظيم في الغرب (شيسْما)، قام (البابا) "نيكولاوْس الخامس" بمتابعة بناء قصر البابا.

نقل الباباوات مقر إقامتهم إلى الفاتيكان، الذي أصبح، على مدار القرون، أكبر مجمّع قصور في العالم.

twitter @baghdad_library

مكتبة الفاتيكان

Vatik. — Bibliothek

منذ القرن السادس أخذ الباباوات، بإقامة مجموعات للوثائق الكتابية (الموجودة لديهم)، لكنها فُقِدت في (فوضى أحداث) النصف الأول من القرن الثالث عشر.

البابا "بونيفاز الثامن" قام بابتداء جديد (لجمع الوثائق)، غير أن مكتبته تشتّتتْ بعد الفوضى السياسية التي أعقبت موته في عام 1303.

في "أفنيون" (المهجر) حيث وجد الباباوات لهم ملجأً أميناً لمدة 70 عاماً هناك، وضع (البابا) "يوهانّس (يوحنا) الثاني عشر" حجر الأساس لإقامة مكتبة باباوية جديدة.

تمكن الباباوات من اقتناء وجمع أكثر من ألفي مخطوطة، وكانت أكبر مكتبات القرن الرابع عشر.

يعود مقرُّ المكتبة الحالي إلى الحبر ذي النزعة الإنسانية (humanist) البابا "نيكولاوس الخامس" الذي قام في منتصف القرن الخامس عشر، بوضع فهارس لـ (350) مخطوطة.

بناءً على طلبه، قام العديد من العلماء (الورّاقون) بنسخ كتب من مجموعات أخرى وصل عددُها، عند انتهاء سلطته، إلى 1500 مخطوطة في مكتبة الفاتيكان، وأصبحت بذلك أكبر مكتبة في أوروبا.

في القرن السابع عشر أخذ الفاتيكان بشراء مكتبات بكاملها، أضيف إليها ما أهداه لها الملوك والأمراء من مكتباتهم.

مثلما وقع أرشيفُ الفاتيكان السري غنيمةً مؤقّتةً في يد نابليون (بونابرت)، كذلك وقعت المكتبة بيده أيضاً. لكن (الغنيمة) أعيدت من باريس إلى روما عام 1815 (بعد فقدان الكثير من وثائقها السرية).

مكتبة الفاتيكان تحتوي اليوم على أكثر من مئة ألف مخطوط أصلي، وعلى سبعة آلاف مطبوعة، من مرحلة ما قبل القرن الخامس عشر، وعلى أكثر من مليوني كتاب، وت

متاحف الفاتيكان

Vatik.-Museen

متاحف الفاتيكان هو الاسم الشائع الذي يُطلق على المجموعات الفنّية للباباوات، التي أصبح من الممكن للجمهور الدخول إليها، بدءاً من النصف الثاني من القرن 18.

كان البدءُ في تأسيسها مع (البابا) "كليمينس الرابع عشر"، و(البابا) "بيوس السادس"، وذلك بإنشاء مُتحف "بيو - كليمينتينو" - (سمي باسميهما) -، حيث شكّلت مجموعة تماثيل (البابا) "يوليوس الثاني" 1503 - 1513، نواةَ المتحف، واحتوت على (أعمال نحت فنية شهيرة مثل مجموعة: "اللاؤوكون - Laokoon" و(تمثال أبولو) من عمل "بلْفيديري - Belvedere"

في عام 1837 ضُمَّ إلى المجموعات (موجودات) "متحف الإيتروسكيين - Etrusker"

في عام 1839 أسس (البابا) "جورج السادس عشر" "المتحف المصري"

عدا عن هذه المحتويات فإن الفاتيكان يمتلك مجموعات فنية من زمن المسيحية المبكرة، ومن العصر الوسيط، ومن عصر النهضة حتى الزمن الحاضر.

على زائر هذه المتاحف أن يقطع مسافة سبعة كيلو متراتٍ لمشاهدة محتوياتها.

twitter @baghdad_library

أرشيف الفاتيكان السّري

Vatik.- Geheimarchiv

الاضطرابات السياسية المستمرة، التي كانت غالباً ما ترغم الباباوات على الانتقال السريع (والهروب)، حالت دون وصول وثائق، تستحق الذكر، من فترة العصر الوسيط المبكّر.

يمكن لنا الحديث عن أرشيف باباوي (بالمعنى الدقيق للكلمة)، بعد أن أقامت حكومة الفاتيكان جهازاً إدارياً مركزياً في القرن الثالث عشر.

(البابا) "باول الخامس" قام في القرن السابع عشر بجمع الوثائق التي تستحق الأرشفة من مكتبة الفاتيكان، وكان عددها حوالي ثلاثة آلاف وثيقة، ومن أهمها: القرارات الرسمية الباباوية (**Bullen**) واللوائح الهامة (**Register**)، وأمر بتخزينها (في الأرشيف).

الوثائق الأكثر الأهمية في تاريخ السلطة الباباوية، كان يُحتفظ بها حتى عام 1798 في "برج الملائكة"، خوفاً من أن تقع في أيدي أعداء الباباوات.

في عام 1810 أمر "نابليون" بنقل الأرشيف (السّري) إلى باريس، وأعيد إلى روما بعد خمسة أعوام بنقص شديد.

الجمهورية الإيطالية الجديدة وضعت يدها على ملفات الأرشيف السري للفاتيكان التي كان يُحتفظ بها خارجه، وضمّتها إلى أرشيف الدولة.

منذ العام 1881 يمكن للعلماء (الباحثين) الوصول إلى هذا الأرشيف.

ملاحظة من المترجم:

(في عام 1998 تمَّ فتح كافة الأرشيفات السرية أمام الباحثين، بما فيها "اللائحة السوداء" — **إنديكس / Index** — التي يصدرها الفاتيكان بأسماء المؤلفين المحظورين من القراءة والنشر، والتي تشمل أكثر من ستة آلاف اسم منهم — على سبيل المثال:

مارتن لوثر، كالفن، إراسْموس فون أمستردام، ملك بروسيا فريدريش، ليسينْغ، هاينرش هاينه، تولستوي، كارل ماركس، أدولف هتلر (كفاحي)، سيمون دي بوفوار وصديقها سارتر، وكذلك البابا بيوس (؟)، و العالِم غاليليه غاليلاي الذي اكتشف عام 1616 أن الشمس وليس الأرض كما تقول الكنيسة هي مركز مجرتنا، وصمت عن الأمر خمسة عشر عاماً قبل أن ينال موافقة الكنيسة على نشر كتابه، ولكنه اضطر عام 1633 التنصل من اكتشافه بعد أن هُدّدَ بالحرق، وكان عمره فوق السبعين عاماً، وحكم عليه بالسجن في منزله حتى وفاته.

في عام 1992 أعاد له البابا يوهانِّيس (يوحنا) باول الثاني الاعتبارَ، مبرراً ذلك الحكم عليه بسوء فهم من قبل علماء عصره.

الطريف في الأمر أن تشارلز دارون — صاحب نظرية النشوء والارتقاء –، الذي نشر عمله عام 1859، غير موجود على اللائحة السوداء هذه المسماة "Index Librorum prohibitorum"، وذلك استناداً إلى قرار مجمع (كونزيل) تريينت المنعقد عام 1545 حيث بدأت مؤسسة الرقابة تعمل.

twitter @baghdad_library

العِفَّة (البَتوليّة - عدَم الزّواج)

Zoelibat

لا يزال مبدأ "الزُّوليبات" -- العفّة، عدَم الزّواج – مُتجذراً حتى اليوم في قانون الكنيسة (الكاثوليكية)، وهو يُلزم الكَهنوتَ بالامتناع التام والدائم عن الممارسة الجنسية.

إنه يَفترض مسبقاً، بأن الزواج هو نمط الحياة غير الكامل بالمقابلة مع (مبدأ) العفة.

لاهوتياً يُبرَّر ذلك بقول المسيح إلى تلاميذه – كما ورد في إنجيل متّى (لم يَذكر الإصحاح ورقم الآيات) حسب ترجمتي:

"كل من ترك لأجل اسمي، أخاً أو أختاً، أباً أو أماً، زوجاً أو طفلاً حقلاً أو بيتاً، سوف يتلقى ما هو أكثر قيمة، وأكثر بكثير، ويرث حياة أبديةً"

ورد هذا النص حرفياً في العربية هكذا:

(إنجيل مرقس إصحاح 10: 9 2–30)

"29 فأجاب يسوع وقال الحق اقول لكم ليس أحدٌ ترك بيتاً او اخوةً واخوات او اباً او امّاً او امرأَة واولاداً او حقولاً لأجلي ولأجل الانجيل 30 الا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتاً وإخوة واخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهاد وفي الدهر الآتي الحيرة الأبدية"

تضاف إليه تصوراتٌ من العهد القديم، تطالب بالعفة الجنسية قبل مقابلة القديسين.

في الألف الأول بعد المسيح كانت أكثريةُ رجال الدين من المتزوجين.

منذ القرن الرابع كان يمنع على رجال الدين في المناصب العليا الزواج، غير أن هذا لم يكن يطبّق إلاّ محلياً.

في عام 1139، بعد انعقاد "مجمع لاتيران الثاني" أصبح (مبدأ العفة) قانوناً شاملاً، في سياق تطور الكنيسة الغريغوري الذي أعلنَ الحرب على زواج الكهنة، غير أن ممارسات الكثير منهم كان يحيدُ، لقرون عديدة، عن الالتزام بهذا المبدأ، مما أدى في سياق حركة الإصلاح إلى انتقال العديد من الكهنة إلى المذهب البروتستنتي، وشكّل نقطةَ نقاش خلافية لا تزال مستمرة حتى اليوم.

انتهت

ترجمة النّص الألماني: د. شاكر مطلق
حمص - سورية 7 / 2009

twitter @baghdad_library

المؤلِّفون (للكتّاب)

تعريفٌ بمُصْدِرِ الكتاب:

"هانس كريستيان هوف – H.-Chr. Huf":

ولد عام 1956 في "شتارنْبيرغ" (بافاريا)، درس التاريخ والسياسة في ألمانيا وفرنسا. يعمل في التلفاز الألماني الرسمي – القناة الثانية. أصدر العديد من مسلسلاتٍ معاصرة تاريخية – سياسية ونشرات ثقافية.

تعتبر كتبه من الكتب الناجحة بمقاييس المبيعات.

آخر إصداراته "بركة الله في الجحيم"، "حرب الثلاثين عاماً" صدر عام 2003، "الإمبراطورية – من نهوض وسقوط الممالك الكبيرة" 2004، "لغزُ التوراة"، "أسرار الكتابة المقدسة" 2008، "الإمبراطورية II – من نهوض وسقوط الممالك الكبيرة" 2006، "العمالقة"، "العظام الممهدون للمعاصرة" 2007.

الطبعة المعدة للترجمة هذه، هي الطبعة الأولى الصادرة عن دار نشر "أولّشتاين ـ Ullstein" في برلين عام 2008.

وتقع في نحو ثلاثمئة صفحة من القطع 17 x 25 سم.

Michael Gregor – ميخائيل غريغور

ولد عام 1951. درس في كلية الفيلم والتلفاز في بـرلين، عنـد ميخائيـل بالهاوس، بيتر لوشيغ – وبيتر ليلينْتال.

في عام 1975 بدأ بإنتاج أفلامه الوثائقية الخاصة، وبعدها عمل كمصـور للأخبار في بيروت وأنغولا.

منذ عام 1978 عمـل في تصـوير وإخـراج أفـلام وثائقيـة وبـرامج ثقافيـة وموضوعات سياسية، مركز ثقلها كان أميريكا اللاتينية، والوثائق التاريخية، ومنها عمله الموسوم بـ "أبو الهول" وهي سلسلة أفلام تلفازية.

twitter @baghdad_library

البروفسور د. فولكر راينهارد
Prof. Dr. Volker Reinhardt

هو المستشار العلمي لهذا الكتاب. ولد عام 1954 في مدينة "ريندسبورغ" – ألمانيا –. درس التاريخ والرومنطيقية.

أقام في روما ما بين 1977– 1984 لإجراء أبحاث أكاديمية هناك.

منذ العام 1992 أصبح أستاذاً (بروفيسوراً) نظامياً لتاريخ سويسرا العام المعاصر في جامعة "فرايْبورغ" – سويسرا –.

أصدر العديد من الأبحاث حول التاريخ الإيطالي وتاريخ الباباوية:

(عائلة) دي ميديتشي – فلورينز في عصر النهضة (الطبعة الرابعة صدرت عام 2007) – التاريخ الإيطالي (الطبعة الثالثة صدرت عام 2006 – روما: دليل تاريخي مصور 1999) – النهضة في إيطاليا.

التاريخ والثقافة (صدرت الطبعة الثانية عام 2007) – مرة أخرى تاريخ إيطاليا: من نهاية العصر الكلاسيكي حتى الزمن الحاضر –

البابا المريع: "الإسكندر الرابع بورجيا" – 1431 - 1503 – صدر عام 2007.

د. لويزه فاغنر ـ روسْ
Dr. L. Wagner Roos

ولدت عام 1957 في "فيسْمور" درست البيولوجيا – علم الأحياء – والصحافة. عملت لأعوام عديدة في مجلة شتيرن – النجمة – ومجلة "فوكْس" كصحافية علمية في مجالها المفضّل عن المناطق الحدودية بين العلم والثقافة وروح العصر.

بتكليف من التلفاز ZDF (الألماني الرسمي) كتبتْ وأخرجتْ مجموعة من الأعمال التلفازية الوثائقية.

منذ عام 1999 تشغل منصبَ المديرة الإدارية لشركة إنتاج خاصة بالدراما الرّقمية في هامبورغ.

twitter @baghdad_library

مراجع الكتاب الأصل

Literatur

(ملاحظة: الأرقام الموجودة هنا،كما وردت في النّص الأصل).

Von Canossa nach Avignon

مراجع (من كانوسّا إلى أفينيون)

Klaus Bergdolt: Der Schwarze Tod. Die Große Pest und das Ende des Mittelalters. Muenchen 1000

Walter Brandmueller: Das Konzil von Konstanz 1414 - 1418. Band I: Bis zur Abreise Sigis - munds nach Narbonne (Konziliengeschichte. Reihe A). Paderborn u. a., 2. ueberarbeitete und erweiterte Auflage 1999

Walter Brandmueller: Das Konzil von Konstanz 1414 - 1418. Band II: Bis zum Konzilien (Konziliengeschichte. Reihe A). Paderborn u.a. 1998

Franco Cardini: An den Hoefen der Paepste. Glanz und Groeße der Weltmacht Vatikan. Uebersetzt von Marcus Wuermli. Augsburg 1996

Josef Fink: Das Petrusgrab in Rom. Innsbruck / Wien 1988

Kurt Flasch: Das philosophische Denken im Mittelalter. Von August zu Machiavelli. Stuttgart 1986

Bernhard Guillemann: Les papes d' Avignon (1309 - 1376). Paris 1998

Johannes Haller: Das Papsttum. Idee und Wirklichkeit. In fuenf Baenden. Band II: Der Aufbau. Band V: Der Einsturz. Reinbek 1965

Jörg K. Hoensch: Kaiser Sigismund. Herrscher an der Schwelle zur Neuzeit. 1368 - 1437. Muenchen 1996

Markus Mayr: Geld, Macht und Reliquien; Wirtschaftliche Auswirkungen des Reliquienkultes im Mittelalter. Innsbruck u. a. 2000

Richard Niedermeier: Paepste. Nuernberg 2,007

Leopold von Ranke: Das Zeitalter der Kreuzzuege und das spaete Mittelalter. Meersburg1935

Barbara Tuchman: Der ferne Spiegel. Das dramatische 14. Jahrhundert. Berlin 1980 Stefan Weinfurter: Canossa. Die Entzauberung der Welt. Muenchen 2.006 Albert Wucher: Die Paepste. Ihre Geschichte von den Anfaengen bis zur Gegenwart. Freeburg im Breisgau 1000.

twitter @baghdad_library

Die Herrschaft der Papstkoenige

مراجع (سلطة الباباوات الملوك)

GEO Epoche: Die Macht der Paepste. Hamburg 1005 GEO Epoche: Die Renaissance in Italien 1300-1560. Hamburg 2.003 Niccoloe Machiavelli: Der Fuerst. Frankfurt am Main 1.001 Lauro Martines: Die Verschwoerung. Aufstieg und Fall der Medici im Florenz der Renaissance. Darmstadt 1004 Ludwig Pastor: Geschichte der Paepste seit dem Ausgang des Mittelalters. Zweiter Band: Geschichte der Paepste im Zeitalter der Renaissance von der Thronbesteigung Pius' II.bis zum Tode Sixtus' IV. Freiburg im Breisgau 192.5 Ludwig Pastor: Geschichte der Paepste seit dem Ausgang des Mittelalters. Dritter Band:

Geschichte der Paepste im Zeitalter der Renaissance von der Wahl Innocenz' VIII. Bis zum Tode Julius' II. Freiburg im Breisgau 1895 Volker Reinhardt: Der unheimliche Papst. Alexander VI. Borgia 1431-1503. Muenchen

2.005

Volker Reinharde: Die Medici. Florenz im Zeitalter der Renaissance. Muenchen 1998 Paul Strathern: The Medici. Godfathers of the Renaissance. London 1003

Das Jahrhundert der Entscheidung

(مراجع قرن القرارات الحاسمة)

Ruediger Achenbach/Hartmut Kriege: Die Paepste und die Macht. Düsseldorf 1001 Ausstellungskatalog «Hochrenaissance im Vatikan (1503 _ 1534) _ Kunst und Kultur im Rom der Paepste I». Bonn 1998 Dagmar Feghelm: Ich, Raffael. Muenchen 1004 GEO Epoche: Die Macht der Paepste. Hamburg 1005 Josef Imbach: Geheimnisse der kirchlichen Kuechengeschichte. Düsseldorf 1001 Leben des Benvenuto Cellini,florentinischen Goldschmieds und Bildhauers, von ihm selbst geschrieben. Uebersetzt und mit einem Anhange herausgegeben von Goethe.

Tuebingen 1803 Ludwig Pastor: Geschichte der Paepste - Von der Wahl Leos X. bis zum Tode Klemens'VII. (1513-1534). **Teil I und II. Freiburg** im Breisgau 1906

Volker Reinhardt: Francesco Guicciardini Die Entdeckung des Widerspruchs. Goettingen 1004 Barbara Tuchman: Die Torheit der Regierenden - Von Troja bis Vietnam. Frankfurt am Main 10 01.

twitter @baghdad_library

مصادر الصّور

Bildnachweis

Archiv für Kunst und Geschichte (akg), Berlin: S. 12,, 46, 77, 99,117, n?, 157,179, i88,

191,2,15

Bridgeman, Berlin: S. 175 uellstein Bild, Berlin: S. 91, in, 152., 156

Wir danken allen Rechteinhabern fuer die Erlaubnis zum Abdruck der Abbildungen. Trotz intensiver Bemuehungen war es nicht moeglich, alle Rechteinhaber zu ermitteln. Wir bitten diese, sich an den Verlag zu wenden.

twitter @baghdad_library

المؤلَف / المترجم (في سطور):
د. شاكر مطلق
Dr.med. Shaker MUTLAK
Homs - Syria

- منْ مواليد 2 / 2 / 1938.
- دَرَس الطب البشري وتخصّص في أمراض العيون وجراحتها في ألمانيا الاتحادية - الغربية - (1958 - 1972).
- عضو اتحاد الكتاب العرب - دمشق (جمعية الشعر).
- الرئيس السابق للجمعية السورية لأطباء العين في سورية.
- عضو وعضو شرف في العديد من الجمعيات العلمية والأدبية.
- صدر له العديد من المجموعات الشعرية والدراسات والكتب الأدبية والعلمية والترجمات.
- تقاعد عن ممارسة طب العين في حمص - سورية: البغطاسية - شارع ابن زريق 3، اعتباراً من 1 – 11 – 2008

- هاتف: مكتب: 2222655 - 31 - 963+
- جوال: 737743 – 0945
E-Mail: mutlak@scs-net.org

twitter @baghdad_library

الفهرس

العنوان	الصفحة
– تقديم من المترجِم	5
– ملاحظات فنية من المترجِم	9
– تعريف بالكتاب من المترجِم	11
– لمحة عن محتويات الكتاب	13
– **مدخل – كلمة لاحقة:** "البابَاوية فى التاريخ"	15
ترجمة نص الكتاب:	23
"غريغور السابع – Gregor VII" – يتهيأ للاستيلاء على السلطة الأرضية.	25
– ركائز العالم تختلُّ.	29
– حرية الكنيسة.	31
– رسالة تعريف بـ (البابا) "غريغور السابع –Gregor VII"	33
– حاكم دون رحمة (عفو).	37
– حرب الكلمات.	39
– "كانوسّا" والنتائج.	44
– المنتصرون والمهزومون.	47
"الرسول بطرس" قبرٌ، كمكان مقدس لأكبر الديانات العالمية:	50
– رسالة تعريف: "بطرس– Petrus "، الصّخرة.	52
– الذخائر – (Reliquien): – التقرب من العالم الآخر.	57
– زمن التزوير.	60
"بونيفاز الثامن" – المستقبل هو الماضى:	64
– بابا يصارع ضد الوقت.	67

– فى ذروة السلطة. 70
– رسالة تعريف: "بونيفاز الثامن– Bonifaz VIII" 72
– أول مناوشاتٍ مع فرنسا. 76
– حرب النبلاء. 79
– حمقى على الجانبين. 82
– الاغتيال فى "أنانى" 85
فى الطريق إلى "أفِـنْيون – Avignon" 89
– حيثما يكون البابا تكون روما. 94
– "عاهرة بابل" 98
– ريحٌ أخلاقية معاكسة. 102
– الموتُ الأسودُ (الطاعون). 107
– نهاية المنفى. 114
انقسام (كنيسةِ) الغرب الكبير: 119
– العالَمُ يتحطّم. 121
– نداءٌ لعقد المجمَع الكَنَسى– الكونزيل – Konzil. 125
– ثلاثة باباوات و"بيسا – Pisa" 127
– النظام العالمى الجديد. 129
– انتفاضةُ المجمع– الكونزيل – Konzil. 132
– (العودة للوحدة) معاً من جديد. 137
–مسألةٌ تهمّ الأمم. 141
– لوح زمنى: من "كانوسّا" إلى "أفِنيون" 144
سلطة الباباوات الملوك: 149
"سِكْستُس (تاقيطُس) الرابع – Sixtus IV" 150
– اغتيالٌ فى كاتدرائية. 153
–كاتبٌ وعالِم لاهوتٍ كـ "بابا 155

twitter @baghdad_library

– رسالة تعريف : "سيكْستُوس الرابع – Sixtus IV"	156
– ابتداءُ العصر الذهبى للباباوات الملوك.	164
– علاقة (الباباوات) مع (عائـلة) "ميديتشى	170
– تعادُلٌ بين البابا والـ "ميديتشى	183
ألكسندر (الإسكندر) بورجيا	185
– البابا ككبير عائلةٍ.	187
–رسالة تعريف : الإسكندر السادس – Alexander VI.	188
الـ (الحبر الأعظم –Pontifex) يحب النساء والترف.	193
– الحرب مع فرنسا.	199
– بابا يبكى على ابنه (القتيل).	201
– خداعٌ،تآمرٌ، قتْـلٌ، حربٌ.	204
يوليوس الثانى – Julius II. قيصرٌ على عرش البابا	214
– نهاية (عائلة)الـ "بورجيا"	215
– رسالة تعريف : يوليوس الثانى – Julius II.	216
– فنانون متصلِّبو الرأي وغَضوبون.	220
– بابا كقائد جيوش ناري.	225
لوح زمنى : حكم الباباوات الملوك.	232
قرن القرارات (الحاسمة) :	235
– رسالة تعريف : "ليو– ليون – العاشر – Leo X"	241
– الـ "ميديتشى هم البابا.	246
– خصام الرهبان.	248
– دولة الكنيسة.	250
– الكنيسة والفن.	255
– كائنٌ من الجحيم يبتلع الكهنوتَ الشَّرهين.	260
البابا متأرجحٌ بين المقاعد (مترددٌ).	269

- رسالة تعريف: "كليمِنْس السابع – Clemens VII" 270
- للبابا الكثير من الخصوم الأشدّاء. 275
- عدم الثقة ينتَشرُ. 279
- حُفرة القتَلةِ النَّـتِنَةِ. 282
- البابا يهرب. 289
- النهاية. 292

البابا "باول– بولس – الثالث – Paul III" وخلفاؤه: 296
- رسالة تعريف: "باول الثالث – Paul III" 298
- جمعيّةُ المسيح. 301
-المطبخ الباباوي. 304
- اجتثاث التعاليم الهرطقيِّة. 309
- إيمانٌ دون رحمةٍ. 313
- سراويل "فولتيرّا" 316
- الصراع من أجل المعتَقد الصحيح. 318

لوح زمنى: 320

- معجم الشُّروحات – "غلُوسّار – Glossar" 325
- انشقاق فى بلاد الغرب. 327
- صكوك الغفران. 329
- البولّة (الإعلان الباباوي). 331
- برج الملائكة. 333
- الحِرمان (الكَنسى). 335
- البابا المضاد. 336
- إصلاح التأريخ الغريغوري. 337
- الكرسىِّ المقدس. 339
- الإمبراطورية الرومانية المقدسة. 340

twitter @baghdad_library

– طُوِّبَ قديساً.	343
– محاكم التفتيش.	344
– الخلاف على تعيين المطارنة.	346
– الكاردينال.	348
– كاثيدرا.	349
– الإصلاح الكَنسي.	350
– دولة الكنيسة (الكورْيه).	351
– كونْكلافِه (اجتماع الخَلوة لانتخاب البابا).	353
– الهبة القسطنطينية.	354
– المجمع (الكَنسي)– كونزيل.	356
– قصر لاتيران.	358
– نيبوتِسْموس – محاباة الأقرباء.	359
– شارات البابوية.	360
– البَركة البابوية.	362
– لقب البابا.	363
– كنيسة بطرس.	364
– بْفينِغْ (قِرش – فلس) بطرس.	366
– قبر بطرس.	367
– سلطة المفتاح.	368
– الحرس (البابوي) السويسري.	369
– شراء الوظائف (سيموني).	370
– الكنيسة السِّكْستينيَّة (كنيسة السِّتين).	371
– العصمة.	373
– فاتيكان.	374
–المكتبة.	375

– متاحف الفاتيكان.	376
– أرشيف الفاتيكان السِّري.	377
– العفة (البتولية– عدم الزواج).	379
– مؤلفو الكتاب.	381
هانس كريستيان هوف	381
ميخائيل غريغور	382
البروفيسور د. فولكَر راينهارد	383
د. لويزه فاغنر– روس.	384
– مراجع الكتاب الأصل.	385
– مصادر الصور.	389
ـ المؤلف – المترجم د. شاكر مطلق فى سطور	391

twitter @baghdad_library

مكتبة بغداد
twitter@baghdad_library

تثير الباباوية الإعجابَ اليوم، من خلال مغايرتها (للمألوف)، أكثرَ من أي وقت مضى .

إنّ نواب يسوع المسيح، الذين يشكلون قاعدة له، هم تاريخيون بقدر كونهم من البشر الفانين (الذين) نُقلت إليهم الوكالةُ، وبرغم ذلك فهم يقولون إنهم منصّبون مباشرة من الله، ومتجاوزون في الوقت ذاته لاضطرابات ومتاهات الزمان .

إذا كان ثمة رسالة توصلها إلينا كل أعمال البناء واللوحات البابوية على مدار القرون، فإنها هي هذه: يمكن للأحداث التاريخية بأمواجها العالية أن تهز البابوية وتدفعها تائهة، غير أنها تبقى، برغم كل صخب أقوياء هذا العالم، ثابتة وغير محطمة، لأنها تستطيع دوماً في الحالات الحرجة أن تستدعي لدعمها القوى السماوية .

من هذه الزاوية قدّمَ الباباواتُ، بموقفهم الإيديولوجي المعارض لاتجاهات الرّبح غير المحدود واستغلال الإنسان للإنسان، أقدمَ شكل من أشكال نقد العَوْلمة في التاريخ.

تستند هذه المعارضة على كل حال إلى مفهوم أنّ البشر - الذين وُضِعت في تصرفهم جميعاً إرادةُ الخير - هم من دون رحمة الله، جانحون إلى الخطيئة، الأمر الذي يستدعي التصحيح الأخلاقي لمتابعة العمل ضد سوء استخدام القوى الأرضية لهذا (الإنسان) .

دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا - اللاذقية - ص.ب 1018 هاتف 422339
9 789933 477189